رسالة الحروف

للفيلسوف أبي نصر الفارابيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين الحمد لله ربّ العالمين والسلام على نبيّه وآله أجمعين.

الباب الأول
الحُروفُ وَ أسمَاء المقولات

الفصل الأوّل حرف إنّ (1) أمّا بعد فإنّ معنى انّ الثبات والدوام والكمال والوثاقة في الوجود وفي العلم بالشيء. وموضـوع إنَّ وأنَّ في جميع الألسـنة بيّن. وهو في الفارسيّة كـاف مكسـورة حينا وكـاف مفتوحة حينـا. وأظهر من ذلك في اليونانيّة " أُنْ " و " أُوْن "، وكلاهما تأكيـــــــد، إلا أنّ " أُوْن " الثانية أشـدتأكيداً، فإنه دليل على الأكمل والأثبت والأدوم. فلـذلك يسـمّون الله ب " أُوْن " ممدود الواو، وهم يخصّون به الله، فإذا جعلوه لغير الله قالوها ب " أُنْ "مقصورة. ولذلك تسمّي الفلاسفة الوجود الكامل " إنية " الشيء- وهو بعينه ماهيّته - ويقولون " وما إنية الشيء " يعنون ما وجـوده الأكمـل، وهو ماهيتـه. إلاّ في الإخبار فقط دون السؤال.

الفصل الثاني: حرف متى (2) وحرف " متى " يُستعمَل سـؤالا عن الحـادث من نسـبته إلى الزمـان المحـدود المعلـوم المنطبق عليـه، وعن نهـايتي ذلك الزمان المنطبقتين على نهايتي وجود ذلك الحادث - جسـما كـان ذلك أو غـير جسم - بعد أن يكـون متحركا أو سـاكنا، أو في سـاكن أو في متحـرّك. وليس بشيء من الموجودات يحتاج إلى زمان يلتئم به وجوده أو ليكون سببا لوجـــود موجود أصلا. فإن الزمان متى مّا عارضٌ باضطرار عن الحركة، وإنما هو عِـدّة عدّها العقل حتى يمحي به ويقدّر وجود ما هو متحرّك أو ساكن. وليس الحـال فيه مثل الحال في المكان، فإن أنـواع الأجسـام محتاجة إلى الأمكنة ضـرورة في الأشياء التي أحصاها من قبل.

الفصل الثـالث: المقــولات (3) والــذي ينبغي أن يُعلمَ أن أكـثر الأشـياء المطلوبة بهذه الحروف وما ينبغي أن يجاب به فيها فيسـمّي الفلاسـفة باسم تلك الحـروف أو باسم مشـتقّ منهـا. وكـلّ ما سـبيله أن يجـاب به في جـواب حرف " متى " إذا استعمل يسمّونه بلفظ ة متى. وما سبيله أن يجـاب به عن ســؤال " أين " يســمونه بلفظة أين.وما ســبيله أن يجــاب به في " كيف "

يسـمونه بلفظة كيف وبالكيفيّـة. وكـذلك ما سـبيله أن يجـاب به في " أيّ " بلفظة أيّ. وما يجـاب به في " ما " يسـمّونه بلفظة ما والماهيـة. غـير أنهم ليس يسـمّون ما سـبياه أن يجـاب به في حـرف " هـل" بلفظ هـل، ولكن يسـمّونه إنّ الشـيء. (4) وكـلّ معـنى معقـول تـدلّ عليه لفظة مّا يوصف به شيء من هذه المشار إليها فإنا نسميه مقولة. والمقولات بعضها يعرّفنا ما هو هذا المشـار إليـه، وبعضـها يعرّفنا كم هـو، وبعضـها يعرّفنا كيف هـو، وبعضـها يعرّفنا أين هـو، وبعضـها يعرّفنا مـتى هو أو كـان أو يكـون، وبعضـها يعرّفنا أنه مضاف، وبعضها أنه موضوع وأنه وضع مّا، وبعضها أنّ له على سطحه شيئا مّا يتغشّاه، وبعضها أنه ينفعل، وبعضها أنه يفعل. (5) وقد جرت العادة أن يسمّى هذا المشار إليه المحسوس الذي لا يوصف به شيء أصلا إلاّ بطريق العـرض وعلى غير المجرى الطبيعيّ، وما يعرّف ما هو هذا المشار إليه، الجـوهر على الإطلاق، كما يسمّونه الذات على الإطلاق. ولأنّ معنى جوهر الشـيء هو ذات الشيء وماهيته وجزء ماهيته، فالذي هو ذات في نفسه وليس هو ذاتا لشـيء أصلا هو جـوهر على الإطلاق، كما هو ذات على الإطلاق، من غـير أن يضـاف إلى شيء أو يقيَّد بشـيء. وما يعـرّف ما هو هـذا المشـار إليه هو جـوهر هـذا المشار إليه. ولأنه ليس يحمل على شيء آخر، لأنه من كلّ جهاته جوهر لكـلّ ما يحمل عليه. وأما سائر المحمولات على هذا المشـار إليـه، فإنه ليس واحد منها بجـوهر لـه، وإن كـان جـوهر الشـيء آخـر، فلـذلك هو جـوهر بالإضـافة وبتقييد، وعرضٌ في المشار إليه. (6) والمقـول فقدُ يعـنى به ما كـان ملفوظا به، كان دالاّ أوغير دالّ، فإن القول قد يعنى به على المعنى الأعمّ كـلّ لفـظ، كـان دالاّ أو غـير دالّ. وقد يعـنى به ملفوظا به دالاّ، فـإنّ القـول قد يعـنى به على المعنى الأخصّ كـلّ لفظ دالّ، كـان اسـما أو كلمة أو أداة. وقد يُعـنى به مـدلولا عليه بلفظ مّـا. وقد يُعـنى به محمـولا على شـيء مّـا. وقد يُعـنى به معقولا، فـإن القـول قد يـدلّ على القـول المركـوز في النفس. وقد يُعـنى به محدودا، فإن الحـدهو قـول مّـا. وقد يُعـنى به مرسـوما، فـإن الرسم أيضا هو قول مّا. وبهـذه سُـمّيت المقـولات مقـولات، لأن كل واحد منها اجتمع فيه أن كان مدلولا عليه بلفظ، وكـان محمـولا على شـيء مّا مشـار إليه محسـوس - وكـان أول معقـول يحصل إنما يحصل معقـولَ محسـوس، وإن كـانت توجد معقولات معقولات حاصلة لا محسوسات فـذلك ليس بينا لنا منذ أوّل الأمر -، وكانت أيضا مفردة والمفردة تتقدّم المركبات.

الفصل الرابع: المعقولات الثواني (7) وأيضا فإنّ هذه المعقـولات الكائنة في النفس عن المحسوسات إذا حصـلت في النفس لحقها من حيث هي في النفس لواحق يصير بها بعضها جنسا، وبعضها نوعا، ومعرّفا بعضٌ ببعض. فـإنّ المعنى الذي به صار جنسا أو نوعا - وهو أنه محمول على كثيرين - هو معـنى يلحق المعقول منحيث هو في النفس. وكذلك الاضـافات الـتي تلحقها من أنّ بعضـها أخصّ من بعض أو أعمّ من بعض هي أيضا معـان تلحقها من حيث هي في النفس. وكذلك تعريف بعضـها ببعض هي أيضا أحـوال وأمـور تلحقها وهي في النفس. وكـذلك قولنا فيها إنها " معلومة " وإنها " معقولة " هي اشـياء

تلحقها من حيث هي في النفس. وهذه التي تلحقها بعد أن تحصل في النفس هي أيضا أمور معقولـة، لكنها ليست هي معقولة حاصـلة في النفس على أنها مثـالات محسوسـات او تسـتند إلى محسوسـات، أو معقـولات أشـياء خـارج النفس، وهي تسـمّى المعقـولات الثـواني. (8) وهي أيضا لايمتنع - إذا كـانت معقولات - أن تعود عليها تلك الأحوال التي لحقت المعقـولات الأول، فيلحقها ما يلحق الأول من أن تصـير أيضا أنواعا وأجناسا ومعرّفة بعضُـها ببعض وغـير ذلك؛ حتى يصير العلم نفسه الـذي هو لاحق للشـيء إذا حصل في النفس أن يكـون معلوما أيضـا، والمعلـوم أيضا نفسه يكـون معلومـا؛ ويصـير المعقـول معقولا أيضا، والمعقول أيضا معقولا والعلم الـذي بمعـنى العلم أيضا معلومـا، وذلك لعلم آخر، وهكذا الى غير النهاية؛ حتى يكون للجنس أيضا جنس، ولذلك أيضا كـذلك، إلى غـير النهايـة. وذلك على مثـال ما توجد عليه الألفـاظ الـتي توضع في الوضع الثـاني، فإنها أيضا يلحقها ما يلحق الألفـاظ الـتي في الوضع الأوّل من الإعـراب. فيكـون " الرفع " مثلا أيضا مرفوعا برفـع، و " النصب " يكون أيضا منصوبا بنصب، ثمّ هكذا إلى غير النهاية. (9) غير أن التي تمرّ إلى غير النهاية لما كانت كلها من نوع واحد صار حال الواحد منها هو حـال الجميع وصـار أيّ واحد منها أُخذ هو بالحـال الـتي يوجد عليها الآخـر. فـإذا كـان ذلك كذلك فلا فرق بين الحال التي توجد للمعقول الأول وبين التي توجد للمعقـول الثاني، كما لا فرق بين الرفع الذي يُعـرَب به " زيد " و " الإنسـان " الـذي هو لفظ في الوضع الأوّل وبين الرفع الــذي يُعــرَبْ به لفظ الرفع الــذي هو في الوضع الثــاني، فالحــال الــتي يكــون عليها إعــراب ما في الوضع الأول من الألفاظ، بتلك الحال يكون إعراب ما في الوضع الثاني منها.كـذلك يوجد الأمر في المعقــولات، فإنه بالحــال الــتي توجد عليها المعقــولات الأول في هــذه اللواحق هي بعينها الحال الـتي توجد عليها المعقـولات الثـواني، فالـذي يعمّها من كــلّ لا حق شــيء واحد بعينــه. فمعرفة ذلك الواحد هي معرفة الجميــع، كانت متناهية أو غير متناهية، كما أنّ معرفة معنى " الإنسـان " والـذي يلحقه من حيث هو ذلك المعنى هي معرفة جميع الناس وجميع ما هو إنسـان، كـانوا متناهين أو غير متناهين. (10) فإذن لا حجّة تلحق من أن تكون غـير متناهيـة، إذ كـــانت معرفتنا لواحد منها هي معرفة الجميـــع، إذ كنا إنما نعـــرف ما يعمّ الجميع الذي هو غير متناهي العـدد. ولـذلك صـار سـؤال أنطسـتانس في حـدّ الإنسان، وحدّ الحدّ، وحدّ حدّ الحدّ، الصائر إلى غير النهاية، غلطا، إذ كان ليس هناك نصـير بالمعرفة إلى غـير النهايـة، ولا حاجة بنا إلى أن نعـرف ما لا نهاية له، حتى إذا عجزنا عنإحصائه وعن معرفة كلّ واحد على حياله تكون المعرفة قد بطلت، إذ كان معنى الحدّ معنى واحـدا بعينه كليا في جميع الحـدود كـانت متناهية أو غير متناهية - كما أن معنى رفع " الرفع " ورفع " زيد " هو بمعــنى واحد عن كلي في هــذين وفي رفع " رفع الرفع " الصــائر إلى غــير النهايــة. وكــذلك الســؤال عن جنس الجنس، وجنس جنس الجنس، الصــائر إلى غــير النهايــة. وعلى ذلك المثــال علم العلم بأنه علم علم العلم، الصــائر إلى غــير النهاية. وكذلك السؤال عن الشبيه وهل هو شبيهُ شبيهٍ آخر أو مغاير له، وهل معنى الغير غيٌر لغيرٍ آخر أو شبيه به: فيكـون الغـير شـبيها بما هو غـير وكـون

الشبيه غيرا بما هو شبيه؛ أو يكون الغير غيرا لغير آخر وغير الغير بغير آخر - غيرا لكلّ واحد من الأمرين، وغيرا بغيريةٍ غيرٍ من آخرَين، وغير الغير هكذا، إلى غير النهاية. وكذلك شبيه الشبيه بشبيه آخر له شبيهٌ أيضا بشبيهين آخرَين، وذلك إلى غير النهاية. فهذه السؤالات كلها من جنس واحد، وإنما هي كلها في المعقولات الثواني. والجواب عنها كلها جواب واحد، وهو على مثال ما لخصناه في تلك الأخر.

الفصل الخامس: الموضوعات الأولى للصنائع والعلوم (11) وهذه المعقولات هي الأول بالإضافة إلى هذه الثانية كلّها. والألفاظ الأول إنّما توضع أوّلا للدلالة على هذه وعلى المركّبات من هذه. وهذه هي الموضوعات الأول لصناعة المنطق والعلم الطبيعيّ والعلم المدنيّ والتعاليم ولعلم ما بعد الطبيعة. (12) فإنّها من حيث هي مدلول عليها بألفاظ، ومن حيث هي كلّيّة، ومن حيث هي محمولة وموضوعة، ومن حيث هي معرّفة بعضُها ببعض، ومن حيث هي مسؤول عنها، ومن حيث تؤخذ أجوبة في السؤال عنها، هي منطقيّة. فيأخذها وينظر في أصناف تركيب بعضها إلى بعض من حيث تلحقها هذه التي ذُكرت وفي أحوال المركّبات منها بعد أن تركّبت. فإنّ المركّبات منها إنّما تصير آلات تسدّد العقل نحو الصواب في المعقولات وتحرزه عن الخطأ في ما لا يؤمَن أن يغلط فيه من المعقولات، إذا كانت المفردات التي منها رُكّبت مأخوذة بهذه الأحوال. (13) وأمّا في سائر العلوم فإنّما تؤخذ من حيث هي معقولات الأشياء الخارجة عن الذهن مجرَّدة عن ألفاظها الدالّة عليها ومن سائر ما يلحقها في الذهن من العوارض التي ذُكرت. إلاّ أنّ الإنسان يضطرّ إلى أن يأخذها بتلك الأحوال ليصير بها إلى أن تحصل معلومة، وإذا حصلت معلومة أخذها حينئذ مجرَّدة عنها. ويضطرّ إلى أخذها بتلك الأحوال، ويصير ما يطلب علمه منها نتائج بتلك الأحوال، حتّى إذا فرغ من تعلّمها أزيلت عنها تلك الأحوال، أو يجعل المقصد منها أن تؤخذ لا من جهة ما لها تلك الأحوال وإن كانت لا تنفكّ منها. (14) وما تحتوي عليه المقولات بعضها كائن وموجود عن إرادة الإنسان وبعضها كائن لا عن إرادة الإنسان. فما كان منها كائنا عن إرادة الإنسان نظر فيه العلم المدنيّ وما كان منها لا عن إرادة الإنسان نظر فيه العلم الطبيعيّ. (15) وأمّا علم التعاليم فإنّه إنّما ينظر من هذه في أصناف ما هو كمّ وفيما كانت ماهيّات تلك الأنواع من الكمّ توجب أن يوجد فيها من سائر المقولات بعد أن يجرّدها في ذهنه ويخلّصها عن سائر الأشياء التي تلحقها وتعرض لها، سواء كانت تلك عن إرادة الإنسان أول عن إرادته. ولا ينظر من المقولات في المشار إليه المحسوس الذي لا يُحمَل على شيء أصلا ولا بوجه من الوجوه، ولا في ما هو هذا المشار إليه؛ ولا ينظر في أنواع الكمّ من حيث هي لاحقة وعارضة لهذا المشار إليه؛ ولا لماذا هو هذا المشار إليه؛ بل يأخذ تلك الأنواع في ذهنه مجرَّدة عن هذا المشار إليه وعن ما هو المشار إليه. (16) وأمّا العلم الطبيعيّ فإنّه ينظر في جميع ما هو شيء شيء من هذا المشار إليه، وفي سائر المقولات التي توجب ماهيّة أنواع ما هو هذا المشار إليه أن توجد لها. وينظر أيضا فيما ينظر

فيه التعاليم من حيث هي بهذه الحـال، فـإنّ جلّها - بل جميعها - تـوجب ماهيّة أنـواع ما هو هـذا المشـار إليه أن توجد لهـا. فالتعـاليم ينظر فيها مخلّصة عن جميع أنواع ما هو هذا المشـار إليـه، والعلم الطـبيعيّ ينظر فيها من حيث هي أنواع ما هو هذا المشار إليه. والتعاليم يقتصر بين أسـباب هـذه على مـاذا هو كلّ واحد منهـا، والعلم الطـبيعيّ يعطي جميع أسـباب كـلّ ما ينظر فيـه، فإنّه يلتمس أن يعطي في كلّ واحد منها ماذا هو وعمّاذا هو وبماذا هو ولمـاذا هـو. والتعـاليم لا يأخذ في مـاذا هو كـلّ واحد ممّا يعطي ماهيّته أمـور ا خارجة عن المقولات أصلا. وأمّا العلم الطبيعيّ فإنّه يعطي أيضا في أسـبابه أمـورا غيرها خارجة عن المقــولات. فإنّه يعطي في الأمكنة الــتي ســبيله أن يعطي فيها الفاعل فاعلا غيره خارجا عن المقولات الفاعلة، أو يــرقى إلى أن يعطي غاية الغاية، وغاية غاية الغاية، حتّى يروم المصـير إلى حصـول الغايـات والأغـراض الـتي لها كـون ما تشـتمل عليه المقـولات. فـإذا التمس أن يعطي ما هو كـلّ واحد من أجــــزاء أجــــزاء الماهيّة حتّى يعطي أقصى ما يمكن أن يوجد في ماهيّاتهـا، هجم حينئذ على أسـبابه معقولة خارجة عن المقـولات وعلى أمـور من أجـــزاء ماهيّته هي خارجة عن المقـــولات، فهجم على أمـــور هي فاعلة خارجة عن المقــــولات وعلى أمــــور يعلم أنّها غايــــات إلاّ أنّها خارجة عن المقــولات، إلاّ أنّها أجــزاء ماهيّة الأشــياء ممّا في المقــولات، وهي أجــزاء بألتئامها وتركيب بعضها إلى بعض يكون ذلك الشيء الـذي هو من المقـولات. إلاّ أنّ تلك الأجزاء لم تكن موصوفة بشيء مفارق لأنّها إذا كانت أجـزاء ماهيّة الشيء الذي هو أحد ما في المقولات، كان في جملة ما هو في ذلك الشـيء. فإنّه إن كان ذلك الشيء هو المشار إليه، وكانت تلك الأشـياء أجـزاء ماهيّتـه، كان غير خارج عمّا هو ذلك المشار إليه ولا مفارقا لـه، فيكـون ذلك داخلا في المقـولات. إلاّ أنّها على كـلّ حـال تكـون غـير مفارقة للأش ي اء الـتي في المقولات، إذ كان جملة الشيء غير مفارق لتلك الجملـة. وأمّا الفاعل والغاية فقد يكون خارج الشيء ومفارقا له. فإذا كـان كـذلك فقد أعطى أقصى ما به ماذا الشيء - أي ما هو غي مفـارق للشـيء الـذي يلتمس إعطـاء ماهيّته من الأنواع الـتي في المقـولات - وأقصى فاعل يكـون مفارقا لـه، وكـذلك أقصى غاية لـه. فـالعلم الطـبيعيّ يهجم إذن عند نظـره في المقـولات على أشـياء خارجة عن المقولات غـير مفارقة لها بل هي منهـا، وعلى أشـياء خارجة عنها ومفارقة لهـا. فعند هـذه يتنـاهى النظر الطـبيعيّ. (17) وينبغي بعد ذلك أن يُنظَر في الأشــياء الخارجة عن المقــولات بصــناعة أخــرى وهي علم ما بعد الطبيعيّات. فإنّها تنظر في تلك وتستقصي معرفتها وتنظر في ما تحتـوي عليه المقولات من جهة ما تلك الأمـورُ أسـبابها - حتّى في ما تحتـوي عليه التعـاليم منها والعلم المدنيّ وما يشتمل عليه المـدنيّ من الصـنائع العمليّـة. وعند ذلك تتناهى العلوم النظريّة. (18) والمقولات هي أيضا موضـوعة لصـناعة الجـدل والسوفسـطائيّة، ولصـناعة الخطابة ولصـناعة الشـعر، ثمّ للصـنائع العمليّـة. والمشار إليه الذي إليه تقاس المقـولات كلّها هو الموضـوع للصـنائع العمليّـة. فبعضـها يعطيه كمّيّة مّـا، وبعضـها يعطيه كيفيّة مّـا، وبعضـها أينا مّـا، وبعضـها وضعا مّا، وبعضها إضافة مّـا، وبعضـها يعطيه أن يكـون في وقت مّـا، وبعضـها

يعطيه ما يتغشّى سطحه، وبعضها أن يفعلَ، وبعضها أن ينفعلَ، وبعضها يعطيه اثنين من هذه، وبعضها ثلاثة من هذه، وبعضها أ كثر من ذلك. فإنّك إذا تـأمّلت موضوع صناعة صناعة من الصنائع العمليّة وجدته شـيئا مّا مشـارا إليه تقـاس المقولات. إلاّ أنّ ما يتصوّر صاحب الصناعة في نفسه من ذلك هو نوعه، فإذا فعلَ فعـلَ في مشـار إليه يحمل عليه ذلك النـوع حمل ما هـو. فـإنّ الصـناعة التي في نفس إنسان إنسان إنّما تلتئم من أنواع موضوعها ومن أنواع الأشياء التي تعطي ذلك الموضـوع وتفعل فيـه، فـإذا فعلتْ فعلتْ في مشـار إليه من النوع المعقـول. وذلك بصـناعة الخطابة وصـناعة الشـعر، وفيما يختصّـان بـه، دون السوفسـطائيّة والجـدل والفلسـفة، فـإنّ كـلّ واحـدة منهما إنّما تتكلّم وتخــاطب حين ما تتكلّم وتخــاطب في المشــار إليه من الــتي إليها تقــاس المقـولات وتعـرّف بأشـياء ممّا في المقـولات، وأمّا الخطابة فإنّها تلتمس أن تقنع بأنّ فيه شـيئا مّا ممّا في المقـولات، وأمّا الشـعر فيلتمس أن يخيّل بـأنّ فيه شــيئا مّا ممّا في المقــولات. وما في نفس الخطيب والشــاعر من كــلّ واحدة منهما فإنّما يلتئم من نوع نوع من أنواع موضوعاتها، ومن نوع نــوع من أنــواع ما يلتمس الخطيب أن يقنع به أنّه في الموضــوع ويلتمس الشــاعر أن يخيّل به أنّه في الموضوع. والخطابة إنّما تلتئم من نـوع ما فيه تقنع ومن نـوع ما إيّـاه تقنـع، والشـعر يـاتئم من نـوع ما فيه يخيّل ومن نـوع ما إيّـاه يخيّـل. والفلسفة والجدل والسوفسطائيّة فإنّها لا تعدو الأنواع ولا تنحـطّ إلى المشـار إليه.

الفصل السادس: أسماء المقـولات (19) وينبغي لك إن أردتَ أن تعـرف تلك المقـولات أن تكـون قد عـرفت المتّفقة أسـماؤها؛ والمتواطئة أسـماؤها؛ والمتوســطة بين المتّفقة أســماؤها وبين المتواطئة أســماؤها - وهي الــتي تسـمّى باسم واحد وتُنسَـب إلى أشـياء مختلفة بشـيء متشـابه من غـير أن تسـمّى تلك الأشـياء الـتي تُنسَـب إليها باسم هـذه و من غـير أن يسـمّى ذلك الواحد باسم تلك الأشياء، والتي تسـمّى باسم واحد وتُنسَـب إلى شـيء واحد من غير أن يسـمّى ذلك الواحد باسم تلك الأشـياء، والـتي تسـمّى باسم واحد مشتقّ من اسم الشيء الـذي إليه تُنسَـب، مثل " الطبّيّ " المشـتقّ من اسم الطبّ، والـتي تسـمّى باسم واحد هو بعينه اسم الشـيء الـذي إليه تُنسَـب - وكلّ واحد من هذه إمّا متساو وإمّا متفاضل؛ ثمّ المتباينة أسماؤها؛ والمترادفة أسـماؤها؛ والمشـتقّة أسـماؤها. (20) وينبغي أن تعلم أيضا الأسـماء المتّفقة أشكال ألفاظها والمتواطئة أشكال ألفاظها وترتاضَ في هـذه أيضـا، فإنّها من المغلطات العظيمة التغليط. فمن ذلك ما شكله شكل مشـتقّ ومعنـاه معـنى مشتقّ، كقولنا" الرجل كَرْم " أي كـريم. ومنه ما شـكله شـكل فَعْل ومصـدر، ومعناه معنى مَفْعُول، كقولنا " خَلْقُ الله " أي مخلوقه. ومنه ما شـكله شـكل ما يَفْعَلُ ومعناه معنى ما يَنْفَعِلُ.ومنه ما شـكله شـكل مَفْعُـول ومعنـاه معـنى فَاعِل، مثل " سميع عليم " أي عالم وسامع أو مسـتمع. (21) وممّا ينبغي أن تعلمه أنّ لفظا على شكل مّا وبِنْيَة مّا يكون دالاّ بنفسه على شيء مّا بمعـنى أو على معنى بحال مّا، ثمّ يُجعَلَ ذلك اللفظ بعينه دالاّ على معـنى آخر مجـرَّد

عن تلك الحال؛ فتكون بنيته بنية مشتقّ يـدلّ في شـيء مّا على ما تـدلّ عليه ســائر المشــتقّات، ويُســتعمَل بتلك البنية بعينها في الدلالة على معــنى آخر مجرَّد عن كلّ ما تدلّ عليه سـائر المشـتقّات. (22) وإذا أُخـذت الأنـواع الـتي تشــتمل عليها مقولة مقولة من هــذه المقــولات ورُتّبت بــأن يُجعَل الأخصّ فـالأخصّ منها تحت الأعمّ فـالأعمّ تنتهي الأنـواع الـتي في كـلّ واحد منها إلى جنس عال، وتكون عنده الأجناس عشرة على عـدد المقـولات. فـأعلى جنس يوجد في الأنـواع الـتي تعرّفنا في مشـار مشـار إليه كم هو يســمّى الكمّيّـة. وأعلى جنس يعمّ جميع الأنــواع الــتي تعرّفنا في مشــار مشــار إليه كيف هو يسمّى الكيفيّة. وأعلى جنس يعمّ جميع الأنواع الـتي تعرّفنا في مشـار مشـار إليه أين هو يسمّى الأين. وكـذلك يسـمّى أعلى جنس يعمّ جميع الأنـواع الـتي تعرّفنا في مشـار مشـار إليه مـتى هو أو كـان أو يكـون يسـمّى مـتى. وأعلى جنس يعمّ جميع الأنواع التي تعرّفنا في مشـار مشـار إليه أنّه مضـاف يسـمّى الإضافة. وأعلى جنس يعمّ جميع الأنواع التي تعرّفنا في مشـار مشـار إليه أنّه على وضع مّا أو موضوع وضعامّا يســمّى الوضـع. وأعلى ما يعـرّف في مشـار مشار إليه أنّ له ما يتغشّى جسمه يسمّى أن يكون لـه. وأعلى ما يعـرّف فيه أن يفعلَ يسمّى أن يفعلَ. وأعلى ما يعرّف فيه أن ينفعلَ يسمّى أن ينفعــلَ. (23) وأسبق هذه كلّها عِلْما هو علم المشار إليه الذي حاله الحال التي وصفنا دون الباقيــة. فإنّه هو الــذي يُــدرَك أوّلا بــالحسّ. ثمّ هو بعينه يوجد موصــوفا ببعض هذه التي ذُكرت، مثل أنّه هو " هـذا الإنسـان " وأنّه هو " هـذا الأبيض " وأنّه هو " هذا الطويل ". فمتى أُخذ كلّ موصــوفا بسـائر المقـولات الأخر أُخذ مدلولا عليه باسم مشـتقّ. وإذا أُخذ كـلّ واحد من هـذه الصـفات من غـير أن يقال فيه " هذا " كأن يقال " هذا الإنسـان " أو " هـذا الأبيض " - بـأن يقـال " الإنســان " و " الأبيض "، انطــوى فيه المشــار إليه بــالقوّة. فيصــير ذلك وما أشبهه هو أوّل المعقـولات، وكـلّ واحد منهاإنّما ينطـوي فيه مشـار واحد بعينه في العدد، فيصـير " الإنسـان " و" الأبيض " و " الطويل " واحد بعينـه، فتُمـيز المقولات بعضـها عن بعض هـذا التميّـز. (24) ثمّ بـآخره يقع من النطق تميّز آخر. وذلك أن توجد هذه المعاني الكثيرة من غـير أن ينطـوي في شـيء منها هذا المشار إليه. فينزع الذهن هذه بعضها عن بعض ويُفرد كلّ واحد منها على حياله، فيُفرد معنى " البياض " على حدة ومعنى " الطول " على حدة ومعنى " العرْض " على حدة، وكذلك الباقية مثل " القيام " و" القعـود " وغـير ذلـك. وهذا شيء يخصّ العقل وينفـرد به دون الحسّ. وهي أسـبق إلى المعرفة من أن تكون منتزعة، ولكلّ واحد منها تقدُّم على الآخر بوجه مّا. غـير أنّ الألفـاظ إن كانت إنّما تدل عليها من حيث هي أحـرى أن تكـون معقولة ومن حيث لها تقـدُّم في العقل فألفاظها الدالّة عليها من حيث هي مفـردة عن المشـار إليه أقدم، ومع ذلك فإنّها تـدلّ عليها وهي منحـازة بطبائعها وحـدها ومن حيث هي أبسط وغــير مركّبة مع غيرهــا. وتكــون ألفاظها الدالّة عليها من حيث هي مع زيادة شيء ومن حيث هي أحرى أن تكون محسوسة، هي المتأخّرة المأخوذة من الأول. فإن كانت ألفاظها سـبقت عليها قبل أن تُنـتزَع، فسُـمّيت بأشـكال تدلّ عليها من حيث هي أصـناف المشـار إليـه، فتلك الأسـبق، وهـذه متـأخرة

مأخوذة من تلك. (25) ولكن كيف تمكّن الإنسـان أن يكـون قد وقف حيث ما كـانت في المشـار إليه أنّه معـنى من المشـار إليه حين علم أنّه مـركّب من شـيئين، لـولا أنّه علم كـلّ واحد من المركّبين على حياله ثمّ ركّب. فمن هـذا يجب أن تكون التسمية التي تدلّ على تـركيب بتغيّر شـكلٍ متـأخّرةً ومـأخوذة عن لفظ مّا عُلم وحده بسـيطا بلا تـركيب. فلـذلك رأى القـدماء أنّ هـذه هي المشتقّة وأنّ تلك هي المثالات الأول، لأنّهم إنّما يرون أنّ الألفاظ إنّما أحدثت بعد أن عُقلت الأشـياء، وأنّ الألفـاظ إنّما تـدلّ أوّلا على ما عليه الأمـور في العقل من حيث هي معقولة ومتى حـدث للعقل فيها فعل خـاصّ، وأنّه لا يُنكَر أن تكون الأشياء من قبل أن يحـدث فيها للعقل فعل خـاصّ ومن حيث كـانت هي أقرب إلى المحسوس قد كان يُدَلّ عليها إمّا بإشـارات وإمّا بحـروف وإمّا بأصوات وزعقات، أو بألفاظ غـير متأمَّل أمرها ولا مـدبَّرة من أنحـاء دلالاتها - فحينئذ إمّا أن لا تكون تلك ألفاظ وإمّا أن تكون غير كاملـة، فـإنّ الكاملة منها هي الـتي حصـلت دالّة عليها بعد أن صـارت معقولة بفعلٍ للعقل فيها خـاصّ. فاذلك يجب أن تُجعَل الدالّة عليها وهي مفـردة مثـالات أول، وباقيها مشـتقّة منها، مثل " الضَرْب " فإنّه مثال أوّل، و" الضارب " و " يضرب " و" ضَـرَبَ " و " سيضرب " و " مضروب " وأشباه ذلك مشتقّة، وكـذلك في غيرهـا. (26) والمقولات التسع الباقية يُدَلّ على كلّ واحد منها باسمين، مشتقّ ومثال أوّل، وأسماؤه المشـتقّة كثـيرة، مثل " عـالم " و " معلـوم " و " يعلم " و " عَلِمَ " وغـير ذلك ممّا له تصـاريف. وأمّا المقولة الدالّة على ما هو المشـار إليه فـإنّ أجناسـها وأنواعها أسـماء أ كثرها مثـالات أول و لا تصـاريف لها أصـلا، وفي بعضها ما شكل لفظه شكل مشتقّ وليس معنـاه مشـتقّا، مثل " الحيّ ". وأمّا فصولها التي تعرّف بأجناسها فتلتئم منها حدودها، فإنّها كلّها يُدَلّ عليها بأسماء مشـتقّة. وكـلّ ما يـدلّ على ما هو المشـار إليه فـإنّ المشـار إليه منطـوٍ فيه بالقوّة. وكذلك الأسماء المشتقّة الدالّة على سائر المقولات فإنّ المشـارٍ إليه منطـوٍ فيهابـالقوّة. وذلك أنّ المثـالات الأول الدالّة على سـائر المقـولات المنتزَعَة تنطوي فيها أجناسها بالقوّة مدلولا عليها بالمثالات الأول. وإذا أخذت مـدلولا عليها بألفاظها المشـتقّة انطـوت فيها أنواعها بـالقوّة مـدلول عليها بألفاظها المشتقّة وانطوى فيها مع ذلك المشار إليه بـالقوّة أيضـا. إلاّ أنّ تلك تنطوي فيها على مثال ما ينطوي المشار إليه تحت كلّ ما يعـرّف منه ما هـو. وأمّا أنـواع المقـولات الأخر فـإنّ المشـار إليه الـذي هو تحت كـلّ نـوع منها لا يمكن أن نُشير إليه إلاّ مع المشار إليه الأوّل، مثل " هذا البياض "، فإنّا نُشـير إليه وهو في هـذا الثـوب أو في هـذا الحائـط، لأنّا نُشـير إلى الثـوب أو إلى الحائـط. إلاّ أنّ المشـار إليه الأوّل لا يمكن أن نسـمّيه باسم مشـتقّ من اسم هذا البياض، إذ كان لا اسم له، ولكن يُدَلّ عليه بأن يقـال " هو في موضـوع لا على موضوع ". والمشار إليه الأوّل لا ينفكّ من مشـار إليه هو في موضـوع لا على موضوع، وإنّما يوصف المشار إليه الذي لا في موضوع بنوع المشـار إليه الذي هو في موضوع، إذ كان المدلول عليه باللفظ نوعه وليس هو بنفسه.

الفصل السابع: أشـكال الألفـاظ وتصـريفها (27) وا لأ لفـاظ الدالّة على الذي يعرّف ما هو كلّ واحد ممّا هو مشار إليه وليست في موضوع هي ألفاظ لا تُصرَّف أصلا، أي لا تُجعَل لها كَلِم. والدالّة على سـائر المقـولات الأخر مـتى أُخذت من حيث ينطوي فيها المشـار إليه بـالقوّة فلها أشـكال، ومـتى أُخـذت دالّة عليها من حيث هي مفردة في النفس عن المشار إليه الذي في موضوع فلها أشكال أخر. وكثير من التي يُدَلّ عليها من حيث هي مفـردة عن المشـار إليه تُجعَل لها كَلِم . فـإذا جُعلت لها كَلِم وحصـلت هـذه المـراتب الأربع من المعارف - أعني علم المشـار إليه أوّلا، ثمّ أنّه هـذا الإنسـان وهـذا الأبيض، ثمّ الإنسـان والأبيض، ثمّ الإنسـان والبيـاض - ابتـدأت التسـمية حينئـذ، إذ كـانت النفس تتشـوّق إلى الدلالة على ما لا تفي الإشـارة بالدلالة عليـه. فـإنّ الـذي يشار إليه هو هـذا الأبيض لا البيـاض ولا الأبيض على الإطلاق، وهـذا الطويل لا الطـــول ولا الطويل على الإطلاق - ولكنّ الطويل والأبيض هو أقـــرب إلى المشـار إليه من الطـول والبيـاض. (28) فـإذا انـتزعت القـوّة الناطقة هـذه الأشياء بعضها عن بعض، عادت فركّبت بعضها إلى بعض ضـروبا من الـتركيب تتحرّى بها محاكاة ما هو خارج النفس من التركيب، فيصير لها بعضا إلى بعض تركيب القضايا فتحدث الموجبات والسوالب، وبعضها تركيب تقييد واشـتراط، وبعضها تركيب اقتضاء مثل الأمر والنهي، وغير ذلك من أصـناف التركيبـات. (29) فتحدث حينئذ ألفاظ وتُقدَّر، ويقع تأمّل لها وإصلاح، وان يتمّ المحاكـاة بها للمعقولات، وتحدث به أصناف الألفاظ، ويُـدَلّ بصـنف صـنف منها على صـنف صنف من المعقولات، فتحصل الألفاظ الدالّة أوّلا على ما في النفس. وما في النفس مثـالات ومحاكـاة للـتي خـارج النفس. وإنّما قلنا " أوّلا " أنّ انفــراد المعـاني المعقولة بعضـها عن بعض ليس يوجد خـارج النفس وإنّما يوجد في النفس خاصّة. والألفاظ ينفرد بعضها عن بعض مدلولا بها على المعـاني الـتي ينفرد في النفس بعضها عن بعض. (30) والألفاظ هي أشبه بالمعقولات الـتي في النفس من أن تشبه التي خارج النفس. ولـذلك أنكر خلق أن يكـون كثـير من التي تدلّ عليها الألفاظ موجودة أو صادقة، مثل " البياض " و " السـواد " و " الطـــول "، بل يزعمـــون أنّ الموجـــود هو " الأبيض " لا " البيـــاض" و " الطويل " لا " الطــول ". بل أنكر كثــير منهم أيضا أن يكــون " الأبيض " و " الإنسان " موجودا، بل الموجود - زعموا - هو " هذا الإنسان " و " هذا الأبيض " و " هـذا الطويل ". بل أنكر أيضا كثـير من النـاس أن يكـون ما يـدلّ عليه المشـار إليه ليس بكثـير، فـأبطلوا وجـود المعقـولات. غـير أنّ هـذه مخالفة المحســوس ومخالفة المعـارف الأول وخـروج عن الإنسـانيّة. لأنّ في طبـاع الإنسان أن ينطق بألفاظ وفي طباعه أن يدلّ ويعلّم، وأن تحصل الأشــياء في ذهنه معقولة بالحال التي وُصفت. وليس يمكن أن يُكشَف ما غلط فيه هــؤلاء إلاّ أن توضع الناطقة والتعليم والتفهيم فيما بيننا وبينهم، وإلاّ لم يكن بيننا وبين النبـات والحجـارة فـرق. فأمّا إذا وضـعنا حيوانا وإنسـانا، لم يكن بُـدّ من التعليم والتفهيم، بل تجعل ذلك بما شـئت من الأمـور بعد أن تكـون مُفهمة أو دالّة من بعض لبعض. وإذا كان كـذلك عـادت المعقـولات على ما رُتّبت. (31) وظاهر أنّ التسمية إذا حصلت بالألفاظ وأُصلحت على مـرّ الـدهور إلى آن أن

تحصل الصناعة، وُجد فيها ما هو مشتقّ وما هو غير مشتقّ، ووُجد فيها ما يدلّ على معان منتزَعة عن المشار إليه وعلى ما يـدلّ على هـذه المعـاني بأعيانها من حيث المشار إليه موصوف بها - وهذا بعضه يـدلّ على ما هو المشـار إليه وبعضه يـــدلّ على غـــيره من المعقـــولات. والمعـــاني المنتزَعة هي متـــأخّرة بالزمان عنها من حيث يوصف بها المشار إليه ومن حيث ينطـوي فيها بـالقوّة المشا ر إليـه. وأمّا الألفـاظ الدالّة عليهـا، فإنّه ينبغي أن تكـون هنـاك ألفـاظ مشـكّلة بأشـكال تـدلّ عليها من حيث هي منتزَعة مفـردة عن المشـار إليـه، وألفاظ أخر تدلّ عليها من حيث المشـار إليه منطـوٍ فيها بـالقوّة. (32) وقـوم زعموا أنّ الألفاظ التي تـدلّ عليها من حيث ينطـوي فيها بـالقوّة المشـار إليه ومن حيث المشـــار إليه موصـــوف بهابـــالقوّة هي مشـــتقّة من ألفاظها الدالّة عليها من حيث هي منتزَعة عن المشـار إليـه، وأنّ ألفاظها تلك هي المثـالات الأول. وآخرون رأو اعكس ذلك. ولكلّ واحد من الفريقين موضع مقـــال. فإنها من حيث هي صفات المشار إليه والمشار إليه موصوف بها أحرى بـأن تكـون موجودة خارج النفس منها كلم- وهذه تسمّى عند نحـويي العـرب " مصـادر " وهي تصرَّف في الأزمان الثلاثة. وما كان من هذه تدلّ عليها من حيث ينطوي فيها المشـــار إليه الـــذي لا في موضـــوع فإنها كلها مشـــتقة. وقد توجد ســـائر المقولات منها ما ينطوي فيه المشار إليه الذي لا في موضـوع وليس بمشـتقّ من مصـدر. فـإذا أردنا أن نجعل له شـكلا يقـوم مقـام المصـدر، كـان حينئذ المشكَّل بذلك الشكل أحرى أن يكون مـأخوذا من اللفظ الـذي ليس بمشـتقّ من المصدر. وهذا بعينه نفعله في أسماء الأشياء التي تعرّف في المشـار إليه - من التي لا في الموضوع - ما هو، مثل " الإنسان "، فإنّا نقـول " إنّه إنسـان ظـاهر الإنســانيّة " و " رجل بيّن الرجوليّة "، فيكـون ذلك شـبيهاً بقولنا " هو أبيض بيّن البياض " و " هو عالم تامّ العلم "، فتكون " الإنسانية " مصـدرا و " الرجوليّة " مصدرا أو قائما مقـام المصـدر. غـير أنّه بيّنُ أنّ مصـدر المقـولات الأخر إنّما يدلّ عليها مفـردة منتزَعة من موضـوعاتها الـتي تُعـرَف منها ما هو خارج عن ذاتها.فإذا انتُزعت عن تلك الموضوعات سائر المقولات في الـذهن، بقيت الموضـوعات موجـودة معقولـة، وكـانت المفـردة عنها معقولة مجـرَّدة بطبائعها وحدها غير مقترنة بغيرها. (33) وينبغي أن ننظر في " الإنسـانيّة " و " الرجوليّة " و " البنائيّة " وأشباه ذلك ممّا يجري مجـرى المصـادر، هل تـدلّ على أشياء مفردة انتُزعت عن موضوعات فأُفردت عنهـا. فـإن كـانت كـذلك، فما موضوع " الإنسانيّة ". فإن كان ذلك هو " الإنسان " فإنّ " الإنسان " إنّما يدلّ على معنى انطوى فيه بالقوّة موضـوع. فمعـنى " الإنسـان " مـركّب من ذلك الموضـــوع ومن معـــنى مّا من الموضـــوع لا يـــدلّ على ذاتـــه، ويكـــون مجموعهما هو جملة معنى " الإنسـان " - " حـال البيـاض " من " الأبيض " -، وتلك تكون حال كلّ ما يعرّف من المشار إليه - الذي لا في الموضوع - ماهو. فيكون كـلّ واحد منها مركّبا من شـيئين، أحـدهما مثل " البيـاض " الآخر مثل الذي فيه " البياض "، ومجموعهما " الأبيض "، وهو مثل " الإنسان ". وكما أنّ " الأبيض " إنّما ينطوي فيه موضوعه بالقوّة، فياهل تُرَى " الإنسـان " ينطـوي فيه موضوعه بالقوّة أيضا. (34) وظاهر أنّ الموضوع غـيرُ المشـار إليه الـذي

ينطـوي في " الإنسـان " بـالقوّة. لأنّ " الإنسـان " هو معقـول للمشـار إليه ويعرّف من المشار إليه ماهو، وأمّا هذا الموضوع فإنّ " الإنسان " يدلّ منه لا على ماهو. ونسبة هذا الموضوع من " الإنسان " كنسبة المشـار إليه الـذي لا في موضـوع من " الأبيض ". ونسـبة المشـار إليه من " الإنسـان " كنسـبة المشار إليه الـذي تحت " الأبيض " – وهو شـخص " الأبيض " - ممّا هو أبيض، وهو الـذي يعـرّف " الأبيض " منه ما هو بالفعـل، إذ نقـول إنّ " الإنسـان " ينطوي فيه ذلك الموضوع بالفعـل. ف"الإنسـان " إذن مـركّب من شـيئين بها قوامه. فبيّنٌ أنّ الذي به قـوام " الإنسـان " والـذي يـدلّ عليه حـدّه هو جنسه وفصله، أو شيئان أحدهما كالمادّة والآخر كالصـورة والخِلقـة؛ مثل " الأبيض " الذي " البيـاض " له مثل الصـورة والفصـل، والموضـوع المشـار إليه أو بعض أنواعه أو أجناسه كالمادّة أو الجنس. غـير أنّ " الأبيض " دلالته على " الأبيض " بالفعل ودلالته على الموضوع بالقوّة، فهل " الإنسـان " يـدلّ على الـذي هو له كالصـورة أو كالفصل بالفعل ويـدلّ على الـذي هو كالمـادّة أو كـالجنس بالقوّة، أو دلالته عليهما بالفعل. فإن كـان ذلـك، ف"الإنسـانيّة " الـتي منزلتها من " الإنسان " منزلة " البيـاض " من " الأبيض "، ما هي منهمـا، هي المـادّة أو الصورة، أو هل هي الجنس أو الفصل. فـإن كـان " البيـاض " كالصـورة أو الفصل، ف"الإنسـانيّة " هي ماهيّته الـتي هي الصـورة أو الفصل مجـردًّا دون المادّة أو الجنس. فإذن " الإنسانيّة " هي إمّا مثل " الناطق " وحدّه وإمّا مثل " النطق ". فإذا كانت " الإنسانيّة " هي " النطق " مجرَّدا عن " الناطق "، و" الإنسـان " هو " النـاطق "، ف"النـاطق " ينطـوي فيه " الحيـوان بـالقوّة لا بالفعـل. ف"النـاطق " إذن لا يـدلّ على ما هو " الإنسـان " أ كـثر من أنّه " حيوان ". فإذن أمثال هذه المصادر فيما تعـرّف ما هو المشـار إليه إنّما تصـحّ دلالتها في كلّ ما كان منها مركّبا إذا أُفرد ما هو منـه، مثل الصـورة أو الفصل الذي لا يُـدَلّ عليه باسم مشـتقّ. وما لم يكن منقسـما، وكـان إمّا كالصـورة لا في مـادّة أو مـادّة بلا صـورة، فليس يمكن أن يُجعَل له مصـدر. فـإن جُعل له مصدر كان ما يدلّ عليه المصدر والمشتقّ منه معنى واحدا لا غـير. فقد تـبيّن أيضا أنّ فصول ما يدلّ على ما هو هذا المشار إليه هي أيضا تعرّف ما هو هذا الشيء. (35) وعلى أنّ في سائر الألسـنة سـوى العربيّة مصـادر ما تتصـرّف من الألفـاظ وتُجعَل منها كَلِم على ضـربين، ضـرب مثل " العِلْم " في العربيّة وضرب مثل " الإنسـانيّة "، وبالجملة مثل مصـادر ما لا يتصـرّف من الأشـياء. فإنّ أهل " الإنسانيّة "، وكذلك سائر الأسماء - ممّا تتصرّف وممّا لا تتصـرّف - يجعلون لها مصدر ا على هذه الجهة - أعني أنّهم يقولـون من المثلّث " مثلّثيّة " ومن المدوَّر " مدوَّريّة " ومن الأبيض " أبيضـيّة " ومن الأسـود " أسـوديّة ". على أنّهم يقولون أيضا " التثليث " و " التدوير " و " البيـاض " و " السـواد ". ف" الأبيضـيّة " و" الأسـوديّة " و " الظنيّة " و " العالميّة " و " المثلّثيّة " و " المدوَّريّة " هي أشبه ب"الإنسـانيّة " و " الرجوليّة " من شـبهها ب" العِلْم " و " السواد " و " البياض ". فإنّ " العِلْم " و " السواد " و " البيـاض " إنّما تـدلّ على معـاني هـذه مجـرَّدة مفـردة عن كـلّ موضـوع وكـلّ ما يُقـرَن به في موضوعه. وأمّا " الأبيضيّة " و " الأسوديّة " فكأنّها تدلّ على هذه المعـاني من

حيث هي في موضـوعاتها ومن حيث هي غـير مفارقة موضـوعها. فلـذلك قد تكون بهذا الشكل بعينه في تلك الألسنة الألفاظ المركَّبة، مثل " العَبْقَسَة " و " العَبْشَمَة " و " العَبْدَرِيَّة ". وكذلك تدلّ هذه الأشكال على هذه المعـاني من حيث هي متمكّنة في موضــوعها. فــإنّ هــذا هو الفــرق بين " العــالِم " و " العالِميّة " في تلك الألسـنة، فـإنّ " العِلْم " قد يكـون لما هو غـير متمكّن ولا يصير بعد صناعة ولا هو عسـير الـزوال، وأمّا " العالِميّة " فإنّها تـدلّ عليها من حيث هي متمكّنة في موضوعاتها غير مفارقة. وأمّا مثل هذه المصادر فيشــبه أن تكون مشـتقّة ومـأخوذة من الأسـماء. وهـذه لا تتصـرّف بأنفسـها في تلك الألسنة، ولكن إذا أرادوا أن يصرّفوها جعلوا منها لفظة الفعل، فنقـول " فَعَـلَ العالِميّة " و " يسـتعمل العالِميّة ". فلـذلك ينبغي أن نفهم من " الإنســانيّة " أنّها تدلّ على شـيء غـير مفـارق لموضـوع مّـا. (36) غـير أنّ هـذه المصـادر تفارق الأسـماء الـتي لم تُشكَّل بهـذه الأشـكال في أنّ الأسـماء ينطـوي فيها معنى الوجود الذي هو الرابط الذي به يصير المحمول محمـولا على موضـوع. فلـذلك نقـول " زيد إنسـان " ولا نقـول " هو إنسـانيّة "، و " زيد عـالِم " و لا نقـول " هو عالِميّة ". وأشـكال الألفـاظ الدالّة على الوجـود الـذي هو الرابط تختلف فيما تعـرّف وفيما تعـرّف منه أشـياء أخـر، مثل كم وكيف وغـير ذلـك. فيكون الذي يعرّف ما هو شكل مّا والذي يعرّف أنحاء أخر من التعريف شـكلا آخر، فالشكل الذي لذلك لا يُستعمَل في هذا والذي لهذا لا يُستعمَل في ذلك. ولكن لمّا كــانت الألفــاظ إنّما هي بالشــريعة والوضع أمكن أن يُخَــلّ بهــذا القانون. فإنّه ربّما اتّفق أن يكون اشتراك في الأشكال. فيكون شــكل مّا دالاّ في الأ كــثر على الوجــود الرابط في تعريف أنحــاء أخر من التعريف لا من طريق ما هو يحيل أحيانا فيــدلّ على ما هــو، مثل " الحيّ " الــذي يُســتعمَل مكان " الحيوان " الذي هو جنس الإنسان. فإنّ اسم " الحيّ " وشكله مشتقّ وليس يعبَّر به معنى المشتقّ. ويكـون شـكل مّا دالاّ في الأ كـثر على الوجـود الرابط فيما يعـرّف ما هو يحيل أحيانا فيـدلّ على نحو آخر من التعريـف. وقد تكون أحيانا ألفاظ أشكالها مصادر ومعانيها معاني المشتقّ، مثل " رجل كَـرْم ". وقد يلحق في اليونانيّة شـيء طريـف، وهو أنّه قد يكـون اسم مّا دالاّ على مقولة ونوع مّا مجرَّد عن موضوعه، ولا يسمّى الموضوع به من حيث يوجد له ذلك النوع باسم مشـتقّ من اسم ذلك النـوع، بل مشـتقّ من اسم نـوع آخـر، مثل " الفضـيلة " في اليونـانيّ، فـإنّ المكيَّف بها لا يقـال فيه " فاضل " كما يقال في العربيّة، بل يقال " مجتهد " أو " حريص".

الفصل الثامن: النسبة (37) النسبة يسـتعملها المهندسـون من أصـحاب التعاليم دالّة في الأعظام على معنى هو نوع من الإضافة التي هي مقولة مّـا. فـإنّهم يحـدّون النيبة في الأعظـام أنّها " إضـافة في القَـدَر بين عِظَمَين من جنس واحد ". ويعنــون بقــولهم " من جنس واحد " أن تكــون إضــافة بين سطحين أو خطّين أو حجمين، لا أن تكـون بين سـطح وخـطّ، وحجم وسـطح، وحجم وخطّ. ويعنون بقولهم " في المقدار " المساواة والزيادة والنقص. فإنّ الإضافة في القدر على الإطلاق ليست هي غير هـذه النسـبة، وذلك أن تكـون

متسـاوية أ وبعضـها زائـدا على بعض أو بعضـها ناقصا عن بعض. ثمّ أصـناف النسب عنـدهم على عـدد أصـناف المسـاواة أ و النقصـانات أو الزيـادات. و المساواة الـتي لها متشـابهة وإن كـانت في أجنـاس مختلفـة، مثل أنّه سـاوى خطّ خطّا كان الشبيه به في النسبة حجم يساوي حجما آخر أو سطح يسـاوي سطحا آخر. وإن كان خطّ زائدا على خطّ وهـذا زائد على آخـر، كـانت نسـبته بتلك الزيادة على حسب ما تحدّه صناعة، وهو أن تكون الزيادتـان متسـاويتين معا على ما يحدّه المهندسون - يقولون في الأقدار المتناسية نسـبة واحـدة " إنّها هي الـتي إذا أخـذت للأوّل والثـالث أضـعاف متسـاوية، وللثـاني والرابع أضعاف متسـاوية، كـانت أضـعاف الأوّل والثـالث زائـدتين معا على أضـعاف الثـاني والرابع أو ناقصـتين عنهما معا أو متسـاويتين لهما معا "، وسـائر ما نجدهم يقولونه، فإنّها كلّها أنواع من الإضـافة. (38) وأصـحاب العـدد يجعلونها أيضا نوعا من الإضـافة. فـإنّهم يقولـون " إنّ النسـبة في العـدد هو أن يكـون العدد جزءا أو أجزاء من عـدد آخر ". وهـذا نـوع من أنـواع الإضـافة أخصّ من الذي يأخذه المهندسون. فإنّ النسـبة الـتي يحـدّها المهندسـون هو جنس يعمّ النسبة التي يحدّها صاحب العدد. وذلك أنّ النسبة التي يحـدّها صـاحب العـدد منطقيّة، والنسبة التي يحدّها المهندسـون منها منطقيّة ومنها غـير منطقيّـة. (39) والمنطقيّون يجعلون النسبة أعمّ من الإضافة التي هي مقولة مّا، فـإنّهم يجعلـون الإضـافة نسـبة مّـا. وبالجملة كـلّ شـيئين ارتبطا بتوسّـط حـرف من الحروف التي يسمّونها حروف النسبة - مثل " من " و " عن " و " على " و " في " وسائر الحروف التي تشاكلها - يسمّونها " المنسوبة بعضـها إلى بعض " (ويسـمّون هـذه حـروف النسـبة)، وكـذلك المرتبطـات بوصـلة أخـرى سـوى الحروف - أيّ وصلة كانت. ويحصون في النسبة عـدّة مقـولات، منها الإضـافة ومقولة أين ومقولة متى ومقولة أن يكـون لـه. وقـوم يجعلـون النسـبة جنسا يعمّ هــذه الأربعــة. غــير أنّه ليس ينبغي أن تُجعَل جنسا ومقولة على أشــياء كثيرة بتواطؤ، إذ كانت اللفظةتقال عليها بتقديم وتأخير. فإنّ متى متأخرة عن أين، فإنّ نسـبة وجـود الزمـان هو أن ينفعل الجسم في أين مّا فيحـدث حينئذ الزمـان الـذي ينطبق على الشـيء ويُنسَـب إليه لأجل انطباقه على وجـوده، فهذه النسبة شبيهة بتلك النسبة - أعني نسبة الشـيء إلى مكانـه. وأن يكـون له هو نسبة مّا، غير أنّها ليس تكون دون أن يكـون أين مّـا؛ فـإذا كـان كـذلك، كانت هذه النسبة متأخرة عن الوضع، والوضع متأخر عن الأين. فالنسبة يقـال عليها بتقــديم وتــأخير. فالنســبة إنّما تقــال في أن يكــون له لأجل وضع ذلك الشــيء من شــيء آخر في أين مّــا. فلــذلك ليس ينبغي أن يقــال إنّ لفظة النسـبة يقـال عليها بتواطـؤ، بل باشـتراك، أو بجهة متوسّـطة بين الاشـتراك والتواطـؤ، أو بتواطؤ مّا . فالنســبة تقــال باشــتراك أو بجهة متوسّــطة على مقولة الإضافة وعلى مقولة أين وعلى مقولة متى وعلى مقولة أن يكون لــه. ثمّ يكون اسم النسبة مقولا على أنواع الإضـافة الـتي يسـتعملها المهندسـون. فيكون الاسم الأعمّ عند المنطقيّين يُستعمَل على الخصوص عند المهندســين. فيكون الاسم الذي يقال على الجنس الذي هو بالإضافة يقـال أيضا على بعض أنواعه، ويكـون ذلك من جملة الأسـماء الـتي تقـال على العمـوم أحيانا وعلى

الخصوص أحيانا. فإذا سُئلنا عن حدّ النسبة أجبنا " الإضـافة "، ثمّ نرسم " أين "، ثمّ نرسم " متى "، ونرسم " أن يكون له ". فإذا سُئلنا عن حدّ ما يعمّ هذه أجبنا بأنّها ليس لها حـدّ يعمّ هـذه الأربعـة. (40) على أنّ اسم الإضـافة واسم النسبة يستعملها النحويّون في الدلالة على ما هو أخصّ من هـذه كلّهـا. وذلك أنّ المنســوب إلى بلد أو جنس أو عشــيرة أو قبيلة يُـدَلّ عليه عند أهل كــلّ طائفة بألفـاظ مشـكّلة بأشـكال متشـابهة ينتهي آخرها إمّا إلى حـرف واحد - مثل ما في العربيّة والفارسيّة - أو إلى حروف بأعيانهـا، مثل ما في اليونانيّـة. وكلّ اسم كان مشكّلا بـذلك الشـكل فإنّه دالّ عنـدهم على النسـبة، وما عـدا ذلك من الألفاظ التي ليست مشكّلة بـذلك الشـكل فليست دالّة على نسـبة. فهم يخصّون هذه خاصّة باسم النسبة والمنسـوب، وما عـدا هـذه لا يسـمّونها منسوبة ولا نسبة. وكذلك لأهل كلّ لغة أشكال في الألفاظ أو حروف يقرنوها بألفاظهم، فمتى كانت ألفاظهم مشكّلة بتلك الأشـكال أو كـانت مقرونة بتلك الحروف قيل في معاني تلك الألفاظ من حيث هي مدلول عليها بتلك الألفـاظ مشـكّلة بتلك الأشـكال أو مقرونة بتلك الحـروف إنّها " مضـافة ". والإضـافة عندهم هي أن يُـدَلّ على المعـاني بألفاظها مشـكّلة بتلك الأشـكال أو مقرونة بتلك الحروف، وما عـدا ذلك يسـمّونها " مضـافة " لا " إضـافة ". وإذا تـأمّلتَ معنى معـنى من الـتي يـدلّون عليها بتلك الألفـاظ وجـدتَ بعضـها تحت مقولة الإضافة وبعضها في سائر المقولات أنسب. فهـذه معـاني النسـب، ولا معـنى لها غير هذه الإضافة.

الفصل التاسـع: الإضـافة (41) والمضـافان يُنسَـب كـلّ واحد منهما إلى الآخر بمعـنى واحد مشـترك لهما يوجد معا لكـلّ واحد منهمـا، مثل أن يكـون المضـافان آ و ب، فـإنّ ذلك المعـنى المشـترك إذا أُخذ بحـروف " آ إلى ب " نُسب به حرف آ إلى ب، وإذا أُخذ بحروف " ب إلى آ " نُسب به حرف ب إلى آ، وذلك المعـنى المشـترك هو الـذي هو إضـافة، وبه يقـال كـلّ واحد منهما بالقياس إلى الآخر. وذلك المعنى الواحد هو الطريق الذي بين السطح وأرض الدار الذي إذا أُخذ مبدؤه من السطح وانتهاؤه عند الأرض يسمّى هبوطـا، وإذا جُعل مبدؤه من الأرض ومنتهاه السطح يسـمّى صـعودا، وليس يختلف إن أُخذ ما له في طرفيه فقط. وكذلك الإضافة، فـإنّ المضـافين هما طرفاهـا، فتؤخذ مرّة من آ إلى ب ومرّة من ب إلى آ. (42) وأنواع الإضـافة منها ما لا اسم له أصلا، فيبقى المضافان لا اسم لهما من حيث يوجد لهما ذلك النـوع من أنـواع الإضافة، فيؤخذ اسماها اللـذان يـدلّان على ذاتيهما لا من حيث هما مضـافان، فيُستعمَلان عند الإضافة، فلا يتبيّن معنى الإضافة فيهما. ومنهاما يوجد له اسم إذا أُخذ لأحدهما، ولا يكـون له اسم إذا أُخذ للآخـر، فيُسـتعمَل اسم ذلك الآخر الدالّ على ذاته عند الإضـافة واسم الأوّل الـدالّ عليه من حيث له ذلك النـوع من أنواع الإضـافة. ومنها ما يوجد له اسـمان يـدلّ كـلّ واحد منهما على واحد من المضــافين من حيث له ذلك النــوع من أنــواع الإضــافة، فيؤخذ لهما عند إضافة كلّ واحد منهما إلى الآخر اسمه الدالّ عليه من حيث له ذلك النوع من أنــواع الإضــافة. فمن هـذه ما اسـماها متباينــان - مثل " الأب " و " الابن " -

ومنه ما اسـماها مشـتقّان من شـيء مّا - مثل " المالِك " و " المملـوك " - ومنه ما اسم أحدهما مشتقّ من اسم آخر - مثل " العِلْم " والمعلوم " - ومنه ما اسماهما جميعا شيء واحد - مثل " الصديق " و " الصـديق " و " الشـريك " و" الشريك ". وكثير من التي لها اسمانقد يسامح المتكلّم فيأخذ أحـدهما أو كلّ واحد منهما بالقياس إلى الآخر ومنسوباإلى الآخر مدلولا عليهما باسميهما الـدالّين على مجـرَّد ذاتيهمـا، من غـير أن يؤخذ اسـميهما الـدالّين عليهما من حيث لهما نـوع الإضـافة الـتي بها صـار كـلّ واحد منهما منسـوبا إلى الآخر - كقولنا " ثـور زيد "، فإنّه لا الثـور ولا زيد يـدلّ على نـوع الإضـافة الـتي لأجلها نُسب الثــور إلى زيــد. بل إن قلنا " إنّ الثــور المملــوك زيد مالكه " كــان " المملــوك " و " المالك " هما اســماهما من حيث يوجد لهما ذلك النــوع من الإضافة. و" زيد " هو اسمه الدالّ على ذات المضاف إليـه، فلا يـدلّ عليه من حيث له هـذا النـوع من الإضـافة. ولو قلنا " فلان عبد لزيد مـولاه " لَكُنّا عبّرنا عنهما باسـميهما الـدالّين عليهما من حيث لهما هـذا النـوع من الإضـافة. ومن المضاف ما يوجد للمتضـايفين اللـذين لهما جنسه اسـمٌ لكـلّ واحد منهما من حيث يوجد لهما جنس الإضـافة الـذي لهما، ولا يوجد لهما اسم من حيث لهما نوع لذلك الجنس من الإضـافة. مثل " العِلْم" و " المعلـوم "، فـإنّ العلم عِلْمٌ للمعلـوم والمعلـوم معلـوم للعلم، وأنـواع العلم ليس يوجد لها اسم من حيث لها أنواع الإضافة التي العلم هو جنسها إلى أنـواع المعلـوم الـذي هو جنسـها، مثل " النحو " و " الخطابة ". فلـذلك يمكن أن يقـال " النحو نحـوٌ لشـيء هو معلوم بالنحو "، بل إذا أردنا أن نضيف النحو إلى شيء مّا ممّا له إليه إضــافة من المعلومات بالنحو أخذناه موصوفا بجنسه فقلنا " النحو علم للشيء الـذي هو معلوم بالنحو ". (43) فشريطة المضـافين أن يكـون كـلّ واحد منهما أخذ مدلولا عليه باسمه الدالّ عليه من حيث له ذلك النوع من الإضافة.فلذلك قال أرسطوطاليس " إنّ المضافين هما اللـذان الوجـود لهما أنّهما مضـافان بنـوع من أنـواع الإضـافة ". فلـذلك إذا وجـدنا شـيئا منسـوبا إلى شـيء بحـرف من حروف النسبة، أو كان شكلهما أو شكا أحدهما شكل مضاف في ذلك السان، فليس ينبغي أن يقـال إنهما مضـافان حتّى يكـون اسـماهما دالّين عليهما من حيث لهما ذلك النوع من الإضافة. فحينئذ ينبغي أن يقال إنّهما مضافان. (44) وأمّا الجمهور والخطبـاء والشـعراء فيتسـامحون في العبـارة ويجـوّزون فيهـا. فلـذلك يجعلـون لكـلّ اثـنين قيل أحـدهما بالقيـاس إلى الآخر مضـافين، كانا موجودين باسميهما الـدالّين عليهما من حيث لهما ذلك النـوع من الإضـافة، أو كانا موجودين باسميهما الدالّين على ذاتيهما، أو كـان أحـدهما مـأخوذا باسـمه الدالّ عليه من حيث له الإضـافة الـتي لهما والآخر مأخوذاباسـمه الـدالّ على ذاته. وبهذا يُرسَم المضاف أوّلا، إذ كان المضاف في بادئ الرأي هـذا رسـمه. فلذلك رسمه أرسطوطاليس في افتتاحه باب المضاف في كتاب " المقـولات " بـأن قـال " يقـال في الأشـياء إنّها من المضـاف مـتى كـانت ماهيّاتها تقـال بالقيـــاس إلى الآخر بنحو من أنحـــاء النســـبة - أيّ نحو كـــان "، أراد بقوله " ماهيّتها " ما تدلّ عليه ألفاظها كيف كانت على العموم، كـانت تـدلّ عليها من حيث هي أنـواع الإضـافة الـتي لهـا، أو كـان المـدلول عليها بألفاظها ذواتهـا.

فلذلك لمّا أمعن أرسطوطاليس في تلخيص معاني المضاف لزم عنها ما يُبين بـأنّ الرسم الأوّل ليس فيه كفاية في تحديد المضـاف. فحينئذ خصّ المضـاف بالرسم الآخر، فتمّ له معـنى المضـاف معـنى واحدالحقه حـدّ المضـافات ولم يُخلّ أصلا. (45) فهذه هي المضافات وهـذه هي الإضـافة وهـذه هي الأسـماء الـتي ينبغي أن يُحتفَظ بها في المضـاف والإضـافة. وجميع ما تسـمع نحـويّ العرب يقولون فيها إنّها مضافة فإنّها داخلة تحت المضاف الـذي ذكرنـاه على الجهـات الـتي عند الخطبـاء والشـعراء وعلى الرسم الأوّل الـذي رسم به أرسطوطاليس المضاف في كتابه في " المقولات ". غير أنّها مضافات فـرّط المضيف أو تجوّز أن يجعل إضافات بعضها إلى بعض إضـافة معادَلـة، وليست هي على الرسم الأخـير الـذي رسم به أرسـطوطاليس المضــاف في ذلك الكتـاب. وأنت فينبغي أن لا تسـمّي المضـاف إلاّ ما كـان داخلا تحت الرسم الأخير، وهي ما كانت إضافة أحدهما إلى الآخر إضافة معادَلة.

الفصل العاشر: الإضـافة والنسـبة (46) وأمّا ما سـبيله أن يجـاب به في جـواب " أين الشـيء " فإنّه إنّما يجـاب فيه أوّلا بالمكـان مقرونا بحـرف من حروف النسبة، وفي أ كثر ذلك حرف في، مثل قولنا " أين زيد " فيقال " في الـبيت " أو " في السـوق ". فـإنّ الأسـبق في فكر الإنسـان من معـاني هـذه الحروف هو نسبة الشيء إلى المكـان أو إلى مكانه الـذي له خاصّـة أو لنوعه أو لجنسه. ويشبه أن تكون هـذه الحـروف إنّما تُنقَل إلى سـائر الأشـياء مـتى تخيَّل فيها نسـبة إلى المكـان. والمكـان لمّا كـان محيطا ومطيفا بالشـيء، والشيء المنسـوب إلى المكـان محـاط بالمكـان - فالمحيط محيط بالمحـاط والمحاط محاط به بالمحيط - فالمكان بهذا المعنى من المضـاف. وأيضا فـإنّ أرسطوطاليس لمّا حدّ المكان في " السماع الطبيعيّ " قـال فيه " إنّه النهاية المحيط ". فقد جعل المحيط جـزءا من حـدّ المكـان، وجعل ماهيّته تكمل بأنّه محيط، وإنيته ما به محيـط، والمحيط محيط بالمحـاط والمحـاط به هو الـذي في المكان. فإن كان معنى قولنا " في " أنّه محــاط، فقولنا " في " ههنا إنّما يدلّ على مضاف. فيكون ما يجاب به في جـواب " أين " من المضـاف، فـأين إذن من المضاف. (47) غير أنّه إن كـان معـنى قولنا " زيد في الـبيت " ليس نعني به أنّه محاط بـالبيت - وإن كـان يلـزم ضـرورة أن يكـون محاطا بحسب حدّ المكان -، وكان قولنا " في البيت " ليس نعـني به هـذه النسـبة بل نسـبة أخرى لا تدخل في المضاف، كـانت مقولة أين ليست من المضـاف. ويعـرض لها أن تكـون من المضـاف لا من جهة ما هي مقولة أين ومن حيث يجـاب بها في جواب سؤال " أين ".ويكون معنى حرف في ههنا نسبة أخرى غـير نسـبة الإضـافة. فـإنّ كـان يلحقها مع ذلك نسـبة الإضـافة، فتكـون لها نسـبتان إلى المكـان، وتكـون إحـداهما هي الـتي يليق أن يجـاب بها في جـواب " أين "، والأخرى تصير بها من المضاف. (48) غير أنّه قد يقـول قائل في مثل قولنا " ثور زيد " و " غلام زيد " ما الذي يمنع أن تكون لها نسـبتان، يوجد في إحـدى النسبتين اسم كلّ واحد منهما الدالّ على ذاتـه، ولا يكـون ذلك من المضـاف، ويكون من المضاف إذا أُخذ رسم كلّ واحد منهما الدالّ عليه من حيث له نوع

مّا من أنواع الإضافة. فإن كان ليس كذلك، بل كان هذا وأمثاله مضافا سومح في العبـارة عنـه. فكيف لم يكن قولنا " زيد في الـبيت " مضـافا سـومح في العبارة عنه، ولو وفّى عبارته لقيل " زيد المحـاط به في الـبيت المحيط به "، ولبان حينئذ أنّه من المضاف. وإذا كان قولنا " هذا الثور لزيد " و " هذا الكلام لزيد " لم تُجعَل له نسبتان نسبة ليست بإضافة و نسبة مـدلول عليها بقولنا " هذا الثور المملوك مملـوك لزيد المالك له "، فيكـون المنسـوب بتلك النسـبة الأولى التي ليست بإضافة تلحقه الإضافة من جهة أخرى، بل يُجعَل أيضا قولنا " هذا الثور لزيد " من أوّل الأمر مضافا سومح في العبارة عنه اتّكـالا على ما في ضـمير السـامع، وأنّه ليس يُفهَم منه إلاّ أنّه مُلْـكٌ لزيـد؛ فكيف لم يُجعَل أيضا قولنا " زيد في الـبيت " من أوّل الأمر مضـافا سـومح في العبـارة عنه اتّكالا على ما في ضـمير السـامع، وأنّه ليس يُفهَم منه إلاّ أنّه محـاط بـالبيت، فيكون معنى حـرف في منذ أوّل الأمر معـنى الإحاطـة. (49) فنقـول أنّ هـذا صحيح - أعني أن يكون زيد محاطا بالبيت والبيت محيطابزيـد، وأنّهما يكونـان مضـافين مـتى أخذ اهكـذا. غـير أنّ ما تقـال عليه النسـبة ضـربان، ضـرب هو معنى واحد مشترك بين اثنين هما طرفاه يؤخذ كـلّ واحد منهما مبـدءا والآخر منتهى. وأحيانا يُجعَل هذا مبـدءا أو ذاك منتهى، فيقـال هـذا بين اثـنين، بل هو من أحـدهما إلى الآخر فقـط. فيكـون أحـدهما هو المبـدأ دون الآخـر، وذلك المنتهى دون الأوّل، وليس يمكن أن يؤخذ الآخر مبدءا بذلك المعنى بعينـه، بل إنّما يقـال الأوّل بالقيـاس إلى الثـاني فقـط. وهـذا هو الـذي يسـمّى على الخصـوص النسـبة، وذاك يُخَصّ باسم الإضـافة. فهـذا الضـرب إنّما يوصف به أحـدهما فقـط، ويوجد له وحـده على أنّه محمـول عليه دون الآخـر، وإن كـان ذلك الآخر يحدث معه ويكـون جـزءا ممّا يكمل به المحمـول. فـإنّ قولنا " زيد هو أبو عمرو " ف"أبو " يحدث معه " عمرو " على أنّه جزء محمول، وقولنا " عمرو ابن زيد " ف"ابن" يحدث معه زيد على أنّ جـزء محمـول، فيكـون كـلّ واحد منهما موضـوعا حينا وجـزء محمـول حينا إذا أخـذا مضـافين. وقولنا " زيدفي البيت " فإنّ " البيت " جزء محمول، ولا يمكننا أن نجعل " زيدا " جـزء المحمول على البيت بالمعنى الذي قلنا في زيد إنّه " في البيت "، بل إذا قلنا " البيت ملك زيد " كان " زيد " حينئذ جزء المحمول بمعـنى غـير الأوّل. وهـذا هو الـذي يعمّ الأين ومـتى وأن يكـون لـه. (50) و هـذان الصـنفان هما صـنفا النسبة على أنّها اسم مشترك، ولم يُشترَط فيه ما يخصّ كلّ واحد منهمـا، بل أُخذ على الإطلاق، وهو النسبة التي تعمّكلّ واحد منهما وتعمّ الأين ومتى ولـه. وإنّما يختلف باختلاف الأجناس التي إليها تقع النسبة. وليس بعضه تحت بعض، فإنّه لا المكـان تحت الزمـان ولا الزمـان تحت المكـان ولا اللبـاس تحت واحد منهما. فإنّ اللباس جسم موضـوع حـول جسم تكـون النسـبة إليـه، والمكـان ليس بجسم بل هو بسـيط جسم ونهايتـه، والزمـان أبعد من اللبـاس. وليس ينبغي أن يشـكّكنا ما نجد من أنّ كـلّ واحد من هـذه الأشـياء المنسـوبة قد يمكننا أن نجعله من باب المضاف بأن تلحقه الإضافة، فإنّ الإضافة تلحق كـلّ ما سواه من المقولات.

الفصل الحادي عشـر: النسـبة وعـدد المقـولات (51) وقـوم أنكـروا أن يكون لها وجود أصلا وكـذلك لكـلّ نسـبة. ولـذلك قـال أرسطوطاليسـفي أوّل كتابه في " العلم المدنيّ ": فأمّا الإضافة فقد يُظَنّ أنّها إنّما هي شـرع وجـور فقط. وأرادوا بذلك لضعف وجودها. وآخرون ينكرون أن تكون من المعقولات الأول، بل يجعلونها من المعقـولات الثـواني. وأرسـطوطاليس يعتقد أنّ كثـيرا منها في المعقـولات الأول، ولـذلك جعلها في المقـولات. وقد يوجد كثـير منها في المعقولات الثواني حتّى أنّها ما يلحقها أن تصير إلى غـير النهاية - مثل أن يقـال " إضـافة الإضـافة " و " نسـبة النسـبة " و " نسـبة نسـبة النسـبة " - فاســتُعملت، وانقطع بها عـــدم التنـــاهي؛ على مثـــال ما يُعمَل في ســـائر المعقولات الثواني، إذ كانت تصير غير متناهية. فـإنّ كـلّ ارتبـاط وكـلّ وصـلة بين شـيئين اثـنين محسوسـين أو معقـولين إنّما تكـون بإضـافة أو نسـبة مّـا. ولذلك إذا كانت النسبة والذي توجد له النسـبة شـيئين اثنينمحسوسـين بينهما صلة، لم يكن بُدّ من أن تكون نسبة مّا، وذلك هكذا إلى غير النهايـة. (52) ثمّ قال قوم إنّه غير موجود من أوّل أمره، إذ كان يلزم وضعه ما يُظَنّ أنّه محال، وهو الجريان إلى غير النهاية. غير أنّ هذا الضرب ممّا هو غير متنـاه لم يتـبيّن ببرهـان بأنّه محـال ولا هو بيّن بنفسه أنّه محـال. وآخـرون قـالوا إنّ الواحد نســبته للأوّل، وبـاقي تلك ليست لها نسـبة ولا هنـاك لها نسـب. وبعضـهم قطعوها بقدر شيئين. وقد بيّنا نحن كيف الوجه في الجري إلى غير النهاية في المعقـــولات الثـــواني. (53) وقـــوم يســـمّون أصـــناف النسب كلّها إضـــافة، ويجعلونها جنس يعمّ مقولات النسب. فتصير المقـولات عنـدهم سـبعة: ما هو هذا المشار إليه الـذي لا في موضـوع ولا على موضـوع، وكم هـو، وكيف هـو، وما يعـرّف فيه أنّه يفعـل، وما يعـرّف فيه أنّه ينفعـل، ووضـعه، وإضـافته إلى شيء مّا. وآخرون ادخلوا وضعه في الإضافة وأنّه مضاف، فصـيّروا المقـولات سـتّة. والوضع بيّن أنّه ليس بمضـاف بما هو وضـع، وإن كـان قد يعـرض له ويلحقه أن يضـاف إلى شـيء، كما قد يعـرض أن يضـاف الإنسـان إلى شـيء وكما يعرض أن يكون الخطّ مضافا. غـير أنّ من الوضع ما هو وضع بذاته ومنه ماهو وضع مضاف - على مثال ما توجد عليه أنواع ما هو أين، يكـون أينا بذاته وأينا بالإضافة -، فحينئذ يكون وضـعا عند شـيء. وأمّا أن يكـون الوضع وضـعا لشيء على أنّه وضع عـرض لموضـوع، وكـان بهـذا مضـافا، فهو مثل البيـاض الذي هو للأبيض، فإنّ هـذا يوجد لكـلّ عـرض موجـود في موضـوع؛ فهو بهـذه الجهة ممّا قد لحقه أن يكـــون مضـــافا، لا من جهة ما هو وضـــع. والوضع وإن كـــانت ماهيّته لا يمكن أن تكمل إلاّ بنـــوع من الإضـــافة - إذ كـــانت إنّما توجد أجزاء الجسم محاذية لأجزاء من المكان محدودة، والمحـاذاة إضـافة مّـا، فقد صار جزء ماهيّة الوضع نوعا من أنواع الإضافة - فليس يجب من أجل ذلك أن يكـون تحت مقولة الإضـافة، كما أنّ كثـيرا مما هو كمّ هو متّصل أو منفصـل، والمتّصل والمنفصل بما هي كـذلك فهما مضـافان، وليس الخـطّ بما هو خـطّ مضافا ولا المُصْمَت. وآخرون يـرون في أن يفعل أنّه إنّما يقـال بالإضـافة إلى أن ينفعل، فتحصل عندهم المقولات خمسة. وهـذا أيضا و إن كـانت ماهيّته أو جزء ماهيّته نسبة أو إضـافة - فـإنّ معـنى أن يفعل هو أن تتبـدّل على الجسم

النسب الــتي بها أجــزاء ما يفعل - فليس يلــزم من ذلك أن يكــون تحت المضــاف، كما أنّ الــذي ينفعل في كيف ليس تحت مقولة كيــف، ولا الــذي ينفعل في كم داخل تحت مقولة كم، فإنّه ليس تبــــدّل النسب على ما يفعل حين ما يفعل إلاّ كتبدّل الكيف على ما ينفعل حين ما ينفعل. وآخرون يظنّــون أنّ معــنى أن يفعل وأن ينفعل هو الفاعل والمفعــول، ولمّا كــان هــذان من المضاف ظنّوا أنّ المقولـتين جميعا من المضـاف، فتكـون المقـولات عنـدهم أربعة. وأمر هذين بيّن أنّهما ليسا بفاعل ومفعول، على ما لخّصنا مرارا كثيرة. وآخــرون ظنّــوا أنّهما فِعْل وانفعــال، وقد بيّنّا في مواضع كثــيرة أنّهما ليسا كذلك. (54) وقـوم يزعمـون أنّ المقـولات اثنتـان، ما هو هـذا المشـار إليـه، وعرضـه؛ ويسـمّون ما هو هـذا المشـار إليه " لاجـوهر ". فجعلـوا المقـولات اثنـتين، الجـوهر والعـرض. وبيّن أنّ الجـوهر على الإطلاق هو الـذي ليس في موضوع، والعرض معناه هو الذي في موضـوع. فكأنّه قـال المقـولات اثنتـان، إحداهما ذات الموضوع، والأخـرى ما عـرّف ما هو خـارج عن ذاتـه. وهذاأيضا رسمان ترسم الجوهر والعرض. ولكن ليس معنى العرض جنسا يعمّ التسـعة، ولكنّه إضـافة مّا لكـلّ واحـدة من هـذه المقـولات إلى المشـار إليـه. زنحن فليسنسمّي المقولة ما كان جنسا يعمّ أنـواع كـلّ واحـدة منـالتي نسـبتها إلى مشار مشار إليه هذه النسبة والتي لها هذه الإضـافةإلى المشـار إليـه. وليس شــيء منها جنسا ولا طبيعة معقولة توضف بها تلك الأنــواع - نعـني من حيث لحقها أن كانت لها هذه الإضافة. وكذلك قولنا " ما عـرّف ما هو هـذا المشـار إليه " يــدلّ أيضا على إضــافة لحقت كــلّ واحد من أنــواع هــذا المشــار إليه وأجناس أنواعه، وكـذلك قولنا " مقولة " تعمّ أيضا جميعهـا، لا على أنّها جنس لهـا، لكن إمّا على أنّها اسم مشـترك يعمّها وإمّا أن تكـون دالّة على الإضـافة التي لحقتها على العموم، وليس واحد منهما جنسا لها، لا الاسم المشترك لها ولا العرض اللاحق لها على العموم. (55) وقوم ظنّـوا أنّه قد قصّـر في عـدد المقولات، وذكـروا أنّ التـأليف يحتـاج في أن يحصل إلى اجتمـاع أشـياء، وأن توضع بعضها من بعض على ترتيب محدود، وأن يكون لها رباط تُربَط بــه، فهو شيء مـركّب من مقـولات عـدّة. والاجتمـاع هو إضـافة مّـا، فجنسه أن توضع بعضها من بعض على ترتيب وارتباط محــدود، فهو داخل تحت الوضــع، فليس ينبغي أن يوضع جنسا عاليا ما هو بيّن أنّه داخل تحت واحدة من هذه. فالوضع جنسه وباقي تلك فصوله. فإن كان إنّما يريد بالتـأليف تـأليف ما ليس بمشـار إليه أصلا على الحال التي ذكرنا، فليس يـدخل في شــيء من المقــولات. لأنّ كــلّ واحد إنّما يقــال له " مقولة " بالإضــافة إلى المشــار إليــه، وما لم يكن معرّفا أصلا لمشار إليه على الصفة التي قلنا فليس بداخل في المقولات.

الفصل الثاني عشر: العـرض (56) العـرض عند جمهـور العـرب يقـال على كلّ ما كان نافعا في هذه الحياة الدنيا فقط؛ أمّا ما كان نافعا في الحيـاة الآخرة فقط، أو نافعا مشتركا يُستعمَل لأجل الحياة في الدنيا ويُستعمَل لأجل الحياة في الآخـرة، فإنّه لا يسـمّى عرضـا. وقد يقـال أيضا على كـلّ ما سـوى الـدراهم والـدنانير وما قـام مقامهما من فلـوس ونحـاس أو دراهم حديد ممّا

استُعمل مكان الدراهم والدنانير. وقد يقال أيضا على كلّ ما توافت أسبابه كونه أو فساده القريبة - فإنّه يقال فيه إنّه يعرض كذا - أو أنّه قريب من أن يوجد أو يتلف لحضور سبب مّا له قريب لوجوده أو تلفه، أو لتخريب كثير لوجوده أو تلفه، أو لتخريب له كثير. وقد يقال أيضا على كلّ ما يقال عليه العارض، وهو كلّ حادث سريع الزوال. (57) وأمّا في الفلسفة فإنّ العرض يقال على كلّ صفة وُصف بها أمر مّا ولم تكن الصفة محمولا حُمل على الموضوع، أو لم يكن المحمول داخلا في ماهيّته. وهذان ضربان، أحدهما عرض ذاتيّ والثاني عرض غير ذاتيّ . والعرض الذاتيّ هو الذي يكون موضوعه ماهيّته أو جزء ماهيّته، أو توجب ماهيّة موضوعه أن يوجد له على النحو الذي توجب ماهيّة أمر مّا أن يوجد له عرض مّا. فإنّ ذلك العرض إذا حُدّ أخذ ذلك الأمر في حدّ العرض. فما كان من الأعراض هكذا فإنّه يقال إنّه عرض ذاتيّ. وغير الذاتيّ هو الذي لا يدخل موضوعه في شيء من ماهيّته، وما هيّة موضوعه لا توجب أن يوجد له ذلك العرض. فهذا هو معنى العرض في الفلسفة. (58) واسم العرض إنّما يدلّ على صفات حالها هذا الحال، ولا معنى له غير هذا. وهو المقابل للعرض الذي قد يوجد في الأمر حينا ولا يوجد حينا. والذي يمكن أن يوجد في الشيء وأن لا يوجد ليس هو معنى العرض. فإنّ اسم العرض ليس يدلّ على الشيء من حيث له هذه الحال - أعني أن يوجد حينا وأن لا يوجد حينا - ولكنّه شيء لحق بوجود الشيء عرضا. فإنّ العرض قد يكون دائم الوجود وقد يكون غير دائم الوجود، وليس يسمّى عرضا لدوام وجوده ولا لسرعة زواله، بل معنى أنّه عرض هة أنّه لا يكون داخلا في ماهيّة موضوعه. (59) وما بالعرض والموجود بالعرض غير قولنا العرض على الإطلاق. فإنّ الذي هو بالعرض في شيء أو له أو عنده أو معه أو به أو منسوبا إليه بجهة مّا هو أن لا يكون ولا في ماهيّة واحدة منها يُنسَب إليه تلك النسبة. فإن كان في ماهيّة أحدها أن يوجد له أو لأن يُنسَب إليه تلك النسبة قيل فيه إنّه بالذات لا بالعرض. والعرض يقابله ما هو الشيء على الإطلاق، فإن كان يُحمَل على الشيء حما ما هو و لا يُحمَل أصلا عليه ولا على شيء آخر حملا يعرّف به ما هو خارج عن ذاته، فإنّه مقابل ما هو عرض. وكذلك ما هو على موضوع فقط يقابل ما هو بوجه مّا في موضوع . وأمّا الذي هو بالعرض فإنّما يقابل ما هو بالذات. (60) والعارض غير العرض وغير ما بالعرض. فإنّ العارض يقال على كيفيّات مّا توجد في شيء مّا إذا كانت قليلة المكث فيه سريعة الزوال، مثل الغضب وغيره. فما كان منها في الأجسام سُمّيت عوارض جسمانيّة، وما كان منها في النفس سُمّيت عوارض نفسانيّة. ولا يكادون يقولون ذلك فيما عدا الكيفيّة من المقولات. وأمّا الجمهور فإنّهم يسمّون بهذا الاسم كلّ ما كان قليل المكث سريع الزوال من سائر المقولات التسع، ويسمّون العوارض " انفعالات " أيضا، فالنفسانيّة منها " انفعالات نفسانيّة "، والجسمانيّة " انفعالات جسمانيّة ". وقد يلحق كلّ ما يقال إنّه عوارض أن يكون عرضا، إذ كانت كيفيّة مّا، والكيفيّة لا تعرّف من المشار إليه الذي لا في موضوع ما هو، بل كيفيّة خارجة عن ذاته. إلاّ أنّ معنى العارض فيه غير معنى العرض. وقد يلحق كثيرامّما يقال فيه أنّه عارض

أن يكون موجودا في شيء بالعرض. فيكون معنى أنّه بالعرض غير أنّه عارض وغير معنى أنّه عرض. (61) وكلّ ما هو بالعرض في شيء مّا فإنّه موجود فيه على الأقلّ. وكلّ ماهو بالذات لا بالعرض فهو إمّا دائم فيه وإمّا في أ كثر الأوقات. فلذلك يقول أرسطوطاليس " الذي بالعرض هو الذي يوجد لا دائما ولا على الأ كثر ". وكثيرا مّا يسمّى الذي بالعرض على المسامحة والتجوّز " العرض ". والذي يعرّف من المحمولات ماهو هذا المشار إليه الذي لا في موضوع يسمّى أيضا الجوهر على الإطلاق. فصار هذا المعنى من معاني الجوهر مقابلا لمعنى العرض. فتكون المحمولات على المشار إليه الذي لا في موضوع منها ما هو جوهر ومنها ما هو عرض. فالعرض يقال على المقولات التسع التي ليس بواحدة منها تعرّف ماهو هذا المشار إليه الذي لا في موضوع.

الفصل الثالث عشر: الجوهر (62) والجوهر عند الجمهور يقال على الأشياء المعدنيّة والحجاريّة التي هي عندهم بالوضع والاعتبار نفيسة، وهي التي يتباهون في اقتنائها ويغالون في أثمانها، مثل اليواقيت واللؤلؤ وما أشبهها، فإنّ هذه ليس فيها بالطبع ولا بحسب رتبة الموجودات جلالة في الوجود ولا كمال تستأهل بها في الطبع الإجلال والصيانة. والإنسان أيضا يستفيد الجمال عند الناس والكرامة والجلالة والتعظيم في اقتنائها، لا الجمال الجسمانيّ ولا الجمال النفسانيّ، سوى الوضع والاعتبار فقط، وأنّ لها ألوانا يعجبون بها فقط ويستحسنون منظرها فقط، وأنّها قليلة الوجود. فلذلك يقولون في مَن عندهم من الناس نفيس ذو فضائل عندهم " إنّه جوهر من الجواهر ". وقد يقال أيضا الجواهر على الحجارة التي إذا سُبكت وعولجت بالنار حصل عنها ذهب وفضة أو حديد أو نحاس، فهي بوجه مّا من موادّ وهذه هيولاتها. (63) وقد يستعملون اسم الجوهر في مثل قولنا " زيد جيّد الجوهر "، ويعنون به جيّد الجنس وجيّد الآباء وجيّد الأمّهات. فالجوهر يعنون به الأمة والشعب والقبيلة التي منهم آباؤه وأمّهاته - وأكثر ذلك في الآباء -، والجودة يعنون بهاالفضائل - فإنّهم إذاكانوا ذوي فضائل قيل فيهم إنّهم ذوواجودة . فإنّ آباءه وجنسه متى كانوا فاضلين قيل فيه إنّه جيّد الجوهر، ومتى كانوا ذوي نقص قيل فيه ردئ الجوهر. والجوهر ههنا إنّما يعنون به الجنس والآباء والأمّهات - فهم إمّا مادّته وإمّا فاعلوه. فإنّ الإنسان إنّما يُظَنّ به دائما أنّه شبيه مادّته وآبائه وجنسه. فإنّه يُظَنّ أوّلا أنّه يُفطَر في فطرته الإنسانيّة على فِطَر آبائه وجنسه النفسانيّة التي كانت لهم، وبحسب فطرته النفسانيّة تكون أفعالهالخلقيّة جيّدة أو رديّة. ثمّ أنّه بعد ذلك يتأدّب بما يراهم عليه من الآداب ويتخلّق بما يراهم عليه من الأخلاق ويقتفي بهم في كلّ ما يعملونه، إذ كان لا يعرف غيرهم من أوّل أمره. ولأنّه أيضا يثق بهم أ كثر من ثقته بغيرهم. ولأنّه أيضا يحتاج أن يسعى في حياته لما يسعى له جنسه. فمتى كان أولئك ذوي نقائص بالطبع والعادة تظَنّ به النقائص التي كانت فيهم، ومتي كانوا ذوي فضائل بالطبع والعادة تُظَنّ به أيضا تلك الفضائل التي كانت فيهم. فإنّما يُلتمَس بجودته ورداءته فضيلته ونقيصته لا غير، إمّا بالطبع وإمّا بالعادة (64)

وكثيرا مّا يقولون " فلان جيّد الجوهر "، يعنون به جيّد الفطـرة الـتي بها يفعل الأفعـال الخلقيّة أو الصـناعيّة، وبالجملة الأفعـال الإراديّـة. فـإنّ الإنسـان إنّما يُفطَر على أن تكون بعض الأفعال الإراديّة أسهل عليه من بعض، فإذا خلاّ يفه نفسَه منذ أوّل الأمر فعل الأفعال التي هي عليه أسهل. فإن كانت تلك أفعـال جيّــدة قيل إنّه بفطرته وطبعه جيّــد. فيحصل الأمر في هــذا وفي ذلك الأوّل على الفِطَر التي يُفطَرالإنسان عليها من أن تكون الأفعال الجيّدة عليه أسـهل أو الرديّة أسـهل، إمّا فطـرة آبائه وعـاداتهم وإمّا فطرته هو في نفسـه. (65) وبيّن أنّ فطرته الــتي بها يفعل هي الــتي منزلتها من الإنســان منزلة حِــدّة السيف من السيف، وتلك هي التي تسمّى الصورة. فإنّ فعل كـلّ شـيء إنّما يصدر عن صـورته إذا كـانت في مـادّة تعاضد الصـورة في الفعل الكـائن عنها (عن الصورة). وبيّن أنّ ماهيّة الشيء الكاملة إنّما هي بصورته إذا كانت في مادّة ملائمة معاضدة على الفعل الكـائن عنهـا. فـإذن للمـادّة مـدخل لا محالة في ماهيّتـه. فـإذن ماهيّته بصـورته في مادّته الـتي إنّما كُـوّنت لأجل صـورته الكائنة لغاية مّا. فإذا كان كذلك، فإنّ الفطرة التي كان الناس يعنـون بقـولهم " الجـوهر " إنّما هي ماهيّة الإنسـان، كـان ذلك جـوهر زيد أو آبائه أو جنسـه. وأيضا فإنّهم يظنّـون أنّ آبـاءه وأمّهاته وجنسه الأقـدمين هم مـوادّه الـتي منها كُوّن، ويظنّون أنّ موادّ الشيء متى كانت جيّدة كان الشيء جيّـدا، مثل مـوادّ الحائط وموادّ السرير. فإنّهم يظنّـون أنّ الخشب إذا كـان جيّـدا كـان السـرير جيّدا، إذ تكون جودة الخشب سببا لجـودة السـرير، وإذا كـان الحجـارة واللبن والآجرّ والطين جيّدا كان الحائط المبـني منها أيضا جيّـدا، إذ كـانت جـودة تلك سببا لجودة الحائط. فعلى هذا المثال يرون في آباء الإنسان وأمّهاته وأجـداده وقبيلته وأمّته وأهل بلده، فإنّ كثيرا من الناس يخيَّل إليهم أنّهم موادّ الإنســان الكائن عنهم أو فيهم. ومـوادّ الشـيء هي إمّا ماهيّته وإمّا أجـزاء ماهيّتـه، فهم إذن إنّما يعنــون بــالجوهر ههنا ماهيّته أو ما به ما هيّتـه. وقد يقولــون " هــذا الثـوب جيّد الجـوهر "، يعنـون به سـداه ولحمته من كتّـان أو قطن أو صـوف، وتلك كلّها موادّ. فهم يعنون بالجوهر ههن أيضا موادّ الثوب، وموادّ الشيء إمّا ماهيّته وإمّا أجـزاء ماهيّتـه؛ فـإنّ قوما يـرون أنّ ماهيّة الشـيء بمادّته فقـط، وآخرون أنّها بأجزاء ماهيّته. (66) فهذه هي المعاني التي يقـال عليها الجــوهر عند الجمهـور. وهي كلّها تنحصر في شـيئين، أحـدهما الحجـارة الـتي في غاية النفاسة عنــدهم، والثــاني ماهيّة الشــيء وما به ماهيّته وقــوام ذاته - وما به قــوام ذاته إمّا مادّته وإمّا صـورته وإمّا هما معـا. ويكـون الجـوهر عنـدهم إمّا جوهرابإطلاق وإمّا جوهرالشيء مّا. (67) وأمّا في الفلسفة فإنّ الجوهر يقال على المشار إليه الذي هو لا في موضوع أصلا. ويقال على كلّ محمول عـرّف ما هو هذا المشار إليه من نوع أو جنس أو فصـل، وعلى ما عـرّف ماهيّة نـوع نوع من أنواع هذا المشار إليه وما به ماهيّته وقوامه- وظـاهر أنّ ما عـرّف ما هو نوع نوع من أنواع هذا المشار إليه فهو يعرّف ما هو هذا المشار إليـه. وقد يقال على العموم علىما عرّف ماهيّة أيّ شيء كان من أنواع جميع المقولات، وعلى ما به قوام ذاته، وهو الذي بالتئام بعضها إلى بعض تحصل ذات الشيء، وهي الــتي إذا عُقلت يكــون قد عُقل الشــيء نفسه ملخّصا بأجزائه الــتي بها

قوام ذاته أو ملخَّصا بالأشياء التي بها قوام ذاته، وهو الذي بالتئـام بعضـها إلى بعض يحصل ذلك الشيء - أيّ شيء كان. فلذلك تسمع المتفلسفين يقولـون: " الحد " يعرّف جـوهر الشـيء، ويـدلّ " قـوام " على جـوهر الشـيء. فـإنّهم يعنون بالجوهر ههنا الأشياء التي بالتئام بعضها إلى بعض تحصل ذات الشـيء، وهي الـتي إذا عُقلت يكـون قد عُقل الشـيء نفسه ملخَّصا بأجزائه الـتي بها يقوم ذاته أو ملخَّصا بالأشياء التي بها قوام ذاته. فإنّ هذا المعـنى الثـالث من معـاني الجـوهر جـوهر مضـاف ومقيَّد بشـيء، وليس يقـال إنّه جـوهر على الإطلاق، وإنّما يقال إنّه جـوهر لشـيء مّـا. وأمّا المعـنى الأوّل فإنّه إنّه جـوهر على الإطلاق. والمعـنى الثـاني يقـال أيضا إنّه جـوهر على الإطلاق، إذ كـان معقول المشار إليه الذي لا في موضوع، ومعقول الشـيء هو الشـيء بعينـه، إلاّ أنّ معقوله هو ذلك الشـــيء من حيث هو في النفس، والشـــيء هو ذلك المعقول من حيث هو خارج النفس. (68) ويشـبه أن يكـون هـذان إنّما سُـمّيا جـوهرا على الإطلاق لأجل أنّهما مسـتغنيان في ماهيّتهما وفي ما يتقوّمـان به عن سائر المقـولات، وبـاقي المقـولات محتاجة في أن تحصل لها ماهيّتها إلى هذه المقولة، فـإنّ ماهيّة كـلّ واحـدة منها لا بـدّ أن يكـون فيهاشـيء ممّا في هذه المقولة. فهذه المقولة هي بالإضافة إلى باقيها مستغنية عنها. وفي باقي المقـولات شـيء من هـذه، فـإنّ جنس ذلك النـوع أو جنس جنسه لا بـدّ أن يصـرَّح فيه ببعض أنـواع هـذه المقولـة. ويشب ه أن تكـون هـذه المقولة هي بالإضـــافة إلى باقيها مســـتغنية عنها وباقيها مفتقر إليها - فهي لـــذلك أكمل وأوثق وجودا وأنفس وجودا بالإضـافة إلى باقيها - وأنّه ليس هنـاك شـيء آخر نسبة هذه المقولة إليه كنسبة باقي المقـولات إليـه. فيشـبه أن يكونـوا نقلـوا إليها هـــذا الاسم من الحجر الـــذي هو أنفس الأمـــوال عند الجمهـــور وأجلّها وأحـــرى أن يقـال في أثمانها - على قلّة غنائها في الأشـياء الضـروريّة، بل لا مـــدخل لها أصلا في شـــيء من الضـــروريّة ولا في الســـعادة - " إن لم تكن السعادات كفت مكانها ". فرأوا أنّ نسبة هذه المقولة وهـذا المشـار إليه إلى باقي المقولات نسبة هذه الحجارة إلى سائر ما يقتنيه الإنسان، فسُمّي لـذلك باسمه. فلذلك قد تقع المقايسة بين هذا المشار إليه وبين كلّيّاته، فيُنظر أيّهما أحرى أن يكـون له هـذا المعـنى الـذي قيل لكـلّ واحد منهما بأنّه جـوهر، وهو أيّهما أوثق وجودا وأكمل. فإنّ أرسطوطاليس يسمّي المشار إليه الـذي لا في موضـوع " الجـوهر الأوّل " وكلّيّاته " الجـواهر الثـواني "، إذ كـانت تلك هي الموجودة خارج النفس وهذه إنّما تحصل في النفس بعد تلك، وسائر الأشـياء الـتي قيلت في كتـاب " المقـولات ". فهـذه هي الجـواهر على الإطلاق (69) وأمّا المعنى الثالث فإنّه جوهر مضاف، ونقل إليه هذا الاسم عن المعاني التي يسـمّيها الجمهـور الجـوهر على أنّه جـوهر لشـيء مّـا، مثل جـوهر الـذهب أو جوهر زيد أو جوهر هذا الثوب. فيكون المعنى الذي تسـمّي الفلاسـفة جـوهرا على الإطلاق إنّما نُقل إليه اسم الجـوهر عن الـذي يسـمّيه الجمهـور جـوهرا على الإطلاق، والمعنى الذي تسمّيه الجمهور بالإضافة إلى شـيء مّا إنّما نُقل إليه اسم الجوهر عن المعنى الذي يسمّيه الجمهور جوهرا بالإضافة إلى شيء مّا. (70) ويلحق الكلّيّات التي تعرّف من مشار إليه مشار إليه من الـتي ليس

في موضوع أن يقال لها جواهر من جهتين، من جهة أنّها جــواهر على الإطلاق ومن جهة أنّها جــواهر مشــار إليه مشــار إليه من الــتي ليست في موضــوع. والمشار إليه الذي لا في موضـوع يلحقه أن يقـال إنّه جـوهر من جهة واحـدة فقط، وهو أن يكون جوهرا على الإطلاق لا جوهرا لشيء أصلا. ويلحق كلّيّـات سائر المقولات أن تكون جـوهر مضـافة إلى شـيء مّا فقـط، وهي أن تكـون جـواهر ما يوجد في حـدودها لا جـوهر على الإطلاق، فتصـير أيضا جـواهر من جهة واحدة فقط. وأمّا المشار إليه الذي هو في موضـوع فإنّه ليس يقـال فيه إنّه جــوهر أصــلا، لا بالإضــافة ولا بــالإطلاق. والســموات والكــواكب والأرض والهواء والماء والنار والحيوان والنبات والإنسان يقال إنّها جواهر، إذ كانت إمّا مشاراإليها لا في موضوع وإمّا أن تعرّف ما هو مشار إليه مشار إليه من التي ليست في موضوع. وكذلك كلّ ما يعرّف في نوع نوع من أنــواع ما هو مشــار إليه لا في موضوع ما هو أيضا جـوهر على الإطلاق. فلـذلك إذا كـان شـيء مّا ظنّ أنّه يعرّف في مشار إليه مشار إليه من التي ليست تقال في موضـوع أو في نوع نــوع من أنواعه ما هــو، قيل فيه إنّه جــوهر. (71) وإذا كـان يُظَنّ بما عـرّف مـاهو في كـلّ واحد أنّ به يقـام ذلك الشـيء وأنّه سـبب حصـوله ذاتا وجوهرا، ظُنّ بكلّ واحد ظُنّ به أنّه يعرّف ماهو في شـيء شـيء من تلك أنّها ليست جواهر فقط، بل أحرى أن تكون أو تسمّى جواهر. فلذلك لمّا ظنّ قوم أنّ كلّيّات هذه من أجناس وفصـول هي الـتي تعـرّف ماهيّاتهـا، ظنّـوا أنّها هي أحرى أن تكـون جـواهر من هـذه. ولمّا ظنّ قـوم أن الجسم والمصمَت، وأنّ كونها جسـما ومصـمَتا، وأن يقـال فيها إنّه جسم أو مصـمَت، هو الـذي يعـرّف ماهيّاتها، ظُنّ أنّ الجسم والمصمَت هو أحرى أن يكون جوهرا من هــذه. ولمّا ظنّ قوم أنّ قوام هذه بالطول والعرْض والعمق، جعلوا هذه الثلاثة أحــرى أن تكـون جـواهر من الجسـم. ولمّا ظُنّ أنّ الطـول وكـلّ واحد من البـاقين إنّما تلتئم من نُقَط، وظُنّ بالنُقَط أنّها هي جواهر أ كثر من الباقيـة، وأنّها هي الـتي تعـرّف ماهيّاتها (الطـول والعـرْض والعمق)، وهـذه الثلاثة هي الـتي هي بها ماهيّات الجسم والمصـمَت، صـارت النُقَط هي أحـرى أن تكـون جـواهر على الإطلاق، وأحـرى أن تكـون جـواهر من هـذه، وأنّها أقـدمها كلّها في أن تكـون جواهر، إذ كانت لا تنقسم إلى أشـياء أخر بها التئـام ذواتهـا. ولمّا ظنّ آخـرون أنّ الأجسام إنّما تلتئم باجتماع الأجزاء التي لا تنقسم، قالوا في الأجـزاء الـتي لا تنقسم إنّها هي من الجواهر، أو أحـرى أن تكـون جـواهر. وكـلّ مَن ظنّ أنّ ماهيّة كلّ واحد من المشـار إليه الـذي لا يقـال في موضـوع، أو ماهيّة نوعـه، بمادّته شيء مّـا، وظنّ أنّها واحد - مثل المـاء والنـار والأرض والهـواء وأشـياء غير ذلك - قال في ذلك الشيء إنّه جوهر، وإنّه أحـرى أن يكـون جـوهرا على الإطلاق، وأحرى أن يكون جوهرا للشيء الكائن عنه، وإنّ جوهر كلّ واحد من الأشياء واحد، أو جـوهر الأشـياء كلّها واحـد. ومَن رأى أنّ مـادّة كـلّ واحد من هذه كثيرة متناهية، قال فيها إنّها جواهر كثيرة، وإنّ جـواهر كـلّ مشـار إليه أو أنواع كـلّ مشـار إليه كثـيرة، إمّا متناهية وإمّا غـير متناهيـة. ومَن رأى أنّ كـلّ واحد من هذه إنّما يحصل أن يكـون ذاتا مّا بالتئـام مـادّة وصـورة، وأنّ هـاتين اللتان تعرّفان ماهيّته، قال في كلّ واحدة من هـذه إنّها جـوهر. ونظر في كـلّ

واحد من هذه أيّ شيء مادّته وأيّ شيء صـورته. فالشـيء الـذي يظنّه ظـانّ أنّه هو صورة شيء والذي يظنّه مادّته، فإيّاه يسمّى الجـوهر، أو يجعله أحـرى أن يكـون جـوهرا من المشـار إليه أو من نـوع المشـار إليـه. (72) فـإذا كـان المشـــار إليه الـــذي لا في موضـــوع أحـــرى أن يكـــون جـــوهرا بـــالإطلاق لا جوهرابالإضافة إلى ما يعرّف فيه ماهو، إذا كان لا يُحمَل ولا على موضوع وإذا كـان ليس جـوهرا لشـيء آخـر، وكـان كـلّ ما سـواه يُحمَل عليه إمّا حملا في موضوع، وكان هذا الموضوعَ الأخير الذي للمقولات كلّها ولا موضوع لـه، كـان الذي هو لا على موضوع ولا هو موضوع لشـيء أصلا بوجه من الوجـوه أحـرى أن يكون جـوهرا، إذ كـان أكمل وجوداوأوثـق. والبرهـان يـوجب أن يكـون هنا ذاتاهو بهذه الصفة. فهو أحرى أن يكون جوهرا. ويكون هذا جـوهرا خارجا عن المقـولات، إذ ليس هو محمـولا على شـيء أصلا ولا موضـوعا لشـيء أصـلا، اللّهمّ إلاّ أن يكون الذي يسمّى جوهرا على الإطلاق يُقتصَـر به من بين هـذين على ما كان لا في موضوع ولا على موضوع إذا كـان مشـارا إليه محسوسا أو كان موضوعا للمقولات. (73) وإذغ كان كذلك صار ما يقال عليه الجـوهر في الفلسفة ضربين، أحدهما الموضوع الأخير الذي ليس له موضوع أصلا، والثاني ماهيّة الشـيء - أيّ شـيء اتّفق ممّا له ماهيّـة. ولا يقـال الجـوهر على غـير هـذين. فـإنّ المـادّة والصـورة هما ماهيّة ثانيهمـا. وإن سـامح إنسـان فجعل الجــوهر يقــال على ما ليس يقــال على موضــوع ولا في موضــوع وهو لا هو مشار إليه ولا هو موضوع لشيء من المقولات أصلا - إن تبرهن أنّ ههنا شـيئا مّا بهذه الحال - صار الجوهر على ثلاثة أنحاء. أحـدها ما ليس له موضـوع من المقولات أصلا ولا هو موضـوع لشـيء منها - اللّهمّ إلاّ أن يكـون لإضـافة مّـا، فإنّه ليس يعرَّف شيء أصلا أن يوصف بنوع منها. والثاني ما ليس له موضـوع من المقولات أصلا وهو موضوع لجميعهـا. والثـالث ماهيّة أيّ شـيء اتّفق ممّا له ماهيّة من أنـواع المقـولات، وأجـزاء ماهيّتـه. فيعـرض ههنا أيضا أن يكـون الجوهر إمّا جوهرا بالإطلاق وإمّا جوهرا لشيء مّا.

الفصل الرابع عشر: الذات . (74) الذات يقال على كلّ مشار إليه لا في موضوع. ويقـال على ما يعـرّف في مشـار مشـار إليه ممّا ليس في موضـوع ماهو، ممّا تدلّ عليه لفظة مفـردة أو قـول. ويقـال أيضا على كـلّ مشـار إليه في موضوع. ويقال على كلّ ما يعرّف فب مشار مشار إليه ممّا في موضــوع مّا. وهذه بأعيانها هي المقولات الباقية التي تعرّف في المشار إليه الذي ليس في موضـوع، ما هو خـارج عن ماهيّتـه. ويقـال أيضا على ما ليس له موضـوع أصلا ولا هو موضوع لشيء أصلا، إن تـبرهن أنّ شـيئا مّا بهـذه الصـفة. فهـذه معاني الذات على الإطلاق. (75) وهو يقـال على كـلّ ما يقـال عليه الجـوهر وعلى ما لا يقال عليه الجوهر. فإنّ المشار إليه الذي في موضـوع ليس يقـال إنّه جوهر أصلا لا بإطلاق ولا بإضافة. وأمّا ذات الشيء فهو ذات مضـافة. فإنّه يقال على ماهيّة شـيء وأجـزاء ماهيّته وبالجملة لكـلّ ما أمكن أن يجـاب به - في أيّ شيء كان - في جواب " ما هو " ذلك الشيء، كان الشيء مشـاراإليه لا في موضــوع أو نوعا له أو كــان مشــاراإليه في موضــوع أو نوعا لــه. وإنّ

الذات المضافة إلى شـيء ينبغي أن يكـون غـير المضـاف إليـه، ولا يبـالي أيّ غيريّة كــانت بينهما بعد أن يكــون عــيره بوجه مّــا. حتّى أنّا إذا قلنا " ما ذات الشيء الذي نراه " يكون الذات مضـافة إلى ما نفهمه من قولنا " هـذا الـذي نـراه ". فـإنّ معـنى قولنا " هـذا الـذي نـراه " ليس هو ذات لـذلك الـذي عنه نسـأل، بل ذاته أنّه " إنســان "، فلـذلك المسـؤول عن ذاته هو إذن غـير ذاته الذي إيّـاه يُلتمَس. وحتّى لو قلنا " ذات الشـيء " أو " ذات هـذا الشـيء " أو ذات شيء مّا " فإنّما نلتمس به ماهيّته التي هي أخصّ ممّا يدلّ عليه الشيء. ولو قلنا " ذات زيد " فإنّما نلتمس ماهيّته التي هي أعمّ ممّا يدلّ عليه " زيد " أو التي هي ماهيّته في الحقيقـة. لأن اسم " زيد " ربّما وقع على المشـار إليه من حيث له علامة من غير أنّه " إنسان ". وأمّا أن يكون قولنا " ذات الشــيء " مضـافا إلى شـيء مّا من حيث لا غيريّة بين المضـاف والمضـاف إليه بوجه من الوجوه، فإنّه هذر من القول، اللّهمّ إلاّ أن نسامح فيـه، فـإنّ قولنا " نفس الشيء " أيضا إنّما نعني به أيضا هذا المعـنى، وهو ما هيّة الشــيء، وهو بعينه معنى قولنا " جوهر الشيء ". (76) وأمّ قولنا " ما بذاته " و " الـذي هو بذاته " فإنّه غير الذات وغير قولنا " ذات الشيء ".فـإنّ " ما بذاته " قد يقـال على المشار إليه الذي لا يقال على موضـوع، يُعـنى به أنّع مسـتغن في ماهيّته عن باقي المقولات، فإنّه ليس يحتاج في أن تحصل ماهيّته لا أن يُحمَل عليه شيء منها ولا أن يوضع له، لا في أن يحصل معقولا ولا في أن يحصل خارج النفس. ويقال أيضا على ما يعـرّف مـاهو هـذا المشـار إليـه، إذ كـان مسـتغنيا في أن تحصل ماهيّته ومســتغنيا في أن تُعقَل ماهيّته من مقولة أخــرى، فأمّا ســائر المقــولات الباقية فإنّها محتاجة في أن تحصل لها ماهيّتها معقولة في النفس وتحصل خارج النفس إلى هذه المقولة - أعـني إلى المشـار إليه الـذي لا في موضوع وإلى ما يعرّف ماهيّتـه. فـإذن يقـال هـذا على ما يقـال عليه الجـوهر على الإطلاق. (77) وقد يقال " ما بذاته " على شـيء آخر خـارج عن هـذين. فإنّه قد يقال في المحمول إنّه محمـول على الموضـوع " بذاته " مـتى كـانت ماهيّة الموضــوع أو جـــزء ماهيّته هي أن يوصف بـــذلك المحمـــول، مثل أنّ الحيـوان محمـول على الإنسـان " بذاته " إذا كـانت ماهية الإنسـان أو جـزء ماهيته أن يكون حيوانا أو أن يوصف بأنه حيوان. وقد يقـال في المحمـول إنه محمول على الموضوع "بذاته" متى كانت ماهية المحمـول أوجـزء ماهيته هي أن يكون محمولا على الموضوع، مثل " الضحاك " الموجـود في " الإنسـان " فإنّ ماهية " الضحاك " أو جزء ماهيته هي أن يكـون محمـولا على " الإنسـان ". وقد يقال في المحمـول إنه محمـول على الموضـوع " بذاته " مـتى كـانت ماهية المحمول أو جزء ماهيته هي أن يكون في ذلك الموضوع وكــانت ماهية الموضــوع أو جــزء ماهيته هي أن يوصف بــذلك المحمــول، وذلك أن يكــون موضـوعه جـزء ماهيته أو ماهيته مثل الـزوج أو الفـرد في العـدد، فـإن ماهية الزوج أو جزء ماهيته هي أن يكون في العدد، والعدد هو جزء ماهية كــلّ واحد منهما وهما محمولان على العدد. والخالصة الـتي في قولنا "ذاتـه" هي راجعة على ما شئت من هذين، إن شئت على الموضوع وإن شـئت على المحمـول. غــير أنها تُظَنّ أنها راجعة في الأوّل على الموضــوع - فكأنه قيل المحمــول

محمول على الموضوع "بذات ذلك الموضوع " يُعنى " بـذات الموضـوع " من جهة ماهية الموضـوع - وفي الثـاني على المحمـول - فكأنه قيل " المحمـول بذاته وماهيته محمــول ". وأنت فأجعَله ما شــئت منهــا.وقد يقــال أيضا في المحمول إنّه محمول على الموضوع " بذاته " متى كان الموضوع إذا حُدّ لزم من حـدّه أن يوجد له ذلك المحمـول، وهو أن تكـون ماهيّته الموضـوع تـوجب دائما أو على أ كثر الأمر أن يوجد له ذلك المحمول حتّى تكون ماهيّتـه، وحـدّه هو الســبب في أو يوجد له ذلك المحمــول. وقد يقــال في ما عــدا نســبة المحمول إلى الموضوع من سائر النسب - مثل أن يكون شيء عند شــيء أو معه أو به أو عنه أو فيه أو له أو غـــير ذلك ممّا تــدلّ عليه ســائر الحــروف النسـبية - إنّه " بذاته " مـتى كـانت ماهيّته كـلّ واحد منهما أو ماهيّة أحـدهما تـوجب أن تكـون له تلك النسـبة إلى ذلك الشـيء أو أن يكـون ضـروريّا في ماهيّة أن تكون له تلك النسبة. وبالجملة إنّما يقال في شيء إنّه منسـوب إلى شيء آخر " بذاته " - أيّ نسبة كانت - مـتى كـان أحـدهما أو كـلّ واحد منهما محتاجا في أن تحصل ماهيّته إلى أن تكون له تلك النسـبة أو إن كـانت ماهيّة أحدهما أو كلّ واحد منهما توجب أن تكون له تلك النسبة. وهذا إنّما يكون أبدا في ما أحــدهما منســوب إلى الآخر تلك النســبة دائما أو في الأ كــثر. وهــذا المعنى من معـاني " ما بذاته " يقابل ما هو بـالعرض. (78) والمعـنى الثـاني من معـاني " ما بذاته " - وهو الـذي يقـال على ما يعـرّف مـاهو المشـار إليه الـــذي لا في موضـــوع - يجتمع فيه أن يقـــال له " بذاته " بـــالجهتين جميعا - بالجهة الـتي قيل في المشـار إليه إنّه " بذاته " والجهة الـتي قيل في مــاهو محمول بذاته على الموضوع إنّه " بذاته " - بمعنى واحد، وهو أنّه مستغن في أن يحصل ماهيّته بنفسه من غير حاجة إلى مقولة أخـرى. و " المنسـوب إلى شـيء آخر بذاته " يقـال عليه بمعـنى واحـد، وهو أن تكـون ماهيّته تـوجب أن يكون له تلك النسبة أو أن يكون يحتاج في أن تحصل له ماهيّته إلى أن يكـون منسوبا هذه النسـبة. والـذي يعـرّف مـاهو المشـار إليه يقـال له إنّه " بذاته " بالمعنيين جميعا، أحدهما أنّه أيضا مستغن في أن تحصل له ماهيّته بنفسه من غير حاجة إلى المقولات الأخر، والثاني أنّ المشـار إليه يحتـاج في ماهيّته إلى أن يوصف به ويُحمَل عليه، إمّا في أن تحصل ماهيّته موجودة أو معقولة. وقد يقال في الموضوع إنّه " بذاته له محمـول مّا " مـتى كـان يوجد له لا بتوسّـط شـيء آخر بين المحمـول وبين الموضـوع، كما يقـول قـوم " إنّ الحيـاة هي للنفس بـذاتها ثمّ للبـدن بتوسّـط النفس ". وهـذا أيضا قد يُـدَلّ عليه بقولنا " الأوّل "، كما يقـول قائل " إنّ النفس توجد لها الحيـاة أوّلا ". وهـذا ربّما كـان بالإضافة إلى شيء دون شيء. فـإنّ المثلّث يقـال فيه " إنّه توجد له مسـاواة الزوايا لقائمتين أوّلا "، فتناوله قوم من المفسّرين على أنّه بلا واسـطة أصـلا. وهذا شنيع غير ممكن، ولكن هذا " أوّل " بالإضافة إلى جنس المثلّث، ومعنـاه أن لا يوجد بجنسه قبله وجـودا كلّيّـا. فـإنّ قولنا في الشــيء إنّه " بذاته " قد يقال على ما وجوده لا يُنسَب أصلا لا لفاعل ولا مادّة ولا صورة ولا غاية أصلا. ووجود ما هذه صفته يلزم ضرورة مـتى يُـترقّى بـالنظر إلى أسـباب الأسـباب وكانت متناهية العدد في الترقّي.وكلّ مستغن عن غيره في وجوده أو فعله أو

في شيء آخر ممّا هو له أو به أو عنه، يقال إنّه " بذاته ". (79) وهذه اللفظة وما تصرّف وتشكّل منها - أعني " الذات " و " ما بذاته " و " ذات الشيء " - ليست مشهورة عند الجمهور وإنّما هي ألفاظ يتداولها الفلاسفة وأهل العلـوم النظريّة. والجمهـور يسـتعملون مكانها قولنا " بنفسه ". فـإنّهم يقولـون " زيد بنفسه قام الحرب " يعنـون بلا معين، ويقولـون " زيد هو بنفسه " أي بذاته لا بغيره، أي مستغن عن غيره في كلّ ما يفعله.

الفصل الخامس عشر: الموجود (80) الموجود في لسان جمهور العرب هو أوّلا اسم مشتقّ من الوجود والوجـدان. وهو يُسـتعمَل عنـدهم مطلَقا ومقيَّدا، أمّا مطلَقا ففي مثل قولهم " وجـدتُ الضـالّة " و " طلبتُ كـذا حتّى وجدتُه "، وأمّا مقيَّدا ففي مثل قــولهم " وجــدتُ زيــدا كريما " أو " لئيما ". فــالموجود المســتعمَل عنــدهم على الإطلاق قد يعنــون به أن يحصل الشــيء معــروف المكان وأن يُتمكَّن منه في ما يراد منه ويكـون معرضا لما يُلتمَس منـه. فإنّما يعنــون يقــولهم " وجــدتُ الضــالّة " و " وجــدتُ ما كنت فقدتُه " أنّي علمتُ مكانه وتمكّنتُ ممّا ألتمسُ منه مـتى شـئتُ. وقد يعنـون به أن يصـير الشـيء معلوما. وأمّا الذي يُستعمَل مقيَّدا في مثل قولهم " وجـدتُ زيـدا كريما " أو " لئيما " فإنّما يعنون به عرفتُ زيدا كريما أو لئيما لا غير. وقد يستعمل العــرب مكـان هـذه اللفظة في الدلالة على هـذه المعـاني " صـادفتُ " و " لقيتُ "، ومكـان الموجـود " المصـادَف " و " الملقى ". (81)ـ وتُسـتعمَل في ألسـنة سـائر الأمم عند الدلالة على هـذه المعـاني الـتي تـدلّ عليها هـذه اللفظة في العربيّة وفي الأمكنة الـتي يسـتعمل فيها جمهـور العـرب هـذه اللفظة لفظـةٌ معروفة عند كلّ أمّة من أولئك الأمم يـدلّون بها على هـذه المعـاني بأعيانهـا، وهي بالفارســيّة " يــافت " وفي الســغديّة " فــيرد " – يعنــون به الوجــود والوجدان - و " يافته " و " فيردو " - يعنـون به الموجـود. وفي كـلّ واحد من بــاقي الألســنة لفظة من نظــير ما في الفارســيّة والســغديّة، مثل اليونانيّة والسريانيّة وغيرهـا. (82) ثمّ في سـائر الألسـنة - مثل الفارسـيّة والسـريانيّة والسـغديّة - لفظة يسـتعملونها في الدلالة على الأشـياء كلّهـا، لا يخصّـون بها شيئا دون شيء.ويستعملونها في الدلالة على رباط الخـبر بـالمخبَر عنـه، وهو الذي يربط المحمول بالموضوع متى كان المحمـول اسـما أو أرادوا أن يكـون المحمول مرتبطا بالموضوع ارتباطا بـالإطلاق من غـير ذكر زمـان. وإذا أرادوا أن يجعله مرتبطا في زمــان محصَّــل مــاض أو مســتقبل اســتعملوا الكَلِم الوجوديّة، وهي كان أو يكون أو سيكون أو الآن. وإذا أرادوا أن يجعلوه مرتبطا به من غير تصريح بزمان أصلا نطقوا بتلك اللفظة، وهي بالفارسيّة " هست " وفي اليونانيّة " " استين " وفي السغديّة " استي " وفي سائر الألسنة ألفاظا أخر مكان هذه. وهذه الألفاظ كما قلنا تُسـتعمَل في مكـانين كما قلنـا. وهـذه كلّها غير مشتقّة في شيء من هـذه الألسـنة. بل هي مثـالات أول وليست لها مصـادر ولا تصـاريف. ولكن إذا أرادوا أن يعملوها مصـادر اشـتقّوا منها ألفاظا أخر مكان هذه، وهذه الألفاظ يستعملونها مصادر، مثل " الإنسـان " الـذي هو مثـال أوّل في العربيّة ولا مصـدر له ولا تصـريف، ولكن إذا أرادوا أن يعملـوا منها مصدرا قالوا " الإنسانيّة " مشـتقّا من " الإنسـان ". وكـذلك تعمل سـائر

الألســنة بتلك اللفظــة؛ مثل ما في الفارســيّة، فــإنّهم إذا أرادوا أن يعملــوا " هست " مصدراقالوا "هستي"، فإنّ هذا الشكل يـدلّ على مصـادر ما ليس له تصـاريف من الألفـاظ عنـدهم، كما يقولـون " مـردم " - وهو الإنسـان - و " مـــردمي " - وهو الإنســانيّة. (83) وليس في العربيّة منذ أوّل وضــعها لفظة تقوم مقام " هست " في الفارسيّة ولا مقام " استين " في اليونانيّة ولا مقام نظائر هاتين اللفظتين في سائر الألسنة. وهذه يُحتاج إليها ضرورة في العلوم النظريّة وفي صـناعة المنطـق. فلمّا انتقلت الفلسـفة إلى العـرب واحتـاجت الفلاسفة الـذين يتكلّمـون بالعربيّة ويجعلـون عبـارتهم عن المعـاني الـتي في الفلسفة وفي المنطق بلسان العرب، ولم يجدون في لغة العـرب منذ أوّل ما وُضعت لفظة ينقلوا بها الأمكنة التي تُستعمل فيها " استين " في اليونانيّة و " هست " بالفارســيّة فيجعلونها تقــوم مقــام هــذه الألفــاظ في الأمكنة الــتي يستعملها فيها سـائر الأمم، فبعضـهم رأى أن يسـتعمل لفظة " هو " مكـان " هست " بالفارسيّة و " استين " باليونانيّة. فـإنّ هـذه اللفظة قد تُسـتعمَل في العربيّة كباية في مثل قولهم " هو يفعل " و "هو فَعَلَ". وربّما اسـتعملوا " هو " في العربيّة في بعض الأمكنة الـتي يسـتعمل فيها سـائر أهل الألســنة تلك اللفظة المــذكورة. وذلك مثل قولنا " هــذا هو زيد "، فــإنّ لفظة " هو " بعيد جدّا في العربيّة أن يكونوا قد استعملوها ههنا كناية. كذلك " هذا هو ذاك الذي رأيتُه " و " هذا هو المتكلّم يوم كذا وكـذا " و " هـذا هو الشـاعر "، وكـذلك " زيد هو عادل " وأشباه ذلك. فاستعملوا "هو" في العربيّة مكان " هست " في الفارســيّة في جميع الأمكنة الــتي يســتعمل الفــرس فيها لفظة " هست ". وجعلوا المصدر منه " الهُويّة "، فإنّ هذا الشكل في العربيّة هو شـكل مصـدر كلّ اسم كان مثالا أوّلا ولم يكن له تصريف، مثل " الإنسانيّة " من " الإنســان " و " الحماريّة " من " الحمــار " و" الرجوليّة " من " الرجل ". ورأى آخــرون أن يستعملوا مكان تلك الألفاظ بـدل الهو لفظة الموجـود، وهو لفظة مشـتقّة ولها تصـاريف. وجعلـوا مكـان الهويّة لفظة الوجـود، واسـتعملوا الكَلِم الكائنة منها كَلِما وجوديّة روابط في القضــايا الــتي محمولاتها أســماء، مكــان كــان ويكـون وسـيكون. واسـتعملوا لفظة الموجـود في المكـانين، في الدلالة على الأشياء كلّها وفي أن يُربَط الاسم المحمول بالموضوع حيث يُقصَـد أن لايُـذكَر في القضيّة زمان، وهذان المكانان هما اللذان فيهما " هست " بالفارسيّة و " استين " باليونانيّة. واسـتعملوا الوجـود في العربيّة حيث تُسـتعمَل " هسـتي " بالفارسيّة، واستعملوا وُجد ويوجَد وسيوجَد مكان كان ويكون وسـيكون. (84) ولأنّ لفظة الموجـود وهي أوّل ما وُضـعت في العربيّة مشـتقّة، وكـلّ مشـتقّ فإنّه يخيّل بِنْيَته في مل يدلّ عليه موضوعا لم يصرَّح به ومعنى المصدر الذي منه اشـتُقّ في ذلك الموضـوع، فلـذلك صـارت لفظة الموجـود تخيّل في كـلّ شــيء معــنى في موضــوع لم يصــرَّح به - وذلك المعــنى هو المــدلول عليه بلفظةالوجود - حتّى تخيّل وجودا في موضوع لم يصـرَّح بـه، وفُهم أنّ الوجـود كالعرض في موضـوع. أو تخيّل أيضا فيه أنّه كـائن عن إنسـان، إذ كـانت هـذه اللفظة منقولة من المعاني التي يوقع عليها الجمهور هذه اللفظة - وهي التي للدلالة عليها وُضـعت من أوّل ما وُضـعت - وكـانت معـاني كائنة عن الإنسـان

إلى شيء آخر، إمّا إنسان أو غيره، كقولنا " وجدتُ الضالّة " و " طلبتُ كذا " أو" وجدتُه " و " وجـدتُ زيـدا كريما " أو " لئيما "، فـإنّ هـذه كلّها تـدلّ على معـان كائنة عن إنسـان إلى آخـر. (85) وينبغي أن تعلم أنّ هـذه اللفظة إذا اسـتُعملت في العلـوم النظريّة الـتي بالعربيّة مكـان " هست " بالفارسـيّة فينبغي أن لا يخيَّل معـنى الاشـتقاق ولا أنّه كـائن عن إنسـان إلى آخـر، بل تُستعمَل على أنّها لفظة شكلها شـكل مشـتقّ من غـير أن تـدلّ على ما يـدلّ عليه المشتقّ، بل أنّ معناه معـنى مثـال أوّل غـير دالّ على موضـوع أصلا ولا على مفعول تعدّى إليه فعل فاعل، بل يُستعمَل في العربيّة دالاّ على ما تــدلّ عليه " هست " في الفارسيّة و " استين " في اليونانيّة. وتُسـعمَل على مثـال ما نستعمل قولنا " شـيء ". فـإنّ لفظة الشـيء إذا كـانت مثـالا أوّلا لم يُفهَم منه موضوع ولا فُهم أنّه كـائن عن إنسـان إلى آخـر، بل إنّما يُفهَم منه ما يعمّ ما يدلّ عليه المشتقّ والمثال الأوّل، وما هو كائن عن إنسـان إلى آخر أو غـير كائن. وتُستعمَل لفظة الوجود مصدرا، لكن ينبغي أن يُتحــرَّز من أن يُتخيَّل أنّ معناه هو كائن عن إنسان إلى آخر - وهو ما كان هـذا المصـدر يـدلّ عليه عند جمهور العرب من أوّل ما وُضع - ولكن يُستعمَل على مثـال ما نسـتعمل قولنا في العربيّة " الجمود " وأشباه ذلك ما بِنْيَته بنية الوجـود في العربيّة ممّا ليس يــدلّ على كونه عن إنسـان إلى آخـر. (86) ولأنّ هـذه اللفظة بحيث ما هي عربيّة وبِنْيَتها عنـدهم هـذه البنية صـارت مغلطة جـدّا، رأى قــوم أن يتجنّبـوا اسـتعمالها واسـتعملوا مكانها قولنا " هو " ومكـان الوجــودِ " الهُوّية ". ولأنّ لفظة " هو " ليست باسم ولا كلمة في العربيّة. ولذلك لا يمكن فيها أن نعمل منها مصدرا أصلا، وكان يُحتاج في الدلالة على هذه المعـاني الـتي يُلتمَس أن يُدَلّ عليها في العلوم النظريّة إلى اسم، وكان يُحتـاج إلى أن يُعمَل منه مثل " الرجل " و " الرجوليّة " و " الإنسان " و " الإنسـانيّة "، رأى قـوم أن يتجنّبوها ويستعملوا الموجود مكان " هو " والوجود مكان الهُويّة. وأمّا أنا فـإنّي أرى أنّ الإنسان له أن يستعمل أيّهما شاء. ولكن إن يستعمل لفظة " هو " فينبغي أن يستعملها على أنّها اسم لا أداة - و " الهُويّة "، المصدر المعمـول الآخـر، جـارٍ وإن لم يُستعمَل - تُركَّب مبنيّة في جميع الأمكنة على طرف واحد، على مثالٍ ما توجد عليه كثـير من الأسـماء العربيّة الـتي تُـركَّب مبنيّة على طـرف واحد آخِر. وأمّا المصدر الكائن منها وهو " الهُويّة " فينبغي أن يُستعمَل اسما كـاملا ويُستعمَل فيه الطرف الأوّل والأطـراف الأخـيرة كلّهـا. و إذا اسـتُعملت لفظة الموجود استُعملت على أنّها مثال أوّل وإن كان شكلها شكل مشـتقّ ولا يُفهَم منها ما تخيّله نظائرها من المشــتقّات ولا من الــتي تُفهمها هــذه اللفظة إذا استُعملت في الأمكنة التي يستعملها فيها جمهور العرب وعلى وضـعها الأوّل، لا موضوعا ولا معنى في موضوع ولا أنّه كائن عن الإنسـان إلى آخـر، بل على العموم وكيف اتّفق، بل تُسـتعمَل منقولة عن تلك المعـاني مجـرَّدة عن الـتي توهمها هناك وتُسـتعمَل على مثـال ما نسـتعمل قولنا " شـيء ". (87) فنحن الآن نحصي معنى هـذه اللفظة إذا اسـتُعملت في العلـوم النظريّة على النحو الذي ذكرناه أنّه ينبغي أن تُستعمَل عليه. . (88) الموجود لفظ مشـترك يقـال على جميع المقولات - وهي التي تقـال على المشـار إليه - ، ويقـال على كـلّ

مشـار إليـه، كـان في موضـوع أو لا في موضـوع. والأفضل أن يقـال إنّه اسم لجنس جنس من الأجناس العالية على أنّه ليست له دلالة على ذاته، ثمّ يقــال على كــلّ ما تحت كــلّ واحد منها على أنّه اسم لجنسه العــالي، ويقــال على جميع أنواعه بتواطؤ - مثل اسم العين، فإنّه اسم لأنــواع كثــيرة ويقــال عليها باشــتراك -، ثمّ يقــال على كــلّ ما تحت نــوع نــوع بتواطؤ على أنّه اسم أوّل لــذلك النــوع، ثم لكــلّ ما تحت ذلك النــوع على أنّه يقـال عليها بتواطـؤ. وقد يمكن أن يقـال إنّه اسم يقـال باشـتراك على العمـوم على جميع جنس جنس من الأجنــاس، ثمّ هو اسم لواحد واحد ممّا تحته يقــال عليه بالخصــوص. وقد تلزم هنا شنعة مّا، فلذلك آثرنا ذلك الأوّل، إلاّ أن يكون بنوع من الإضافة. وقد يقـال على كــلّ قضـيّة كـان المفهـوم منها هو بعينه خـارج النفس كما فُهم، وبالجملة على كلّ متصوَّر ومتخيَّل في النفس وعلى كـلّ معقـول كـان خـارج النفس وهو بعينه كما هو في النفس. وهـذا معـنى أنّه صـادق، فـإنّ الصـادق والموجــود مترادفـان. وقد يقــال على الشــيء " إنّه موجــود " ويُعــنى به أنّه منحاز بماهيّة مّا خارج النفس سواء تُصُـوِّر في النفس أو لم يُتصـوَّر. والماهيّة والذات قد تكون منقسمة وقد تكون غير منقسمة. فما كانت ماهيّته منقسمة فإنّ التي يقال إنّها ماهيّته ثلاثة، إحداها جملته التي هي غـير ملخَّصـة، والثانية الملخَّصة بأجزائها التي بها قوامهـا، والثالثة جـزء جـزء من أجـزاء الجملة كـلّ واحد بجملته على حياله. فجملته ما دلّ عليه اسمه، والملخَّصة بأجزائها ما دلّ عليه حدّه، وجزء جزء من أجزائها جنس وفصل كـلّ واحد على حياله أو مـادّة وصورة كلٌّ واحدة على حيالهـا. وكـلّ واحـدة من هـذه الثلاثة يسـمّى الماهيّة والذات. وبالجملة فإنّما يسمّى الماهيّة كلّ ما للشـيء، صـحّ أن يجـاب به في جواب " ماهو هـذا الشـيء " أو في جـواب المسـؤول عنه بعلامة مّا أخـرى - فإنّ كلّ مسـؤول عنه " مـاهو " فهو معلـوم بعلامة ليست هي ذاته ولا ماهيّته المطلوبة فيه بحـرف مـا. فقد يجـاب عنه بجنسـه، وقد يجـاب عنه بفصـله أو بمادّته أو بصــــورته، وقد يجــــاب عنه بحــــدّه، وكــــلّ واحد منها فهو ماهيّته المنقســـمة. وتنقسم إلى أجـــزاء. فـــإن كـــان ماهيّة كـــلّ واحد من أجزائها منقسـمة، فتنقسم أيضا إلى أجـزاء، حـتىّ تنقسم إلى أجـزاء ليس واحد منها ينقسم، فتكون ماهيّة كلّ واحد منها غير منقسمة. (89) فالموجود إذن يقــال على ثلاثة معان: على المقولات كلّها، وعلى ما يقـال عليه الصـادق، وعلى ما هو منحاز بماهيّة مّا خـارج النفس تُصُـوِّرت أو لم تُتصـوَّر. وأمّا ما ينقسم حتّى تكـون له جملة وملخَّص تلك الجملة فـإنّ الموجـود والوجـود يختلفـان فيـه، فيكـــون الموجـــود هو بالجملة - وهي ذات الماهيّة - والوجـــود هو ماهيّة ذلك الشيء الملخَّصة أو جزء جزء من أجزاء الجملة إمّا جنسه وإمّا فصله، وفصله إذ كان أخصّ به فهو أحرى أن يكون وجوده الذي يخصّه. ووجود ما هو صــادق فهو إضافة مّا للمعقولات إلى ما هو خـارج النفس. والموصـوف بجنس جنس من الأجنـاس العالية فوجـوده هو جنسـه، وأيضا هو داخل في معـنى الوجـود الذي هو الماهيّة أو جزء ماهيّة، فـإنّ جنسه هو جـزء ماهيّته وهو ماهيّة مّا بـه، وإنّما يكون ذلك في ماماهيّته منقسـمة. وكـلّ ما كـانت ماهيّته غـير منقسـمة فهو إمّا أن يكـون موجـودا لا يوجد وإمّا أن يكـون معـنى وجـوده وأنّه موجـود

شيئا واحدا، ويكون أنّه وجود وأنّه موجود لا يوجد وإمّا أن يكون معـنى وجـوده وأنّه موجود شـيئا واحـدا، ويكـون أنّه وجـود وأنّه موجـود معـنى واحـدا بعينـه. فـــالموجود المقـــول على جنس جنس من الأجنـــاس العالية فـــإنّ الوجـــود والموجـود فيها معـنى واحد بعينـه. وكـذلك ما ليس في موضـوع ولا موضـوع لشيء أصلا فإنّه أبـدا بسـيط الماهيّـة، فـإنّ وجـوده وأنّه موجـود شـيء واحد بعينه. (90) وظاهرأنّ كلّ واحد من المقولات التي تقـال على مشـار إليه هي منحازة بماهيّة مّا خارج النفس من قبل أن تُعقَل منقسـمة أو غـير منقسـمة. وهي مع ذلك صـــادقة بعد أن تُعقَـــل، إذ كـــانت إذا عُقلت وتُصُـــوِّرت تكـــون معقـــولات ما هو خـــارج النفس. فيجتمع فيها أنّها موجـــودات بتينك الجهـــتين الأخرتين. فيحصل أن تكون ترتقي معاني الموجود الى معنيين: إلى أنّه صادق وإلى أنّ له ماهيّة مّا خـارج النفس. (91) وظـاهر أنّ كـلّ صـادق فهو منحـاز بماهيّة مّا خارج النفس. والمنحاز بماهيّة مّا خارج النفس هو أعمّ من الصادق. أنّ ما هو منحاز بماهيّة مّا خـارج النفس إنّما يصـير صـادقا إذا حصل متصـوَّرا في النفس، وهو من قبل أن يُتصوَّر منحاز بماهيّة مّا خارج النفس وليس يُعَـدّ صادقا - وإنّما معنى الصادق هو أن يكون المتصوَّر هو بعينه خـارج النفس كما تُصُوِّر - وإنّما يحصل الصدق في المتصوَّر بإضافته إلى خـارج النفس، وكـذلك الكذب فيه. فالصادق بما هو صـادق هو بالإضـافة إلى منحـاز بماهيّة مّا خـارج النفس. والمنحاز بماهيّة مّا على الإطلاق من غـير أن يُشـرَط فيه هو أعمّ من الذي هو منحاز بماهيّة مّاخارج النفس. فإنّ الشيء قد ينحـاز بماهيّة متصـوَّرة فقط ولا تكون هي بعينها خارج النفس، أو كانت منها أشـياء معقولة متصـوَّرة ومتخيَّلة ليست بصـادقة، كقولنا " القُطر مشـارك للضِـلع " وكقولنا " الخلاء " فـإنّ الخلاء له ماهيّة مّـا، وذلك أنّا قد نسـأل عن الخلاء " ما هو " ويجـاب فيه بما يليق أن يجاب في جواب " ما هو الخلاء " ويكون ذلك قولا شارحا لاسـمه وما يشـرح الاسم فهو ماهيّة مّا وليست خـارج النفس. (92) وينبغي أن تعلم ما هي الأشياء التي لها ماهيّـات خـارج النفس، فتحصل إذن على المعقـولات، وعلى ما عليها تقال، وعلى ماعنها استفادت ماهيّاتها وهي مادّتهـا. فلـذلك إذا قلنا في الشيء " إنّه موجود " و " هو موجود " فينبغي أن يُسأل القائل لذلك أيّ المعنـــيين عـــنى، هل أراد أنّ ما يُعقَل منه صـــادق أو أراد أنّ له ماهيّة مّا خـارج النفس بوجه مّا من الوجـوه. وما له ماهيّة مّاخـارج النفس، وإن كـان عامّا، فإنّه يقـال بالتقـديم والتـأخير على تـرتيب. وهو أنّ ما كـان أكمل ماهيّة ومستغنيا في أن يحصل ماهيّة عن باقيها، وباقيها فيحتاج في أن يحصل ماهيّة وفي أن يُعقَل إلى هــذه المقولـة، هي أحـرى أن تكـون وأن يقـال فيها إنّها موجودة من باقيها. ثمّ ما كـان من هـذه المقولة محتـاج في أن يحصل ماهيّة إلى فصل أو جنس من هـذه المقولة كـان أنقص ماهيّة من ذلك الـذي هو من هذه المقولة سبب لأن يحصل ماهيّة. فما كان ممّا في هذه المقولة سـببا لأن تحصل به ماهيّة شيء منها كـان أكمل ماهيّة وأحـرى أن يسـمّى موجـودا. ولا يزال هكذا يرتقي في هــذه المقولة إلى الأكمل فالأكمل ماهيّة إلى أن يحصل فيها ما هو أكمل ماهيّة ولا يوجد في هذه المقولة ما هو أكمل منها، كـان ذلك واحدا أو أكثر من واحد. فيكون ذلك الواحد وتلك الأشياء هي أحرى أن يقـال

" إنّه موجود " من الباقية. فإن صودف شـيء خـارج عن هـذه المقـولات كلّها هو المسبّب في أن يحصل ماهيّة ما هو أقـدم شـيء في هـذه المقولـة، كـان ذلك هو السـبب في ماهيّة بـاقي ما في هـذه المقـولات، ويكـون ما في هـذه المقولة هو السبب في ماهيّة باقي المقولات الأخر. فتكون الموجـودات الـتي يُعـنى بـالموجود فيها ما له ماهيّة خـارج النفس مرتَّبة بهـذا الـترتيب. (93) والموجود الذي يُعنى به ما له ماهيّة مّا خارج النفس، منه موجود بـالقوّة ومنه موجود بالفعل . وما هو موجود بالفعل ضربان، صرب غـير ممكن أن لا يكـون بالفعل ولا في وقت من الأوقـات أصلا - فهو دائمابالفعل - ومنه ما قد كـان لا بالفعـل، وهو الآن بالفعـل، وقد كـان قبل أن يكـون بالفعلوقد كـان موجـودا بالقوّة. ومعنى قولنا " موجود بـالقوّة " أنّه مسـدَّد ومعَـدّ لأن يحصل بالفعـل. ومل هو مسـدَّد ومعَـدّ لأن يحصل بالفعل منه ما هو مسـدَّد ومعَـدّ لأن يحصل بالفعل فقط من غير أن يكون تسديده واستعداده لذلك استعدادالأن لا يحصل بالفعل أو لأن يحصل بالفعل ولأن لا يحصل بالفعـــل، بل يكـــون اســـتعداده اسـتعدادا مسـدَّدا نحو الفعل فقـط، ومنه ما هو مسـدَّد ومسـتعدّ أن يحصل بالفعل أو لا يحصل. فالموجود بـالقوّة فـإنّ قوّته تنقسم إلى هـذين. ولا فـرق بين أن نقول " القوّة " أو " الإمكـان ". فـإنّ ما هو موجـود بـالقوّة منه ما هو بقوّته وإمكانه مســدَّد نحو أن يحصل بالفعل فقــط، ومنه مــاهو مســدَّد أن يحصل بالفعل وألاّ يحصل، فيكون مسـدَّدا لمتقـابلين. وما هو مسـدَّد في ذاته لأن يحصل بالفعل فقط فإنّه ضــربان، ضــرب معــرَّض للعوائق الــواردة من خارج، وضرب لا عائق له أصلا، وما لا عائق له أصلا من خـارج من هـذين فإنّه سيكون لا محالة يحصل بالفعل. مثل إحراق النار للحَلْفاء الـتي تماسّـها، فـإنّ النار فيها قوّة الإحراق فقط وليست هي مسدَّدة لأن تحـرق ولا تحـرق، ولكن لمّا كانت معرَّضة للعوائق عن الإحراق صـارت ربّما أحـرقت وربّما لم تحـرق. وأمّا كسوف القمر فإنّ قوّته التي هو بها مستعدّ لأنينكسف، هو بها مسدَّد لأن ينكسف عند الاستقبال في العقدة، وغير معرَّض لعائق من خارج أصلا. فلذلك إذا قابل الشـمس عند إحـدى العقـدتين انكسف لا محالـة. وهـذه أشـياء قد لُخّصت في الفصل الثالث من كتاب " باري ارميناس ". (94) وما هو موجـــود بالقوّة لم تجري عادة الجمهور فيه أن يسمّوه موجودا بل يسمّوه غير موجـود ما داموا يعبّرون عنه بلفظ الموجـود. وإنّما يسـمّون بلفظ الموجـود ما كـانت ماهيّته التي بالفعل صادقة - ولا يسـمّون ما كـانت ماهيّته صـادقة وماهيّته بعد بالقوّة موجودا - فإنّ هذا هو الأسبق إلى نفوسهم من لفظ الموجود . فأمّا إذا نطقوا عن أنواع ما يقال فيه على العموم إنّه موجود جعلـوا العبـارة عنه حين ما هو بعد بـــالقوّة باللفظة الـــتي يعبّـــرون بها عنه وهو بالفعـــل. وذلك مثل " الضارب " و " القاتل " و " المضروب " و " المبـنيّ " و " المقتـول ". فـإنّهم يقولون " فلان مضـروب - أو مقتـول - لا محالة "، وذلك من قبل أن يُضـرَب، إذا كان مستعدّا لأن يُضرَب في المستقبل. وكذلك يقولون " ما ببلاد الهند من الأشـجار مرئيّة " يعنـون به معرضة لأن تُـرى. وكـذلك يقولـون " إنّ الإنسـان ميّت " أو " زيد ميّت " يعنـون به معـرض للمـوت. وذلك من قبل أن يمـوت. فيجعلون العبارة في جزئيّـات ما هو بـالقوّة حينا وبالفعل حينا بألفـاظ واحـدة

بأعيانها، ويجعلون اللفظ الـدالّ على ما هو بعد بـالقوّة هو بعينه اللفظ الـدالّ على ما هو منه حاصل بالفعـل. فـاتّبع الفلاسـفة في لفظـةالموجود المقولة على جميع هذه العموم حذوهم في جزئيّات ما يقال عليه الموجود بأن سـمّوا ما هو منه بعد القوّة باسم ما هو منه بالفعـل، فسـمّوه الموجـود في الوقـتين جميعا، وفصلوا بينهما بما زادوه من شريطة القوّة والفعـل، فقـالوا " موجـود بالقوّة " و " موجود بالفعل ". وقد يقال " إنّه موجود لا بـالقوّة " وقد يقـال " إنّه غير موجـود بـالقوّة "، فإليك أن تنطق عنه بـأيّ العبـارتين شـئت. وكـذلك فيما هو موجود بالقوّة، إن شئتَ قلتَ فيه " إنّه موجود لا بالفعل " وإن شئتَ قلتَ " إنّه غير موجود بالعفل ".(95) و " غير الموجود " و" ما ليس بموجـود " تقـال على نقيض ما هو موجـود، وهو ما ليست ماهيّته خـارج النفس. وذلك يُستعمَل على ما لا ماهيّة له ولا بوجه من الوجوه أصلا لا خارج النفس ولا في النفس؛ وعلى ما له ماهيّة متصـــوَّرة في النفس لكنها خــــارج النفس، وهو الكاذب، فإنّ الكاذب قد يقال " إنّه غير موجود ". وذلك أنّ ما له ماهيّة خـارج النفس سَلْبه قولنا " ليست له ماهيّة خارج النفس "، وهذا مشتمل على ما له ماهيّة في النفس فقط من غـير أن يكـون خـارج النفس وما ليست له ماهيّة خارج النفس ولا في النفس. و " غـير الموجـود " انّما يـدلّ على هذاالسـلب، كما أنّ قولنا " ليس يوجد عـــادلا "ولا يصـــدق على ما يمكن فيه وعلى ما لا يمكن فيه العـدل. وما ليس بصـادق فهو أعمّ من الكـاذب. وذلك أنّ الـذي لا ماهيّة له أصلا ليس بصادق ولا كاذب - لأنّه لا اسم له ولا قول يـدلّ عليه أصلا - ولا بجنس ولا بفصل ولا يُتصوَّر ولا يُتخيَّل ولا تكون عنه مسألة أصلا. وأمّا ما كان ليس بصـادق وهو كـاذب فإنّه يُعقَل أو يُتصـوَّر أو يُتخيَّل وله ماهيّـة. فـإنّ للكـــاذب ماهيّة مّا وله اسم وقد يُســـأل عنه " ما هو ". مثل الخلاء، فإنّه قد يُســـأل عنه " ما هو " فيقـــال " هو مكـــان لا جسم فيه أصلا " و " يمكن أن يكون فيه جسم " أو غير ذينك ممّا يجاب به عن الخلاء وعن أشبهه. فإنّ هـذا وما أشبهه هو كاذب وهو غير موجود. وإنّما تكون هذه مركّبة من أشـياء لكـلّ واحد منها على انفـراده ماهيّة صـادقة. والـذي له ماهيّة خـارج النفس ليس يقـال فيه " إنّه صـادق " ما لم يُتصـوَّر. فإنّه " غـير موجـود " إذن بمعنَـيين مختلفَين، فـإنّ الـذي ينفي " غـيرُ " ليس هو المعـنى " يوجد " إلاّ باشـتراك الاسم. وهذا شيء يعرض لكلّ شيئين اشتركا في اسم واحد وكان الصادق هو نفي أحـدهما عن أمر مّا وإيجـاب الآخـر، مثل " إنّ العضو الـذي به نبصر هو عين وليس بعين "، وكـذلك ما أشـبهه. إلاّ أنّ الصـادق إنّما يقـال فيه " إنّه موجـود " لأجل إضـافته إلى الـذي له ماهيّة خـارج النفس. فهو إذن بالإضـافة إلى المعنى الآخر الذي يقال عليه الموجود. فأقدم ما يقـال عليه الموجـود هو هذا المعنى. فإن قال فيه قائل " إنّه غير موجـود " يعـني أنّه غـير صـادق، أي كان لم يُتصوَّر بعد، فما ينبغي أن يُسـتنكَر، فإنّه ليس بممتنـع. (96) والأسـبق إلى النفوس في بادئ الرأي من قولنا " غير موجــود " ما لا ماهيّة له أصلا ولا بوجه من الوجوه. ولذلك لمّا كان لا ماهيّة له أصلا ولا بوجه من الوجوه، وكان أن يُعلَم عند الجمهور هو أن يُحَسّ، صار ما كان غير محسوس عندهم في حدّ ما ليس بموجـود. ولـذلك لمّاصـار أيضا ما كـان أخفى في الحسّ عنـدهم من

الأجسام مثل الهباء والهواء وما أشبهه في حدّ ما هو عندهم غير موجود، صاروا يقولون في ما تلف وبطل " إنّه هباء " و " صار هباء " و " ريحا ". ولذلك يسمّون القول الكاذب أيضا ريحا، إذ كان معناه يقال فيه إنّه غير موجود. فمن ههنا يتبيّن أنّهم يقولون على الكاذب أيضا " غير موجود "، وإن لم يكن ذلك مشهورا في نطقهم، إذ كانوا يعبّرون عن الكاذب بالذي يعبّرون به عمّا ما لا ماهيّة له أصلا، فيقولون " إنّه ريح " كما يقولون فيما بطلت ماهيّته " إنّه صار ريحا ". (97) ولمّا كان الأقدمون من القدماء يعملون في الفلسفة على ما يُفهَم من الألفاظ في بادئ الرأي، وكان قولنا " غير موجود " يُفهَم عنه ببادئ الرأي ما ليست له ماهيّة أصلا، وكان ما هو غير موجود هكذا لا يمكن أن يصير موجودا وأن يحصل عنه موجود بالفعل، ورأوا ما يُحَسّ أشياء تحدث وتحصل بالفعل وكان ما يحدث يسبق إلى النفس إنّه يحدث عن غير موجود، وكان الأسبق إلى النفس عن غير الموجود أنّه لا ماهيّة له أصلا، لزم عندهم محال، إذ كان يلزم أن يحدث موجود عن غير موجود. فاعتقد بعضهم أنّه غير موجود. ورأى بعضهم أيضا أنّ هذا يلزم عنه أيضا محال، إذ كان يلزم أن يكون ما هو الآن موجود حادث الوجود قد كان موجودا قبل حدوثه. فأبطلوا الكون والحدوث. وقالوا إنّ الأشياء كلّها لم تزل ولا تزال وليس فيها شيء يحدث ويبطل. وأبطلوا أن يتغيّر شيء أصلا بوجه من وجوه التغيّر، قالوا إنّه لا ينبغي أن يُعمَل على ما يظهر للحسّ، وذلك مثل قول ماليسس. وهذا المعنى فهم فاسد من قولنا " غير موجود ". فقال: كلّ ما سوى الموجود فهو غير موجود، وما هو غير موجود فليس بشيء. وإنّما حكم على ماهو لا موجود أنّه ليس بشيء، إذ فهم عن ما هو لا موجود ما لا ماهيّة له أصلا. (98) ولمّا لم يتميّز أيضا للطبيعيّين الأقدمين فرق ما بين الموجود بالقوّة والموجود بالفعل كما تبيّن للإلاهيّن، شنع عندهم أن يقال في شيء واحد " إنّه موجود " و " إنّه غير موجود "، إذ كانوا يفهمون عن " الموجود " ما له ماهيّة بالفعل فقط - فإنّ هذا هو أسبق إلى النفوس في بادئ الرأي - وعن " غير الموجود " ما لا ماهيّة له أصلا - وهذا أيضا هو الأسبق إلى النفوس في بادئ الرأي. فاعتقد كثير من المنطقيّين أن كلّ حادث الوجود حصل بالفعل فقد كان بالفعل قبل وجوده. فبعضهم قال إنّه كان متفرّقافاجتمع، وبعضهم قال كان مجتمعا مختلطا فافترق وتميّز بعضه عن بعض، وبعضهم قال إنّه كان عن لا موجود أصلا من كلّ الجهات. ثمّ أخذوا يحتالون في ما معنى أن يكون عن غير موجود أصلا ولا ماهيّة له أصلا. (99) و" الموجود بذاته " هو على عدد أقسام ما يقال " بذاته ". فمن ذلك ما ماهيّته مستغنية عن باقي المقولات ولا تحتاج إليه أن تتقوّم أو تحصل أو تُعقَل إليها، وتلك هي المشار إليه الذي لا في موضوع ثمّ ما يعرّف ما هو هذا المشار إليه، والمقابل لهذا هو الموجود في موضوع. ومنه ما ماهيّته مستغنية عن أن تحتاج إلى أن تتقوّم إلى نسبة بينه وبين غيره بوجه مّا من الوجوه، وهو الذي لا سبب أصلا لماهيّته في أن تحصل، والمقابل لهذا هو الموجود الذي له سبب مّا. وأمّا الموجود بذاته المقابل لما هو موجود بالعرض، فإنّه ليس يكون في ما يوصف بالموجود على الإطلاق وبالوجه الأعمّ. فإنّه ليس

شيء ماهيّته بالعرض، بل إنّما يقال ذلك عند مقايسة الموجـودات بعضـها إلى بعض وعندما يضـاف بعضـها إلى بعض - أيّ إضـافة كـانت وأيّ نسـبة كـانت - مثل أن يكون أحـدهما أو كـلّ واحد منهما بـالآخر أو عنه أو إليه أو منه أو معه أو عنده أو منسـوبا إليه نسـبة أخـرى - أيّ نسـبة كـانت. فإنّه إذا كـانت ماهيّة أحدهما أو كلّ واحد منهما هي ظان تكون له تلك النسـبة إلى الآخـر، قيل في كلّ واحد منهما " إنّه منسوب إلى الآخر بذاته ". مثل إن كانت ماهيّة شيء مّا أن يوصف بمحمـول مّا فيه قيل في ذلك المحمـول " إنّه محمـول بذاته على ذلك الشــيء " وقيل في ذلك الشــيء " إنّه بذاته يوصف بــذلكالمحمول ". كـذلك إن كــانت ماهيّة أمر أن يكــون محمــولا على موضــوع قيل فيه " إنّه محمول بذاته على ذلك الموضوع " وقيل في ذلك الموضوع " إنّه بذاته يُحمَل عليه ذلك المحمول ". وكذلك إن كـانت ماهيّة شـيء مّا تـوجب دائما أو في أ كثر الأمر أن يوصف بـأمر مّا قيل فيه " إنّه محمـول عليه بذاته ". وكـذلك إن كان شيء كائنا أو قوامه بأمر مّا كـان سـببا لـه. فإنّه إن كـانت ماهيّته هي أن يكـون عنـه، أو ماهيّة ما هو سـبب أن يكـون عنه ذلك الشـيء، قيل " إنّه له بذاته ". وإن لم يكن ذلك ولا في ماهيّة واحد منهما قيل " إنّه لـذلك الأمر - أو فيه أو به أو عنه أو معه أو عنده - بالعرض ". (100) المقابل للموجود الـذي يقال بالقياس إلى آخر هو " غير الموجود " الذي يقال بالقياس إلى آخـر. فإنّا نقول " زيد غير موجود عمرا " و " الحائط غـير موجـود إنسـانا " و " السـرير غـــير موجـــود عن الطبيعة بل عن الصــنعة "، نعــني ليست ماهيّة الســـرير مســتفادة عن الطبيعــة. وكــذلك في البــاقي، نعــني ما هو زيد ليست ماهيّة عمـرو. (101) وقد يُسـتعمَل الموجـود في شـيء آخر خـارج عن هـذه الـتي ذكرناها. وهو أنّه يُستعمَل رابطا للمحمول مع الموضــوع في الأقاويل الجازمة الموجبة. فهذه اللفظة ومعناها تربط المحمـول بالموضـوع وبه يحصل إيجـاب شـيء لشـيء. وقد يحصل هـذا الصـنف من تـركيب الموجـودات بعضـها إلى بعض، فإنّ الموجود يدلّ على الإيجاب و " غير الموجـود " يـدلّ على السَـلْب. وليس يدلّفي مثل قولنا " زيد موجود عادلا " على أنّ ماهيّة أحدهما بالذات أو بــالعرض، ولا أنّ ماهيّة أحــدهما أو كلاهما الخارجة عن النفس هي أن توصف بالعادل. فإنّه قد يكون هذا التركيب في جـواب ما ليست له الآن ماهيّة خـارج النفس، فيصدق قولنا " اوميرس موجود شاعرا ". فيكون صـادقا لأنّ ما يـدلّ الموجود ههنا ليس هو الموجود الذي تحـدّدت معانيه فيما تقـدّم، بل هو لفظة ينطوي فيها موضوع لمحمول أو محمول لموضوع، وبالجملة شـيئان رُكّبا هـذا التركيب. وقد تنطوي فيها ما هيّاتها على أنّ لكلّ واحد عند الآخر هذه النســبة فقط. وهذه اللفظة في قوّتها ماهيّتا أمرين يضـاف كـلّ واحد منهما إلى الآخر هذه الإضافة، ليس ماهيّاتهما اللتان يقـال إنّهما خـارج النفس، لكنّها ماهيّتاهما كيف اتّفقت من حيث هما مضـافان هـذه الإضــافة الـتي يصـير المؤلّف منها قضيّة موجبة. فإنّ هذه اللفظة قد تُسـتعمَل فيما هي كاذبة وفيما هي صـادقة وفيما لا نـــدري هل هي صـــادقة أو كاذبـــة. فإنّها إنّما تتضـــمّن ماهيّتهما على الإطلاق من حيث هما في النفس، ســـواء كانتا خـــارج النفس أو لم تكونـــا. وليس تتضـمّن أيضا أمـرين بأعيانهمـا، بل إنّما تتضـمّن موضـوعا لمحمـول أو

محمولا لموضوع. فلا فـرق بين أن يُبتـدَأ آ ب من الموضـوع إلى المحمـول أو من المحمول إلى الموضوع، فيقال " آ موجود ب " أو يقـال " ب موجـود آ ". و " غير الموجود " يدلّ على سَـلْب محمـول عن موضـوع أو موضـوع يُسـلَب عنه محمول مّا. وليس للموجود منها معنى آخر غـير هـذا. (102) فلـذلك لمّا ظنّ قـوم أنّه يُعـنى بـالموجود ههنا ما له ماهيّة خـارج النفس ظنّـوا أنّ قولنا "زيد يوجد عادلا " يوجب أن يكون زيد موجود خارج النفس. وعلى هذا المثال ظنّوا السَلْب، كقولنا " زيد ليس يوجد عادلا ". فإنّهم زعموا أنّه رَفْع ماهيّة زيد من حيث هو عادل. وأنّ الإيجاب قد كان عندهم إثبات ماهيّة زيد من حيث هو عادل. فلذلك لا يصدق الإيجاب على زيد متى كـان قد مـات وبطـل. وآخـرون ظنّوا أنّه لا يصدق أن يقال " الإنسان موجود أبيض "، إذ ليست ماهيّة الإنسان أن يكون أبيض. وآخرون ظنّـوا أن قولنا " الإنسـان موجـود حيوانا " كـذب، إذ كان الحيوان قد يكون حمارا أو كلبا، وظنّوا انّ قولنا " الإنسان موجــود حيوانا " يُعـنى به أنّ الإنســان ماهيّته الحيـوان الـذي ينطـوي فيه الحمـار والكلب، فتكـون ماهيّة الإنسـان أن يكـون حمـارا أو كلبـا، أو أن يكـون الحيـوان أيضا جزءامن حدّ الحمار وأن تكون ماهيّة الإنسـان حماريّة مـا، وقـالوا بل الصـادق أن يقال " الإنسان موجود إنسانا " و " العادل موجود عادلا ". ولم يعلمــوا أنّ الموجـود ههنا إنّما اسـتُعمل باشـتراك، وأنّه إنّما تنطـوي فيه بـالقوّة ماهيّتـان اثنتان من حيث هما متصوَّرتان لهما نسبة المحمـول إلى موضـوع والموضـوع إلى المحمول فقط لا غير، وأنّه ليس يتضمّن إضـافة ماهيّة خـارج النفس إلى ماهيّة خـــارج النفس بل إضـــافة في النفس أحد طرفيها الموضـــوع والآخر المحمول، ولا يتضمّن أن تكون ماهيّة أحـدهما أن توصف بـذلك المحمـول بل إنّما يتضمّن ما قلناه فقط. وإنّما يتضمّن إضافة مّا بها يصير أحد الأمرين خبرا والآخر مخبَرا عنه موضوعا لا غير (103) والمؤتلف من الشيئين اللذين يأتلف أحدهما إلى الآخر هذا الائتلاف هو القضيّة، وفيها يكون الصدق والكـذب. فمنه موجبة ومنه سالبة. وكلّ واحد منهما إمّا أن يكون معنى الوجـود الرابط فيهما بالقوّة فقط، وهي القضايا التي محمولاتها كَلِم، وإمّا أن يكـون معـنى الوجـود الرابط فيهما بالفعل، وهي التي محمولاتها أسماء. ثمّ تنقسم هـذه بما ينقسم الموجود على الإطلاق، فمنهاما فيه إيجاب هـذا الموجـود بالفعل دائمـا، ومنها ما فيه نفي هذا الموجود دائما، ومنها ما فيه هذا الوجود في وقت مّا وقد كان قبل ذلك بـالقوّة. فما كـان بـالقوّة فهو ما دام بـالقوّة يقـال فيه " إنّه قضـيّة ممكنة "، وإذا حصلت بالفعل فيها " قضيّة وجوديّة "؛ وما كان منها إيجاب هذا الوجـود دائما قيل فيه " إنّه قضـيّة موجبة ضـروريّة "، وما كـان في نفي هـذا الوجـود دائما قيل فيه " سـالبة ضـروريّة "؛ وسـائر ما قلنا في كتـاب " بـاري ارميناس " و كتاب " القياس ". فيكـون منها ما هو " صـادق ضـروريّ " ومنها ماهو " كاذب ضروريّ " وهو المحـال، و" كـاذب وجـوديّ " وهو الكـاذب غـير المحـال، وما هو " صـادق وجـوديّ "، ثمّ ما هو " بـالعرض " وما هو " بذاته " وما هو " أوّل " وما هو " ثان "، وسائر ما في كتاب " البرهان ".

الفصل السادس عشر: الشيء (104) والشيء قد يقال على كـلّ ما له ماهيّة مّا كيف كـان، كـان خـارج النفس أو كـان متصـوَّرا على أيّ جهة كـان، منقسمة أو غير منقسمة. فإنّا إذا قلنا " هذا شيء " فإنّا نعـني به ما له ماهيّة مّا. فإنّ الموجـود إنّما يقـال على ما له ماهيّة خـارج النفس ولا يقـال على ما ماهيّة متصوَّرة فقط، فبهذا يكون الشيء أعمّ من الموجـود. والموجـود يقـال على القضيّة الصـادقة، والشـيء لا يقـال عليهـا. فإنّا لا نقـول " هـذه القضـيّة شيء " ونحن نعـني به أنّها صـادقة، بل إنّما نعـني أنّ لها ماهيّة مّـا. ونقـول " زيد موجود عادلا " ولا نقـول " زيد شـيء عـادلا ". والمحـال يقـال عليه " إنّه شيء " ولا يقال عليه " إنّه موجود ". فالشيء إذن يقال على كثـير ممّا يقـال عليه الشيء وعلى ما لا يقال عليه الشيء. (105) و " ليس بشيء " يُعنى به ما ليست له ماهيّة أصلا لا خارج النفس ولا في النفس. وهذا المعنى هو الذي فهم برمانديس من " غير الموجود "، فقال " وكـلّ ما هو غـير موجـود فليس بشيء "، فإنّه أخذ " الموجـود " على أنّه بتواطؤ وأخذ " غـير الموجـود " على أنّه يـدلّ على ما لا ماهيّة له أصلا ولا بوجه من الوجـوه، فلـذلك حكم عليه أنّه ليس بشـيء. فكـان الـذي ينتج عن هـذا القـول أنّ ما سـوى الموجـود ليس بشيء، وأنّه لا ماهيّة له أصلا. فأبطل بذلك كثرة الموجـودات وجعل الموجـود واحــدافقط. وأمّا هو فإنّه أنتج من أوّل الأمر " فـالموجود إذن واحد ". فهــذه معاني ما يقال عليه الشيء.

الفصل السابع عشر: الذي من أجله (106) "ـ والـذي من أجله " يقـال على أنحــاء. الأوّل في مثل قولنا " الأســاس هو من أجل الحائط والحائط هو الذي من أجله الأساس "، فإنّه يدلّ على أنّ الكـلّ هو الـذي من أجله الجـزء. والثـاني يـدلّ على الآلة والـذي فيه تُسـتعمَل الآلــة، فـإنّ الـذي يُطلَب بلوغه باستعمال الآلة هو الذي لأجله الآلة، مثل المِبْضَع والفِصاد. والثــالث هو الفعل الذي يؤدّي إلى غاية و غرض، فـإنّ الغاية هو الـذي لأجله الفعـل، مثل التعليم والعلم الحاصل عنه، فإنّ العلم هو الذي لأجله التعليم. وفي جميع هـذه يلــزم ضرورة أن يكون الذي لأجله الشـيء يتـأخّر بالزمـان عن الشـيء وأن يتقدّمه الشـيء بالزمـان. والرابع المقتـني، مثل الصـحّة والإنسـان. فـإنّ الإنسـان هو الذي لأجله التُمست الصحّة، والسرير الذي يعمله النجّـار هو الـذي لأجل زيـد، والمال لأجل مقتني المال. والخامس يدلّ على المستعمل للآلة والخادم، فإنّ المِبْضَع إنّما التُمس لأجل الطبيب والمِثْقَب لأجل النجّار، فإنّ النجّـار هو الـذي لأجله عُمِل المِثْقَب. والســادس يـدلّ على الـذي يُقتدبه ويُجعَل مثــالا وإماما ودسـتورا، وهو يسـمّى به فيما يُعمَل ويُلتمَس رضـاه ويُتبَع أمـره، مثل ضـرب الجِيَد لأجل الملك، والجهاد هو من أجل اللـه، والله هو الـذي من أجله الجهـاد والصلاة وأعمال البرّ والتمسّك بـالنواميس الـتي يشـرّعها. فهـذه الثلاثة يلـزم فيها أن يتقدّم بالزمان الأشياء التي التُمست لأجله هـذه. فـإنّ هـذه الأصـناف التي لأجلها الشـيء تتقـدّم بالزمـان الشـيء ويتـأخّر عنها الشـيء بالزمـان. (107) عن يـدلّ على فاعـل، وعلى هـذه الجهة يقـال "عن شَـتْم فلان لفلان كـانت الخصـومة ".ويـدلّ على المـادّة وعلى هـذه الجهة يقـال " الإبريق عن

النحــاس ". ويــدلّ على " بعــدُ " كقولنا " عن قليل تعلم ذلك "، وعلى هــذه الجهة يقال " كان الموجـود عن لاموجـود " أو عن العـدم " أو " وُجد الشـيء عن ضدّه ".

البابُ الثاني
حُدوث الألفاظ وَالفلسفة والملّة

الفصل التاسع عشر: الملة والفلسفة تقـال بتقـديم وتـأخير (108) ولمّا كـان سـبيل الـبراهين أن يُشـعَر بها بعد هـذه لـزم أن تكـون القـوى الجدليّة والسوفسـطائيّة والفلسـفة المظنونة أو الفلسـفة المموّهة تقـدّمت بالزمـان الفلسـفة اليقينيّـة، وهي البرهانيّـة. والملّة إذا جُعلت إنسـانيّة فهي متـأخّرة بالزمــان عن الفلسـفة، وبالجملــة، إذ كـانت إنّما يُلتمَس بها تعليم الجمهــور الأشياء النظريّة والعمليّة التي استُنبطت في الفلسفة بالوجوه التي يتأتّى لهم فهم ذلــك، بإقنــاع أو تخييل أو بهما جميعــا. (109) وصــناعة الكلام والفقه متأخّرتان بالزمـان عنها وتابعتـان لهـا. فـإن كـانت الملّة تابعة لفلسـفة قديمة مظنونة أو مموّهة كــان الكلام والفقه التابعــان لها بحسب ذلك بل دونهمــا، وخاصّة إذا كانت قد خلّت الأشياء ألتي أخـذتها عنهما أو عن إحـداهما وأبـدلت مكانها خيالاتها ومثالاتها، فأخذت صـناعة الكلام تلك المثـالات والخيـالات على أنّها هي الحقّ اليقين والتمست تصحيحها بالأقاويـل. وإن اتّفق أيضا أن يكـون واضع نـواميس متـأخّر حاكىفيما شـرّعه من الأشـياء النظريّة واضع نـواميس متقـدّما قبله كـان أخذ الأمـور النظريّة عن فلسـفة مظنونـةأو مموّهـة، وأخذ المثالات والخيالات التي تَخيّل بها الأوّل ما كـان أخـذه عن تلك الفلسـفة على أنّها هي الحقّ لا أنّها مثالات، فالتمس تخييلها أيضا بمثالات تُخيّل تلك الأشـياء، فأخذ صـاحب الكلام في ملّته مثالاته تلك على أنّها هي الحـقّ، صـار ما تنظر فيه صــناعة الكلام في هــذه الملّة أبعد عن الحـــقّ من الأولى، إذ كـــان إنّما تصحيح مثـال مثالالشـيء الـذي ظُنّ حـقّ أو ممـوَّه أنّه حـقّ. (110) وبيّن أنّ صناعة الكلام والفقه متأخّرتان عن الملّـة، والملّة متـأخّرة عن الفلسـفة، وأنّ القوّة الجدليّة والسوفسطائيّة تتقدّمان الفلسفة، والفلسفة الجدليّة والفلسفة السوفسطائيّة تتقـدّمان الفلسـفة البرهانيّـة، فالفلسـفة بالجملة تتقـدّم الملّة على مثــــال ما يتقــــدّم بالزمـــــان المســــتعمل الآلات الآلات. والجدليّة والسوفسطائيّة تتقـدّمان الفلسـفة على مثـال تقـدّم غـذاء الشـجرة للثمـرة، أوعلى مثال ما تتقدّم زهرة الشجرة الثمرة. والملّة تتقـدّم الكلام والفقه على مثال ما يتقدّم الـرئيس المسـتعملُ للخـادم الخـادمَ المسـتعملُ للآلة الآلـة. (111) والملّة إذ كـانت إنّما تعلّم الأشـياء النظريّة بالتخييل والإقنـاع، ولم يكن يعـرف التـابعون لها من طـرق التعليم غـير هـذين، فظـاهر أنّ صـناعة الكلام التابعة للملّة لا تشـعر بغـير الأشـياء المقنعة ولا تصـحّح شـيئا منها إلاّ بطـرق وأقاويل إقناعيّـة، ولا سـيّما إذا قُصد إلى تصـحيح مثـالات الحـقّ على أنّها هي الحــقّ. والإقنــاع إنّما يكــون بالمقــدّمات الــتي هي في بــادئ الــرأي مــؤثَرة ومشهورة، وبالضـمائر والتمـثيلات، وبالجملة بطـرق خطبيّـة، كـانت أقاويل أو

كـــانت أموراخارجة عنهـــا. فـــالمتكلّم إذن يقتصر في الأشـــياء النظريّة الـــتي يصحّحها على ما هو في بـادئ الـرأي مشـترك. فهو يشـاركالجمهور في هـذا. لكنّه ربّما يتعقّب بادئ الرأي أيضا، لكنّه إنّما يتعقّب بادئ الرأي بشيء آخر هو أيضا بادئ الرأي. وأقصى ما يبلغ من التوثيق أن يجعل الرأي في نقضه جدليّا. فهو بهـذا يفـارق الجمهـور بعض المفارقـة. وأيضا فإنّه إنّما يجعل غرضه في حياته ما يستفاد بها. فهو أيضا يفارق الجمهور بهذا. وأيضا فإنّه لمّا كـان خادما للملّة، وكانت الملّة منزلتها من الفلسفة تلك المنزلة، صـار الكلام نسـبته إلى الفلسفة أيضا على أنّها بوجه مّا خادمة لها أيضا بتوسّـط الملّـة، إذ كـانت إنّما تنصر وتلتمس تصحيح ماقد صُحّح أوّلا في الفلسفة بـالبراهين بما هو مشـهور في بادئ الرأي عند الجميع ليحصل التعليم مشتركا للجميع. ففـارق الجمهـور بهذا أيضا. فلذلك ظُنّ به أنّه من الخاصّـة لا من الجمهـور. وينبغي أن يُعلَم أنّه أيضا من الخاصّـــة، لكن بالإضـــافة إلى أهل تلك الملّة فقـــط، والفيلســـوف خاصّـــيّته بالإضـــافة إلى جميع النـــاس وإلى الأمم. (112) والفقيه يتشـــبّه بالمتعقّل. وإنّما يختلفان في مبادئ الرأي التي يستعملانها في استنباط الـرأي الصواب في العمليّة الجزئيّة. وذلك أنّ الفقيه إنّا يستعمل المبـادئ مقـدّمات مـــأخوذة منقولة عن واضع الملّة في العمليّة الجزئيّـــة، والمتعقّل يســـتعمل المبادئ مقدّمات مشهورة عند الجميع ومقدّمات حصلت له بالتجربـة. فلـذلك صار الفقيه من الخواصّ بالإضافة إلى ملّة مّا محـدودة والمتعقّل من الخاصّـة بالإضافة إلى الجميع. (113) فالخواصّ على الإطلاق إذن هم الفلاسفة الـذين هم فلاسفة بإطلاق. وسائر مَن يُعَدّ من الخواصّ إنّما يُعَدّ منهم لأنّ فيهم شبها من الفلاسفة. من ذلك أنّ كلّ مَن قُلّد أو تقلّد رئاسة مدنيّة أو كان يصـلح لأن يتقلّدها أو كان معَدّا لأن يتقلّدها يجعل نفسه من الخواصّ، إذ كان فيه شبه مّا من الفلســفة، إذ كـــان أحد أجزائها الصـــناعة الرئيسة العمليّــة. ومن ذلك أنّ الحـــاذق من أهل كـــلّ صـــناعة عمليّة يجعل نفسه من الخـــواصّ لكونه أنّه قد استقصى تعقيب ما هو عند أهل الصناعة مأخوذ على الظـاهر. وليس الحـاذق من أهل كلّ صناعة يسمّينفسه بهذا الاسم فقط، لكنّ أهل صناعة عمليّة ربّما سـمّوا أنفسـهم خـواصّ بالإضـافة إلى مَن ليس هو من أهل تلك الصـناعة، إذ كان إنّما يتكلّم وينظر في صـناعته بالأشـياء الـتي تخصّ صـناعته، ومَن سـواه إنّما يتكلّم وينظر فيها ببـادئ الـرأي وما هو مشـترك عند الجميع في الصـنائع كلّها. وأيضا فإنّ الأطّبـاء يسـمّون أنفسـهم أيضا من الخـواصّ إمّا لأنّهم كـانوا يتقلّدون تدبير المرضى المدنفين، وإمّا لأنّ صـناعتهم تشـارك العلم الطـبيعيّ من الفلســـفة، وإمّا لأنّهم يحتـــاجون إلى أن يستقصـــوا تعقيب ما هو في صناعتهم من بادئ الرأي أ كثر من سـائر الصـناعات للخطر والضـرر الـذي لا يؤمَن على الناس من أقلّ خطأ يكون منهم، وإمّا لأنّ صـناعة الطبّ تسـتخدم صنائع كثيرة من الصنائع العمليّة مثل صناعة الطبخ والحـرد وبالجملة الصـنائع النافعة في صحّة الإنسان. ففي جميع هذه شبه من الفلسفة بوجه مّـا. وليس ينبغي أن يســـمّى أحد من هـــؤلاء خـــواصّ إلاّ على جهة الاســـتعارة، ويُجعَل الخـــــواصّ أوّلا وفي الجـــــودة على الإطلاق الفلاســـــفة، ثمّ الجـــــدليّون والسوفسـطائيّون، ثمّ واضـعوا النـواميس، ثمّ المتكلّمـون والفقهـاء. والعـوامّ

والجمهـور أولئك الـذين حـدّدناهم، كـان فيهم مَن تقلّد رئاسة مدنيّة أو كـان يصلح أن يقلّدها أم لا.

الفصل العشرون: حـدوث حـروف الأمّة وألفاظها (114) وبيّن أنّ العـوامّ والجمهور هم أسبق في الزمان من الخواصّ. والمعارف المشـتركة الـتي هي بادئ رأي الجميع في الزمـان من الصـنائع العمليّة ومن المعـارف الـتي تخصّ صـناعة صـناعة منهـا، وهـذه جميعا هي المعـارف العاميّـة. وأوّل ما يحـدثون ويكونون هؤلاء. فإنّهم يكونون في مسكن وبلد محدود، ويُفطَـرون على صُـوَر وخِلَق في أبـدانهم محـدودة، وتكـون أبـدانهم على كيفيّة وأمزجة محـدودة، وتكـون أنفسـهم معَـدّة ومسـدّدة نحو معـارف وتصـوّرات وتخيّلات بمقـادير محـدودة في الكميّة والكيفيّة - فتكـون هـذه أسـهل عليهم من غيرها -، وأن تنفعل انفعالات على أنحـاء ومقـادير محـدودة الكيفيّة والكميّة - وتكـون هـذه أسهل عليها -، وتكون أعضائهم معـدّة لأن تكـون حركتها إلى جهـات مّا وعلى أنحــاء أســهل عليها من حركتها إلى جهــات أخر وعلى أنحــاء أخــر. (115) والإنســان إذا خلا من أوّل ما يُفطَر ينهض ويتحـرّك نحو الشـيء الـذي تكـون حركته إليه أسـهل عليه بـالفطرة وعلى النـوع الـذي تكـون به حركته أسـهل عليه، فتنهض نفسه إلى أن يعلم أو يفكّر أو يتصـوّر أو يتخيّل أو يتعقّل كـلّ ما كان استعداده له بالفطرة أشدّ وأ كثر - فـإنّ هـذا هو الأسـهل عليه - ويحـرّك جسـمه وأعضـاءه إلى حيث تَحَرُّكه وعلى النـوع الـذي اسـتعدادُه بـالفطرة له أشدّ وأ كثر وأ كمل - فإنّ هذا أيضا هو الأسـهل عليـه. وأوّل ما يفعل شـيئامن ذلك يفعل بقوّة فيه بالفطرة وبملكة طبيعيّة، لا باعتياد له سـابق قبل ذلك ولا بصـناعة. وإذا كـرّر فِعْل شـيء من نـوع واحد مـرارا كثـيرة حـدثت له ملكة اعتياديّــة، إمّا خلقيّة أو صــناعيّة. (116) وإذا احتــاج أن يعــرّف غــيره ما في ضميره أو مقصوده اسـتعمل الإشـارة أوّلا في الدلالة على ما كـان يريد ممّن يلتمس تفهيمه إذا كـان مَن يلتمس تفهيمه بحيث يبصر إشـارته، ثمّ اسـتعمل بعد ذلك التصويت. وأوّل التصويتات النداء - فإنّه بهذا ينتبه مَن يلتمس تفهيمه أنّه هو المقصـود بـالتفهيم لا سـواه - وذلك حين ما يقتصر في الدلالة على ما ضــميره بالإشــارة إلى المحسوســات. ثمّ من بعد ذلك يســتعمل تصــويتات مختلفة يــدلّ بواحد واحد منها على اوحد واحد ممّا يــدلّ عليه بالإشــارة إليه وإلى محسوســاته، فيجعل لكــلّ مشــار إليه محــدود تصــويتا مّا محــدودا لا يسـتعمل ذلك التصـويت في غـيره، وكـلّ واحد من كـلّ واحد كـذلك. (117) وظاهر أنّ تلك التصويتات إنّما تكون من القـرع بهـواء النفَس بجـزء أو أجـزاء من حلقه أو بشـيء من أجـزاء ما فيه وبـاطن أنفه أو شـفتيه، فـإنّ هـذه هي الأعضاء المقروعة بهـواء النفَس. والقـارع أوّلا هي القـوّة الـتي تسـرّب هـواء النفَس من الرئة وتجويف الحلق أوّلا فـأوّلا إلى طـرف الحلق الـذي يلي الفم والأنف وإلى ما بين الشفتين، ثمّ اللسان يتلقّى ذلك الهواء فيضعطه إلى جزء جزء من أجـزاء بـاطن الفم وإلى جـزء جـزء من أجـزاء أصـول الأسـنان وإلى الأسنان، فيقـرع به ذلك الجـزءَ فيحـدث من كـلّ جـزء يضـغطه اللسـان عليه ويقرعه به تصويت محدود، وينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء

أصل الفم فتحدث تصويتات متوالية كثيرة محدودة. (118) وظاهر أنّ اللسان إنّما يتحرّك أوّلا إلى الجـزء الـذي حركته إليه أسـهل. فالـذين هم في مسـكن واحد وعلى خِلَق في أعضـائهم متقاربـة، تكـون ألسـنتهم مفطـورة على أن تكـون أنـواع حركاتها إلى أجـزاء أجـزاءمن داخل الفم أنواعا واحـدة بأعيانهـا، وتكــون تلك أسـهل عليها من حركاتها إلى أجـزاء أجـزاء أخر . ويكـون أهل مسكن وبلد آخر، أذا كانت أعضاؤهم على خِلَق وأمزجة مخالفة لخِلَق أعضـاء أولئـك، مفطـورين على أن تكـون حركة ألسـنتهم إلى أجـزاء أجـزء من داخل الفم أسهل عليهم من حركتها إلى الأجـزاء الـتي كـانت ألسـنة أهل المسـكن الآخر تتحرّك إليها، فتخالف حينئذ التصـويتات الـتي يجعلونها علامـات يـدلّ بها بضـعهم بعضا على ما في ضـميره ممّا كـان يُشـير إليه وإلى محسوسه أوّلا. ويكون ذلك هو السـبب الأوّل في اختلاف ألسـنة الأمم. فـإنّ تلك التصـويتات الأول هي الحروف المعجمة. (119) ولأنّ هذه الحـروف إذا جعلوها علامـات أوّلا كـانت محـدودة العـدد، لم تف بالدلالة على جميع ما يتّفق أن يكـون في ضـمائرهم إلى تـركيب بعضـها إلى بعض بمـوالاة حـرف حـرف، فتحصل في ألفاظ من حرفين أو حروف، فيستعملونها علامات أيضا لأشـياء أخـر. فتكـون الحروف والألفاظ الأول علامات لمحسوسات يمكن أن يشار إليها ولمعقولات تستند إلى محسوسات يمكن أن يشار إليها، فإنّ كلّ معقول كلّيّ له أشخاص غير أشخاص المعقول الآخر. فتحدث تصويتات كثيرة مختلفة، بعضها علامــات لمحسوسـات - وهي ألقـاب - وبعضـها دالّة على معقـولات كلّيّة لها أشـخاص محسوسة. وإنّما يُفهَم من تصويت تصويت أنّه دالّ على معقول معقـول مـتى كان تردّد تصويت واحد بعينه على شخص مشار إليه وعلى كلّ ما يشابهه في ذلك المعقـول. ثمّ يُسـتعمَل أيضا تصـويت آخر على شـخص تحت معقـول مّا آخر وعلى كلّ ما يشابهه في ذلك المعقول.

الفصل الحـادي والعشـرون: أصل لغة الأمّة واكتمالها . (120) فهكـذا تحدث أوّلا حـروف تلك الأمّة وألفاظها الكائنة عن تلك الحـروف. ويكـون ذلك أوّلا ممّن اتّفق منهم. فيتّفق أن يســتعمل الواحد منهم تصــويتا أو لفظة في الدلالة على شيء مّا عنـدما يخـاطب غـيره فيحفظ السـامع ذلـك، فيسـتعمل السامع ذلك بعينه عندما يخاطب المنشئ الأوّل لتلك اللفظة، ويكون الســامع الأوّل قد احتــذى بــذلك فيقع بــه، فيكونــان قد اصــطلحا وتواطئا على تلك اللفظـة، فيخاطبـان بها غيرهما إلى أن تشـيع عند جماعـة.ثمّ كلّما حـدث في ضمير إنسان منهم شيء احتاج أن يُفهمه غـيره ممّن يجـاوره، اخـترع تصـويتا فدلّ صاحبَه عليه وسمعه منه فيحفظ كلّ واحد منهما ذلك وجعلاه تصويتا دالاّ على ذلك الشـيء. ولا يـزال، يُحـدث التصـويتات واحد بعد آخر ممّن اتّفق من أهل ذلك البلد، إلى أن يُحـدث مَن يـدبّر أمـرهم ويضع بالإحـداث ما يحتـاجون إليه من التصــويتات للأمــور الباقية الــتي لم يتّفق لها عنــدهم تصــويتات دالّة عليها. فيكون هو واضع لسان تلك الأمّة. فلا يـزال منذ أوّل ذلك يـدبّر أمـرهم إلى أن توضع الألفـاظ لكـلّ ما يحتـاجون إليه في ضـروريّة أمـرهم. (121) ويكون ذلك أوّلا لما عرفوه ببادئ الرأي المشترك وما يُحَسّ من الأمـور الـتي

هي محسوسات مشتركة من الأمور النظريّة مثل السماء والكواكب والأرض ومافيها، ثمّ لما استنبطوه عنه، ثمّ من بعد ذلك للأفعال الكائنة عن قواهم التي هي لهم بالفطرة، ثمّ للملَكات الحاصلة عن اعتياد تلك الأفعال نت أخلاق أو صنائع للأفعال الكائنة عنها بعد أن حصلت ملَكات عن اعتيادهم، ثمّمن بعد ذلك لما تحصل لهم معرفته بالتجربة أوّلا ولما يُستنبَط عمّا حصلت معرفته بالتجربة من الأمور المشتركة لهم أجمعين، ثمّ من بعد ذلك للأشياء التي تخصّ صناعة صناعة من الصنائع العمليّة من الآلات وغيرها، ثمّ لما يُستخرَج ويوجد بصناعة صناعة، إلى أن يؤتى على ما تحتاج إليه تلك الأمّة. (122) فإن كانت فِطَر تلك الأمّة على اعتدال وكانت أمّة مائلة إلى الذكاء والعلم طلبوا بفِطَرهم من غير أن يعتمدوا في تلك الألفاظ التي تُجعَل دالّة على المعاني محاكاة المعاني وأن يجعلوها أقرب شبها بالمعاني والموجود، ونهضت أنفسهم بفِطَرها لأن تتحرّى في تلك الألفاظ أن تنتظم بحسب انتظام المعاني على أ كثر ما تتأتّى لها في الألفاظ، فيُجتهَد في أن تُعرب أحوالها الشبه من أحوال المعاني. فإن لم يفعل ذلك مَن اتّفق منهم فعل ذلك مدبّروا أمورهم في ألفاظهم التي يشرّعونها. (123) فيبين منذ أوّل الأمر أنّ ههنا محسوسات مدرَكة بالحسّ، وأنّ فيها أشياء متشابهة وأشياء متباينة، وأنّ المحسوسات المتشابهة إنّما تتشابه في معنى واحد معقول تشترك فيه، وذلك يكون مشتركا لجميع ما تشابه، ويُعقَل في كلّ واحد منها ما يُعقَل في الآخر، ويسمّى هذا المعقول المحمول على كثير " الكلّيّ " و" المعنى العامّ ". وأمّا المحسوس نفسه، فكلّ معنى كان واحدا ولم يكن صفة مشتركة لأشياء كثيرة ولم يكن يشابهه شيء أصلا، فيسمّى الأشخاص والأعيان؛ والكلّيّات كلّها فتسمّى الأجناس والأنواع. فالألفاظ إذن بعضها ألفاظ دالّة على أجناس وأنواع وبالجملة الكلّيّات، ومنها دالّة على الأعيان والأشخاص. والمعاني تتفاضل في العموم والخصوص. فإذا طلبوا تشبيه الألفاظ بالمعاني جعلوا العبارة عن معنى واحد يعمّ أشياء مّا كثيرة بلفظ واحد بعينه يعمّ تلك الأشياء الكثيرة، وتكون للمعاني المتفاضلة في العموم والخصوص ألفاظ متفاضلة في العموم والخصوص، وللمعاني المتباينة ألفاظ متباينة. وكما أنّ في المعاني معاني تبقى واحدة بعينها تتبدّل عليها أعراض تتعاقب عليها، كذلك تُجعَل في الألفاظ حروف راتبة وحروف كأنّها أعراض متبدّلة على لفظ واحد بعينه، كلّ حرف يتبدّل لعرض يتبدّل. فإذا كان المعنى الواحد يثبت وتتبدّل عليه أعراض متعاقبة، جُعلت العبارة بلفظ واحد يثبت ويتبدّل عليها حرف حرف، وكلّ حرف منها دالّ على تغيير تغيير. وإذا كانت المعاني متشابهة بعرض أو حال مّا تشترك فيها، جُعلت العبارة عنها بألفاظ متشابهة الأشكال ومتشابهة بالأواخر والأوائل، وجُعلت أواخرها كلّها أوأوائلها حرفاواحدافجُعل دالاّ على ذلك العرض. وهكذا يُطلَب النظام في الألفاظ تحريّا لأن تكون العبارة عن معان بألفاظ شبيهة بتلك المعاني. (124) ويبلغ من الاجتهاد في طلب النظام وشبه الألفاظ بالمعاني إلى أن تُجعَل اللفظةالواحدة دالّة على معان متباينة الذوات متى تشابهت بشيء مّا غير ذلك وعلى أدائها وإن كان بعيدا جدّا، فتحدث الألفاظ المشكّكة. (125) ثمّ

يبين لنا شبه الألفاظ بالمعاني، ونحاكي بالألفـاظ المعـاني الـتي ليست تكـون بها العبارة، فيُطلَب أن يُجعَل في الألفـاظ ألفـاظ تعمّ أشـياء كثـيرة من حيث هي ألفاظ، كما أنّ في المعاني معـاني تعمّ الأشـياء كثـيرة المعـاني. فتحـدث الألفاظ المشتركة، فتكون هذه الألفاظ المشتركة من غـير أن يـدلّ كـلّ واحد منها على معنى مشـترك. وكـذلك يُجعَل في الألفـاظ ألفـاظ متباينة من حيث هي ألفاظ فقط، كما أنّ المعـاني معـاني متباينـة. فتحصل ألفـاظ مترادفـة. (126) ويُجرى ذلك بعينه في تركيب الألفـاظ، فيحصل تـركيب الألفـاظ شـبيها بـتركيب المعـاني المركَّبة الـتي تـدلّ عليها تلك الألفـاظ المركَّبـة، ويُجعَل في الألفاظ لمركَّبة أشياء ترتبط بهاالألفاظ بعضها إلى بعض مـتى كـانت الألفـاظ دالّة على معان مركَّبة ترتبط بعضها ببعض. ويُتحرّى أن يُجعَل تـرتيب الألفـاظ مسـاويا لـترتيب المعـاني في النفس. (127) فـإذا اسـتقرّت الألفـاظ على المعاني التي جُعلت علامات لها فصار واحد واحد لواحد واحد وكثـير لواحد أو واحد لكثير، وصارت راتبة على التي جُعلت دالّة على ذواتها، صـار النـاس بعد ذلك إلى النسخ والتجوّز في العبارة بالألفاظ، فعُبّر بالمعنى بغير اسـمه الـذي جُعل له أوّلا وجُعل الاسم الـذي كـان لمعـنى مّا راتبا له دالاّ على ذاته عبـارة عن شيء آخر كان له به تعلّق ولو كان يسيرا إما لشـبه بعيد وإمّا لغـير ذلـك، من غير أن يُجعَل ذلك راتبا للثاني دالاّ على ذاتـه. فيحـدث حينئذ الاسـتعارات والمجازات والتحرّد بلفظ معنى مّا عن التصريح بلفظ المعنى الذي يتلوه متى كان الثاني يُفهَم منالأوّل، وبألفاظ معـان كثـيرة يصـرَّح بألفاظها عن التصـريح بألفاظ معان أخر إذا كان سـبيلها أن تُقـرَن بالمعـاني الأول مـتى كـانت تُفهَم الأخيرة مع فهم الأولى، والتوسّـع في العبـارة بتكثـير الألفـاظ وتبـديل بعضـها ببعض وترتيبها وتحسـينها. فيبتـدئ حين ذلك في أن تحـدث الخطبيّة أوّلا ثمّ الشـعريّة قليلا قليلا. (128) فينشأ مَن نشأ فيهم على اعتيـادهم النطق بحروفهم وألفاظهم الكائنة عنها وأقـاويلهم المؤلّفة عن ألفـاظهم من حيث لا يتعـدّون اعتيـادهم ومن غـير أن يُنطَق عن شـيء إلاّ ممّا تعـوّدوا اسـتعمالها. ويمكّن ذلك اعتيادهم لها في أنفسـهم وعلى ألسـنتهم حتّى لا يعرفـوا غيرهـا، حتّى تحفوا ألسنتهم عن كلّ لفظ سواها وعن كلّ تشـكيل لتلك الألفـاظ غـير التشكيل الذي تمكّن فيهم وعن كلّ ترتيب للأقاويل سـوى ما اعتـادوه. وهـذه التي تمكّنت على ألسـنتهم وفي أنفسـهم بالعـادة على ماأخـذوه ممّن سـلف منهم، وأولئك أيضا عن مَن سـلف، وأولئك أيضا عن مَن وضـعها لهم أوّلا. بإكمال التي وضعها لهم أولئك. فهذاهو الفصيح والصواب من ألفـاظهم، وتلك الألفاظ هي لغة تلك الأمّة، وما خالف ذلك فهو الأعجم والخطأ من ألفاظهم.

الفصل الثـاني والعشـرون: حـدوث الصـنائع العامّيّة (129) وبيّن أنّ المعـاني المعقولة عند هـؤلاء هي كلّها خطبيّـة، إذ كـانت كلّها ببـادئ الـرأي. والمقـدّمات عنـدهم وألفـاظهم وأقـاويلهم كلّها أوّلاخطبيّـة. فالخطبيّة هي السـابقة أوّلا. وعلى طـول الزمـان تحـدث حـوادث تُحْـوجهم فيها إلى خُطَب وأجـزاء خُطَب.ولا تـزال تنشأ قليلا قليلا إلى أن تحـدث فيهم أوّلا من الصـنائع القياسيّة صناعة الخطابـة. ويبتـدئ مع نشـئها أو بعد نشـئها اسـتعمال مثـالات

المعــاني وخيالاتها مفهمة لها أو بــدلا منهــا،فتحــدث المعــاني الشــعريّة. ولا يزالينمو ذلك قليلا قليلا إلى أن يحـــدث الشـــعر قليلا قليلا،فتحصل فيهم من الصنائع القياسيّة صـناعة الشـعر لما في فطـرة الإنسـان من تحـرّي الـترتيب والنظام في كلّ شيء. فإنّ أوزان الألفاظ هي لها رتبة وحسن تـأليف ونظـام بالإضافة إلى زمان النطق. فتحصل أيضا على طـول الزمـان صـناعة الشـعر. فتحصل فيهم من الصــنائع القياســيّة هاتــان الصــناعتان - و هما العامّتــان - منالصـنائع القياسـيّة. . (130) فينشـغلون أيضـافي الخُطَب والأشـعار حتّى يقتصّوابهما الأخبار عن الأمور السابقة والحاضرة التي يحتاجون إليها. فيحـدث فيهم رواة الخُطَب و رواة الأشعار وحفّاظ الأخبار التي اقتُصّت بهـا. فيكونـون هــؤلاءهم فصــحاء تلك الأمّة وبلغــاؤهم، ويكونــون همحكمــاء تلك الأمّة أوّلا ومــدبّروهم والمرجــوع إليهم في لسـان تلك الأمّــة. وهـؤلاء أيضـاهم الـذين يركّبــون لتلك الأمّة ألفاظا كــانت غــير مركّبة قبل ذلــك، و يجعلونها مرادفة للألفاظ المشـهورة، ويُمنعـون في ذلك ويُكـثرون منهـا، فتحصل ألفـاظ غريبة يتعارفها هؤلاء ويتعلّمها بعضهم عن بعض ويأخذها غابرهم عن سالفهم . وأيضا فإنّهم مع ذلك يعمدون إلى الأشـياء الـتي لم تكن اتّفقتلها تسـمية من الأمـور الداخلة تحت جنس أو نــوع. فربّما شـعروا بــأعراض فيصــيّرون لها أســماء. وكـذلك الأشـياء الـتي لم يكن يُحتـاج إليها ضـرورة فلم يكن اتّفق لها أسـماء لأجل ذلــك، فــإنّهم يركّبــون لها أســماء ، والبــاقون من تلك الأمّة ســواهم لا يعرفون تلك الأسماء، فيكون جميع ذلك من الغريب.فهؤلاء هم الذين يتأمّلون ألفـاظ هـذه الأمّة ويُصـلحون المختــلّ منهــا. وينظـرون إلى ما كانــالنطق به عســيرا في أوّل ما وُضع فيســهّلونه؛ وإلى ما كــان بشع المســموع فيجعلونه لذيذ المسموع؛ وإلى ما عرض فيه عسر النطق عن التركيبـات الـذي لم يكن الأوّلون يشعرون به ولا عرض في زمـانهم فيعرفونه أو يشـعرون فيه بشـاعة المسموع، فيحتالون في الأمرين جميعا حتّى يسهّلوا ذلك ويجعلـوا هـذا لذيـذا في السمع. وينظرون إلى أصناف التركيبات الممكنة في ألفاظهم والترتيبـات فيها ويتــأمّلون أيّها أ كمل دلالة على تــركيب المعــاني في النفس وترتيبهــا، فيتحرّون تلك وينبّهون عليها، ويتركون الباقية فلا يسـتعملونها إلاّ عند ضـرورة تدعو إلى ذلك. فتصير عنـدها ألفـاظ تلك الأمّة أفصح ممّا كـانت، فتتكمّل عند ذلك لغتهمولسانهم.ثمّ يأخذ الناشئ هـذه الأشـياء عن السـالف على الأحـوال التي سمعها من السالف، وينشؤُ عليها ويتعوّدها مع مَن نشّــأه، إلى أن تتمكّن فيه تمكّنا يحفو به أن يكـون ناطقا لغـير الأفصح من ألفـاظهم. ويحفظ الغـابر منهم ما قد عمل به الماضي منــــالخُطَب والأشــــعار وما فيها من الأخبـــــار والآداب. (131) ولا يزالون يتداولون الحفظـإلى أن يكـثر عليهمما يلتمسـون حفظه ويعســــرفيُحْوجهم ذلك إلى الفكر فيما يســـهّلونه به على أنفســـهم فتُستنبَط الكتابة. وتكون في أوّل أمرها مختلطة إلى أن تصلح قليلا قليلا على طول الزمان ويحاكى بها الألفاظ وتُشبَّه بها وتُقرَّب منها أ كـثر ما يمكن، على ما فعلـوا قـديما بالألفـاظ بـأن قرّبوها في الشـبه من المعـاني ما أمكنهم من التقــريب. فيــدوّنون بها في الكتب ما عسر حفظه عليهم وما لا يــؤمَن بــأن يُنسى على طول الزمان وما يلتمسون إبقاءها على مَن بعدهم وما يلتمسـون

تعليمها وتفهيمها مَن هو ناء عنهم في بلد أو مسكن آخر. . (132) ثمّ من بعد ذلك يُرى أنيُحدَث صناعة علم اللسـان قليلا قليلا بـأن يتشـوّق إنسـان إلى أن يحفظ ألفــاظهم المفــردة الدالّة بعد أن يحفظ الأشــعار والخُطَب والأقاويل المركَّبــة، فيتحــرّى أن يفردها بعد الــتركيب، أو أراد التقاطها بالســماع من جمـاعتهم ومن المشـهورين باسـتعمال الأفصح من ألفـاظهم وفي مخاطباته كلّها وممّن قد عنى بحفظ خُطَبهم وأشعارهم وأخبـارهم أو ممّن سـمع منهم، فيسـمعها من واحد واحد منهم في زمــان طويــل، ويكتب ما يسـمعه منهم ويحفظــه. (133) وقد يجب لــذلك أن يعلم مَن الــذين ينبغي أن يؤخذ عنهم لسـان تلك الأمّـة. فنقـول إنّه ينبغي أن يؤخذ عن الـذين تمكّنت عـادتهم لهم على طول الزمان في ألسنتهم وأنفسهم تمكّنا يحصَّنون به عن تخيّل حــروف سوى حروفهم والنطق بها، وعن تحصيل ألفـاظ سـوى المركَّبة عن حـروفهم وعن النـاطق بها ممّن لم يسـمع غـير لسـانهم ولغتهم أو ممّن سـمعها وجفا ذهنه عن تخيّلها ولسـانه عن النطق بهـا. وأمّا مَن كـان لسـانه مطاوعا على النطق بأيّ حرف شاء ممّا هو خارج عن حروفهم وبأيّ لفظ شاء من الألفـاظ المركّبة عن حروف غـير حـروفهم وبـأيّ قـول شـاء من الأقاويل المركّبة من ألفـاظ سـوى ألفـاظهم فإنّه لا يـؤمَن أن يجـري على لسـانه ما هو خـارج عن عاداتهم الممكَّنة الأولى فيعوَّد ما قد جـرى على لسـانه فتصـير عبارته خارجة عن عبارة الأمّة ويكـون خطأ ولحنا وغـير فصـيح. فـإن كـان مع ذلك قد خالط غيرهم من الأمم وسمع ألسنتهم أو نطق بها كانالخطأ منه أقرب وأحرى، ولم يــؤمَن بما يوجد جاريا في عادته أنّه لغــير تلك الأمّة الــتي هو منهم. وكــذلك الذين كانوا يحصَّنون عن النطق وعن تحصيل حروف سائر الأمم وألفــاظهم - إذ كــانوا يحصَّــنون عمّا لم يكن عُــوّدوه أوّلا من مخالفة أشــكال ألفــاظهم وإعرابها - إذا كثرت مخالطتهم لسائر الأمم وسـماعهم بحـروفهم وألفـاظهم، لم يـــؤمَن عليه أن تتغيّر عادته الأولى ويتمكّن فيه ما يســمعه منهم فيصــير بحيث لا يوثق بما يُسمع منه. (134)ولمّا كان سكان البرّيّة في بيـوت الشَعـر أو الصـوف والخيـام والأحسـية من كـلّ أمّة أجفى وأبعد من أن يـتركوا ما قد تمكّن بالعادة فيهم وأحرى أن يحصّنوا أنفسـهم عن تخيّل حـروف سـائر الأمم وألفاظهم وألسـنتهم عن النطق بها وأحـرى أن لا يخـالطهم غـيرهم من الأمم للتوحّش والجفاء الذي فيهم، وكان سكان المدن والقرى وبيـوت المـدر منهم أطبع وكـانت نفوسـهم أشـدّ انقيـادا لتفهّم ما لم يتعـوّدوه ولتصـوّره وتخيّله وألسنتهم للنطق بما لم يتعوّدوه، كان الأفضل أن تؤخذ لغات الأمّة عن سكان البراري منهم متى كانت الأمم فيهم هاتان الطائفتان. ويُتحـرّى منهم مَن كـان في أواسط بلادهم. فإنّ مَن كـان في الأطـراف منهم أن يخـالطوا مجـاوريهم من الأمم فتختلط لغـاتهم بلغـات أولئـك، وأن يتخيّلــوا عجمة مَن يجــاورهم. فــإنّهم إذا عــاملوهم احتــاج أولئك أن يتكلّمــوا بلغة غريبة عن ألســنتهم، فلا تطاوعهم على كثير من حروف هؤلاء، فيلتجئـوا إلى أن يعبّـروا بما يتـأتّى لهم ويــتركوا ما يعسر عليهم. فتكــون ألفــاظهم عســيرةقبيحة وتوجد فيها لكنة وعجمة مأخوذة من لغات أولئك. فإذا كثر سماع هؤلاء ممّن جاورهم من هـذه الأمم للخطأ وتعوّدوا أن يفهموه على أنّه من الصواب لم يـؤمَن تغيّر عـادتهم،

فلـذلك ليس ينبغي أن تؤخذ عنهم اللغـة. ومَن لم يكن فيهم سـكّان الـبراري أُخذت عن أوسطهم مسكنا. (135) وأنت تتبيّن ذلك مـتى تـأمّلت أمر العـرب في هذه الأشياء. فإنّ فيهم سكّان البراري وفيهم سـكّان الأمصـار. وأ كـثر ما تشاغلوا بذلك من سنة تسعين إلى سنة مائتين. وكان الذي تولّى ذلك من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة في أرض العراق. فتعلّموا لغتهم والفصيح منها من سكّان البراري منهم دون أهل الحضر، ثمّ من سكّان البراري مَن كان في أوسط بلادهم ومن أشدّهم توحشّا وجفاء وأبعـدهم إذعانا وانقيـادا، وهم قَيس وتَميم وأسَد وطَيّ ثمّ هُذَيل، فإن هؤلاء هم مُعظَم مَن نُقل عنه لسان العرب. والبـاقون فلم يؤخذ عنهم شـيء لأنّهم كـانوا في أطـراف بلادهم مخـالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على سرعة انقيـاد ألسـنتهم لألفـاظ سـائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفــرس والســريانيّين وأهل الشــام وأهل مصـر. (136) فتؤخذ ألفـاظهم المفـردة أوّلا إلى أن يـؤتى عليهـا، الغـريب والمشــهور منهــا، فيُحفَظ أو يُكتَب، ثمّ ألفــاظهم المركّبــةكلّها من الأشــعار والخُطَب. ثمّ من بعد ذلك يحدث للنـاظر فيها تأمّل ما كـان منها متشـابها في المفردة منها وعند التركيب، وتؤخذ أصـناف المتشـابهات منها وبمـاذا تتشـابه في صنف صنف منها وما الذي يلحق كلّ صنف منها. فيحدث لها عند ذلك في النفس كلّيّات وقوانين كلّيّة. فيحتاج فيما حدث في النفس من كلّيّات الألفـاظ وقـوانين الألفـاظ إلى ألفـاظ يعبّر بها عن تلك الكلّيّـات والقـوانين حتّى يُمكن تعليمها وتعلّمهــا. فيعمل عند ذلك أحد شــيئين: إمّا أن يخــترع ويــركّب من حــروفهم ألفاظا لم يُنطَق بها أصلا قبل ذلــك، وإمّا أن ينقل إليها ألفاظــامن ألفاظهم التي كانوا يستعملونها قبل ذلك في الدلالة على معان أخر غيرها إمّا كيف اتّفق لا لأجل شـيء وإمّا لأجل شـيء مّـا. وكـلّ ذلك ممكن شـائع، لكن الأجود أن تسمّى القوانين بأسماء أقرب المعـاني شـبها بـالقوانين، بـأن ينظر أيّ معـنى من المعـاني الأول يوجد أقـرب شـبها بقـانون من قـوانين الألفـاظ فيسـمّى ذلك الكلّيّ وذلك القـانون باسم ذلك المعـنى، حتّى يـؤتى من هـذا المثال على تسمية جميع تلك الكلّيّات والقوانين بأسماء أشباهها من المعـاني الأول التي كانت عنـدهم أسـماء. (137) فيصـيّرون عند ذلك لسـانهم ولغتهم بصورة صناعة يمكن أن تُتعلّم وتُعلَم بقول، وحتّى يمكن أن تُعطى عِلَل كلّ ما يقولـون. كـذلك خطـوطهم الـتي بها يكتبـون ألفـاظهم، إذا كـانت فيها كلّيّـات وقـوانين أُخـذت كلّها فـالتُمس حتّى تصـير يُنطَق عنها ويمكن أن تُعلّم وتُتعلّم بقول. فتصير الألفاظ التي يعبَّر بها حينئذ عن تلك القـوانين الألفـاظ الـتي في الوضع الثـاني، والألفـاظ الأول هي الألفـاظ الـتي في الوضع الأوّل، فالألفـاظ الـتي في الوضع الثـاني منقولة عن المعـاني الـتي كـانت تـدلّ عليهـا. (138) فتحصل عندهم خمس صنائع: صناعة الخطابة، وصـناعة الشـعر، والقـوّة على حفظ أخبارهم وأشـعارهم وروايتهـا، وصـناعة علم لسـانهم، وصـناعة الكتابـة. فالخطابة جـودة إقنـاع الجمهـور في الأشـياء الـتي يزاولها الجمهـور وبمقـدار المعـارف الـتي لهم وبمقـدّمات هي في بـادئ الـرأي مـؤثَرة عند الجمهــور وبالألفــاظ الــتي هي في الوضع الأوّل على الحــال الــتي اعتــاد الجمهــور استعمالها. والصناعة الشعريّة تُخيّل بالقوّة في هذه الأشياء بأعيانها. وصــناعة

علم اللسـان إنّما تشـتمل على الألفـاظ الـتي هي في الوضع الأوّل دالّة على تلك المعـاني بأعيانهـا. (139) فـالمعتنون بها فـالمعتنون بها يُعـدّون إذن مع الجمهور، إذ كان ليس معاني ولا واحد منهم بصـناعته هي من الأمـور النظريّة ولا شيئا من الصناعة الـتي هي رئيسة الصـنائع على الإطلاق. وقد لا يمتنع أن يكون رؤساء وصـنائع رئيسة - وهي الصـنائع الـتي بها يتـأتّى تـدبير أمـورهم - وهي إمّا صـناعة تحفظ عليهم صـنائعهم الـتي يزاولونها ليبلغ كـلّ واحد ممّا يزاوله منها غرضه به ولا يعتاق عنه، وإمّا صـناعة يسـتعملهم بها رئيسـهم في صنائعهم ليبلغ بهم غرضه وما يهواه لنفسه من مال أو كرامـة. ويكـون منزلته منهم منزلة رئيس الفلاّحين. وذلك أنّ رئيس الفلاّحين تكـــون له قـــدرة على جودة التأتّي لأن يستعمل الفلاّحين وجودة المشورة عليهم في الفلاحة ليبلغوا غرضـهم بأصـناف فلاحتهم أو ليبلغ هو بأصـناف فلاحتهم غرضه وما يلتمسـه، فهكـذا هو يُعَـدّ أيضا منهم. وعلى هـذا المثـال يكـون رئيس الجمهـور ومـدبّر أمورهم فيما يستعملهم فيه من الصنائع العمليّة وفيما يحفظ عليهم صـنائعهم وبالجملة اسـتعمالهم فيها لأنفسـهم أو لنفسه أو لهم ولـه. فهو أيضا منهم، إذ كـان غرضه الأقصى هو غرضـهم أيضا بصـناعته، إذ هي بعينها صـناعتهم في الجنس والنـوع، إلاّ أنّها أسـمى ما في ذلك الجنس أو النـوع. فـإذن رؤسـاء الجمهور الذين يحفظون عليهم الأشياء التي هم بها جمهور ويسـتعملونهم في الـتي هم بها جمهـور هم من الجمهـور، إذ كـان الـرئيس غرضه في حفظها عليهم واستعمالهم فيها هو غرضهم، بأن يحصل له وحـده وبأنيحصل لهم، فهو منهم. فإذن رؤساء الجمهور الذين هكذا هم من الجمهور أيضا. فهـذه صـناعة أخرى من صنائع الجمهور. وهي أيضا صناعة عامّيّة، إلاّ أنّ أصحابها والمعتنين بها يجعلون أنفسهم من الخواصّ. فإذن ملوك الجمهور هم أيضا من الجمهور.

الفصل الثالث والعشرون: حـدوث الصـنائع القياسـيّة في الأمم (140)
فإذا استُوفيت الصـنائع العمليّة وسـائر الصـنائعالعاميّة الـتي ذكرناها اشـتاقت النفـــوس بعد ذلك إلى معرفة أســباب الأمــور المحسوسة في الأرض وفيما عليها وفيما حولها وإلى سائر ما يُحَسّ من السـماء ويظهـر،وإلى معرفة كثـير من الأمور التي استنبطتها الصنائع العمليّة من الأشكال والأعداد والمناظر في المرايا والألوانوغير ذلـك. فينشأ مَن يبحث عن عِلَل هـذه الأشـياء. ويسـتعمل أوّلا في الفحص عنها وفي تصحيح ما يصـحّح لنفسه فيها من الآراء وفي تعليم غيره وما يصحّحه عند مراجعتهالطرق الخطبيّة لأنّها هي الطرق القياسيّة التي يشعرونبها أوّلا. فيحـدث الفحص عن الأمـور التعاليميّة وعن الطبيعـة. (141) ولا يــزال النــاظرون فيهايســتعملون الطــرق الخطبيّــة، فتختلف بينهم الآراء والمـذاهب وتكـثر مخاطبة بعضـهم بعضا في الآراء الـتي يصـحّحها كـلّ واحد لنفسه ومراجعة كلّ واحد للآخر. فيحتاج كلّ واحدإذا روجع فيما يــراه مراجعة معانـدةأن يوثّق ما يسـتعمله من الطـرق ويتحـرّى أن يجعلها بحيث لا تعانَد أو يعسر عنادها. ولا يزالون يجتهدون ويختبرون الأوثقإلى أن يقفـوا على الطـرق الجدلية بعد زمان. وتتميز لهم الطـرق الجدلية من الطـرق السوفسـطائية، إذ كانوا قبل ذلك يستعملونها غير متميزتين، إذ كـانت الطـرق الخطبية مشـتركة

لهما ومختلطة بهما،فُترفَض عند ذلك الطرق الخطبية وتُستعمل الجدلية. ولأنّ السوفسطائية في الفحص عن الآراء وفي تصحيحها.ثمّ يسـتقرّ في النظر في الأمـــور النظرية والفحص عنها وتصـــحيحها على الطـــرق الجدلية وتُطـــرَح السوفسطائية ولا تُستعمل إلاّ عند المحنة. (142) فلا تزال تُسـتعمَل إلى أن تكمل المخاطبـات الجدليّـة، فتـبين بـالطرق الجدليّة أنّها ليست هي كافية بعد في أن يحصل اليقين. فيحدث حينئذ الفحص عن طـرق التعليم والعلم اليقين، وفي خلال ذلك يكون النـاس قد وقعـوا على الطـرق التعاليمية وتكـاد تكتملأو تكون قد قاربت الكمال، فيلوح لهم مع ذلك الفـرق بين الطـرق الجدليّة وبين الطـرق اليقينيّـةوتتميّز بعض التميـيز ويميل النـاس مع ذلك إلى علم الأمـور المدنيـة، وهي الأشـياء الـتي هي مبـدؤها الإرادة والاختيـار. ويفحصـون عنها بالطرق الجدليّة مخلوطة بالطرق اليقينيّة وقد بُلغ بالجدليّة أكثر ما أمكن فيها من التوثيق حتى كادت تصير علميّـة. ولاتـزال هكـذا إلى أن تصـير الحـال في الفلسفة إلى ما كانت عليه في زمن أفلاطون. (143) ثمّ يُتداوَل ذلك إلى أن يستقرّ الأمر على ما استقرّ عليه أيام أرسطوطاليس. فيتنـاهى النظر العلميّ وتُميَّز الطـــرق كلها وتكمل الفلســفة النظريّة والعامّيّة الكليّــة، ولايبقى فيها موضع فحص، فتصير صـناعة تُتعلم فقـط،ويكـون تعليمها تعليما خاصا وتعليما مشـتركا للجميـع. فـالتعليم الخـاصّ هو بـالطرق البرهانيّة فقـط، و المشـترك الذي هو العامّ فهو بالطرق الجدليّة أو بالخطبية او بالشعريّة. غير أن الخطبيّة والشعريّة هما أحرى ان تُسـتعمَلا في تعليم الجمهـور ماقد اسـتقرّ الـرأي فيه ويصح بالبرهـــان من الأشـــياء النظريّة والعمليّــة. (144) ومن بعد هــذه كلّها يُحتاج إلى وضع النواميس، وتعليم الجمهور ما قد اسـتُنبط وفُـرغ منه وصُـحّح بالبراهين من الأمور النظريّة، وما اسـتُنبط بقـوّة التعقّل من الأمـور العلميّـة. وصناعة وضعالنواميس فهي بالاقتدار على جودة تخييل ماعسر على الجمهور تصوّره من المعقولات النظريّة، وعلى جودة استنباط شيء شيءمن الأفعـال المدنيّة النافعة في بلــوغ السـعادة، و على جودةالإقنـاع في الأمــور النظريّة والعلميّة الـتي سـبيلها أن يعلّمها الجمهـور بجميعطـرق الإقنـاع. فـإذا وُضـعت النــواميس في هــذين الصــنفين وانضــاف إليها الطــرق الـتي بها يُقنَع ويُعلَّم ويؤدَّب الجمهور فقد حصلت الملّة التي بها عُلِّم الجمهور وأُدّبـوا وأخـذوا بكـلّ ما ينالون به السعادة. (145)فإذا حدث بعد ذلك قوم يتأمّلون ما تشتمل عليه الملّة،وكـان فيهممَن يأخذ ما صـرّح به في الملّة واضـعُها من الأشـياء العمليّة الجزئيّة مسلَّمة ويلتمس أن يستنبط عنها ما لم يتّفق أن يصرّح به، محتذيا بما يستنبط من ذلك حذو غرضه بما صرّح به،حدثت من ذلك صناعة الفقـه. فـإن رام مع ذلك قـــوم أن يســـتنبطوا من الأمـــور النظريّة والعمليّة الكلّيّة ما لم يصرّح به واضع الملّة أوغير ما صرّح به منهـا، محتـذين فيها حـذوه فيما صـرّح بـه،حـدثتمن ذلك صـناعة مّا أخـرى، وتلك صـناعةالكلام. وإن اتّفق أن يكـون هنـاك قـوم يرومـون إبطـال ما في هـذه الملّـة، احتـاج أهل الكلام إلى قـوّة ينصرون بها تلك الملّة ويناقضـون اللـذين يخالفونها ويناقضـون الأغاليط الـتي التُمس بها إبطال ما صُرّح به في الملّة، فتكمل بذلك صــناعة الكلام. فتحصل صناعة هاتين القـوّتين. وبيّن أنّه ليس يمكن ذلك إلاّ بـالطرق المشـتركة وهي

الطرق الخطبيّة. (146) فعلى هذا الترتيب تحدث الصنائع القياسـيّة في الأمم متى حدثت عن قرائحهم أنفسهم وفِطَرهم.

الفصل الرابع والعشرون: الصلة بين الملّة والفلسفة (147) فإذا كانت الملّة تابعة للفلسفة التي كملت بعد أن تميّزت الصـنائع القياسـيّة بعضـها عن بعض على الجهة والترتيب الذي اقتضينا كانت ملّة صـحيحة في غاية الجـودة. فأمّا إذا كانت الفلسفة لم تصر بعد برهانيّة يقينيّة في غاية الجـودة، بل كـانت بعد تُصحَّح آراؤها بالخطبيّة أو الجدليّة أو السوفسـطائيّة، لم يمتنع أن تقع فيها كلّها أو في جلّها أو في أ كثرها آراء كلّها كاذبة لم يُشـعَر بهـا، وكـانت فلسـفة مظنونة أو مموّهة. فـإذا أنشـئت ملّة مّا بعد ذلك تابعة لتلك الفلسـفة، وقعت فيها آراء كاذبة كثــيرة. فــإذا أخذ أيضا كثــير من تلك الآراء الكاذبة وأخــذت مثالاتها مكانهــا، على ما هو شــأن الملّة فيما عسر وعسر تصـــوّره على الجمهور، كانت تلك أبعد الحقّ أ كثر وكـانت ملّة فاسـدة ولا يُشـعَر فسـادها. وأشدّ من تلك فسادا أن يأتي بعد ذلك واضع نواميس فلا يأخذ الآراء في ملّته من الفلسـفة الـتي يتّفق أن تكـون في زمانه بل يأخذ الآراء الموضـوعة في الملّة الأولى على أنّها هي الحــقّ، فيحصــلها ويأخذ مثالاتها ويعلّمها الجمهــور، وإن جاء بعده واضع نواميس آخر فيتبع هذا الثـاني، كـان أشـدّ فسـادا. فالملّة الصـحيحة إنّما تحصل في الأمّة مـتى كـان حصـولها فيهم على الجهة الأولى، والملّة الفاسـدة تحصل فيهم مـتى كـان حصـولها على الجهة الثانيـة. إلاّ أنّ الملّة على الجهتين إنّما تحـدث بعد الفلسـفة، إمّا بعد الفلسـفة اليقينيّة الـتي هي الفلســفة في الحقيقة وأمّا بعد الفلســفة المظنونة الــتي يُظَنّ بها أنّها فلسفة من غير أن تكون فلسفة في الحقيقـة، وذلك مـتى كـان حـدوثها فيهم عن قــرائحهم وفِطَــرهم ومن أنفســهم. (148) وأمّا إن نُقلت الملّة من أمّة كانت لها تلك الملّة إلى أمّة لم تكن لها ملّـة، أو أخـذت كـانت لأمّة فأُصـلحت فزيد فيها أو أُنقص منها أو غُيّرت آخر فجُعلت لأمّة أخـرى فـأُدّبوا بها وعُلّموها ودُبّــروا بهــا، أمكن أن تحــدث الملّة فيهم قبل أن تحصل الفلســفة وقبل أن يحصل الجدل والسوفسطائيّة، والفلسفة الـتي لم تحـدث فيهم عن قـرائحهم ولكن نُقلت إليهم عن قوم آخرين كانت هذه فيهم قبل ذلك، أمكن أن تحــدث فيهم بعد الملّة المنقولة إليهم. (149) فإذاكـانت الملّة تابعة لفلســفة كاملة وكانت الأمور النظريّة التي فيها غير موضوعة فيها كما هي في الفلسفة بتلك الألفاظ التي يعبَّر بها عنها بل إنّما كانت قد أخـذت مثالاتها مكانها إمّا في كلّها أو في أ كثرهـا، ونُقلت تلك الملّة إلى أمّة أخـرى منغـير أن يعرفـوا أنّها تابعة لفلسـفة ولا أنّ ما فيها مثـالات لأمـور نظريّة صـحّت في الفلسـفة بـبراهين يقينيّة بل سُكت عن ذلك حتّى ظنّت تلك الأمّة أنّ المثالات التي تشتمل عليها تلك الملّة هي الحقّ وأنّها هي الأمور النظريّة أنفسها، ثمّ نُقلت إليهم بعد ذلك الفلسفة التي هـذه الملّة تابعة لها في الجـودة، لم يـؤمَن أن تضـادّ تلك الملّة الفلسـفة ويعانـدها أهلها ويطّرحونهـا، ويعاند أهلُ الفلسـفة تلك الملّة ما لم يعلموا أنّ تلك الملّة مثـالات لما في الفلسـفة. ومـتى علمـوا أنّها مثـالات لما فيها لم يعانـدوها هم ولكنّ أهل الملّة يعانـدون أهل تلك الفلسـفة. ولا تكـون

للفلســـفة ولا لأهلها رئاسة على تلك الملّة ولا على أهلها بل تكـــون مطّرَحة وأهلها مطّرَحة، ولا يلحق الملّة كثير نصـرة من الفلسـفة، ولا يـؤمَن أن تلحق الفلسفة وأهلها مَضرَّة عظيمة من تلك الملّة وأهلها. فلـذلك ربّما اضـطر أهل الفلسفة عند ذلك إلى معاندة أهل الملّة طلبا لسلامة أهل الفلسفة. ويتحرّون أن لا يعاندواالملّة نفســــــــها بل إنّما يعانـــــــــدونهم في ظنّهم أنّ الملّة مضادّةللفلســفة ويجتهــدون في أن يُزيلــوا عنهم هــذا الظنّ بــأن يلتمســوا تفهيمهم أنّ الـــتي في ملّتهم هي مثـــالات. (150) وإذا كـــانت الملّة تابعة لفلســفة هي فلســفة فاســدة ثمّ نُقلت إليهم بعد ذلك الفلســفة الصــحيحة البرهانيّـة، كـانت الفلسـفة معانـدة لتلك الملّة من كـلّ الجهـات وكـانت الملّة معانـدة بالكلّيّة للفلسـفة. فكـلّ واحـدة منهما تـروم إبطـال الأخـرى، فأيّتهما غلبت وتمكّنت في النفوس أبطلت الأخـرى أو أيّتهما قهـرت تلك الأمّة أبطلت عنها الأخـــرى. (151) وإذا نُقل الجـــدل أو السوفســـطائيّة إلى أمّة لها ملّة مستقرّة ممكّنة فيهم فإنّ كلّ واحد منهما ضارّ لتلك الملّة ويهوّنها في نفــوس المعتقدين لها، إذ كانت قوّة كلّ واحـدة منهما فعلها إثبـات الشـيء أو إبطـال الشيء أو إبطال ذلك الشـيء بعينـه. فلـذلك صـار اسـتعمال الطـرق الجدليّة والسوفســطائيّة في الآراء الــتي تمكّنت في النفــوس عن الملّة يُزيل تمكّنها ويوقع فيها شكوكاويجعلها بمنزلة مالم يصحّ بعد ويُنتظَر صـحّتها، أو يُتحيَّر فيها حتّى يُظَنّ أنّها لا تصـحّ هي ولا ضـدّها. ولـذلك صـار حـال واضـعي النـواميس ينهون عن الجدل والسوفسطائيّة ويمنعون منهما أشدّ المنع. وكـذلك الملـوك الذين رُتّبوا لحفظ الملّة - أيّ ملّة كانت - فـإنّهم يشـدّدون في منع أهلها ذينك ويحـذّرونهم إيّاهما أشـدّ تحـذير. (152) فأمّا الفلسـفة فـإنّ قوما منهم حنـوا عليها. وقوم أطلقوا فيها. وقوم منهم سكتوا عنها. وقوم منهم نهـوا عنهـا، إمّا لأنّ تلك الأمّة ليس سـبيلها أن تُعلّم صـريح الحـقّ ولا الأمـور النظريّة كما هي بل يكون سبيلها بحسب فِطَر أهلها أو بحسب الغـرض فيها أو منها أن لا تطّلع على الحقّ نفسه بل إنّما تؤدَّب بمثالات الحقّ فقط أو كانت الأمّة أمّة سـبيلها أن تـــؤدَّب بالأفعـــال والأعمـــال والأشـــياء العمليّة فقط لا بـــالأمور النظريّة أوبالشيء اليسير منها فقط، وإمّا لأنّ الملّة التي أتى بها كانت فاسدة جاهليّة لم يلتمس بها السعادة لهم بل يلتمس واضعها سعادة ذاته وأراد أن يستعملها فيما يسـعد هو به فقط دونهم فخشى أن تقف الأمّة على فسـادها وفسـاد ما التمس تمكينه في نفوســـهم مـــتى أطلق لهم النظر في الفلســـفة. (153) وظـاهر في كـلّ ملّة كـانت معانـدة للفلسـفة فـإنّ صـناعة الكلام فيها تكـون معاندة للفلسفة، وأهلها يكونون معاندين لأهلها، على مقدار معاندة تلك الملّة للفلسفة.

الفصل الخامس والعشرون: اختراع الأسماء ونقلها (154) فإذا حدث ملّة في أمّة لم تكن لها ملّة قبلها ولم تكن تلك ملّة لأمّة أخرى قبلها، فإنّ الشرائع التي فيها بيّن أنّها لم تكن معلومة قبل ذلك عند تلك الأمّة، ولذلك لم تكن لها عندهم أسماء. فإذا احتاج واضع الملّة إلى أن يجعل لها أسماء فإمّا أن يخترع لها أسماء لم تكن تُعرَف عندهم قبله وإمّا أن ينقل إليها أسماء

أقرب الأشياء التي لها أسماء عندهم شبها بالشرائع التي وضعها. فإن كانت لهم قبلها ملّة أخرى فربّما استعمل أسماء شرائع تلك الملّة الأولى منقولة إلى أشباهها من شرائع ملّته. فإن كانت ملّته أو بعضها منقولة عن أمّة أخرى فربّما استعمل أسماء ما نُقل من شرائعهم في الدلالة عليها بعد أن يغيّر تلك الألفاظ تغييرا تصير بها حروفُها وبِنْيَتُها حروفَ أمّته وبنيتَها ليسهل النطق بها عندهم. ولإن حدث فيهم الجدل والسوفسطائيّة واحتاج أهلها إلى أنينطقوا عن معان استنبطوها لم تكن لهاعندهم أسماء، إذ لم تكن معلومة عندهم قبل ذلك، فإمّااخترعوا لها ألفاظا من حروفهم وإمّا نقلوا إليها أسماء أقرب الأشياء شبها بها. وكذلك إن حدثت الفلسفة احتاج أهلها ضرورة إلى أن ينطقوا عن معان لم تكن عندهم معلولة قبل ذلك، فيفعلون فيها أحد ذينك. (155) فإن كانت الفلسفة قد انتقلت إليهم من أمّة أخرى، فإنّ على أهلها أن ينظروا إلى الألفاظ التي كانت الأمّة الأولى تعبّر بها عن معاني الفلسفة ويعرفوا عن أيّ معنى من المعاني المشتركة معرفتها عند الأمّتين هي منقولة عند الأمّة الأولى. فإذا عرفوها أخذوا من ألفاظ أمّتهم الألفاظ التي كانوا يعبّرون بها عن تلك المعاني العاميّة بأعيانها، فيجعلوها أسماء تلك المعاني من معاني الفلسفة. فإن وُجدت فيها معان نقلت إليها الأمّة الأولى أسماء معان عاميّة عندهم غير معلومة عند الأمّة الثانية وليس لها عندهم لذلك أسماء، وكانت تلك المعاني بأعيانها تشبه معان أخر عامّيّة معلومة عند الثانية ولها عندهم ألفاظ، فالأفضل أن يطّرحوا أسماءها وينظروا إلى أقرب الأشياء شبها بها من المعاني العامّيّة عندهم فيأخذوا ألفاظها ويسمّوا بها تلك المعاني الفلسفيّة. وإن وُجدت فيها معان سُمّيت عند الأولى بأسماء أقرب الأشياء العامّيّة شبها بها عندهم وعلى حسب تخيّلهم الأشياء، وكانت تلك المعاني الفلسفيّة أقرب شبها عند الأمّة الثانية على حسب تخيّلهم للأشياء بمعان عامّيّة أخرى غير تلك، فينبغي أن لا تسمّى عند الأمّة الثانية بأسمائها عند الأمّة الأولى ولا يُتكلّم بها عند الأمّة الثانية. فإن كانت فيها معان لا توجد عند الأمّة الثانية معان عامّيّة تشبهها أصلا - على أنّ هذا لا يكاد يوجد - فإمّا أن تُختَرَع لها ألفاظ من حروفهم، وإمّا أن يُشرَك بينها وبين معان أخر - كيف اتّفقت - في العبارة، وإمّا أن يعبَّر بها بألفاظ الأمّة الأولى بعد أن تُغيَّر تغييرا يسهل به على الأمّة الثانية النطق بها.ويكون هذا المعنى غريبا جدّا عند الأمّة الثانية، إذ لم يكن عندهم لا هو ولا شبهه. وإن اتّفق أن كان معنى فلسفيّ يشبه معنيين من المعاني العامّيّة، ولكلّ واحد منهما اسم عند الأمّتين، وكان أقرب شبها بأحدهما، وكانت تسميتها له باسم الذي هو أقرب شبها به، فينبغي أن يسمّى ذلك باسم ما هو أقرب شبها به. (156) والفلسفة الموجودة اليوم عند العرب منقولة إليهم من اليونانيّين. وقد تحرّى الذي نقلها في تسميّة المعاني التي فيها أن يسلك الطرق التي ذكرناها. ونحن نجد المسرفين والمبالغين في أن تكون العبارة عنها كلّها بالعربيّة. وقد يُشركوا بينها . منها أن يجعلوا لهذين المعنيين اسما بالعربيّة: فإنّ الأسطقس سمّوه " العنصر " وسمّوا الهيولى " العنصر " أيضا - وأمّا الأسطقس فلا يسمّى " المادّة " و" هيولى " - وربّما استعملوا " الهيولى " وربّما استعملوا " العنصر

" مكان "الهيولى". غير أنّ التي تركوها على أسمائها اليونانيّة هي أشياء قليلة. فما كان من المعاني الفلسفيّة جرى أمر التسمية فيها على المذهب الأوّل فتلك المعاني يقال إنّها مأخوذة من حيث هي معان مدلول عليها بألفاظ الأمّتين. وإن كانت المعاني العامّيّة التي منها نُقلت إلى المعاني الفلسفيّة أسماؤها مشتركة لجميع الأمم كانت تلك المعاني الفلسفيّة مأخوذة من حيث تدلّ عليها ألفاظ الأمم كلّها. وما جرى أمر التسمية فيها على المذاهب الباقية فإنّها مأخوذة من حيث تدلّ عليها ألفاظ الأمّة الثانية فقط. (157) وينبغي أن تؤخذ المعاني الفلسفيّة,إمّا غير مدلول عليها بلفظ أصلا بل من حيث هي معقولة فقط، وإمّا إن أخذت مدلولا عليها بالألفاظ فإنّما ينبغي أن تؤخذ مدلولا عليها بألفاظ أيّ أمّة اتّفقت والاحتفاظ فيها عندما يُنطَق بها وقت التعليم لشبهها بالمعاني العامّيّة التي منها نُقلت ألفاظها. وربّما خُلطت بها وأُوهم فيها أنّها هي المعاني العامّيّة بأعيانها في العدد وأنّها مواطئة لها في ألفاظها. فلذلك رأى قوم أن لا يعبّروا عنها بألفاظ أشباهها بل رأوا أنّ الأفضل هو أن تُجعَل لها أسماء مخترَعة لك تكن قبل ذلك مستعمَلة عندهم في الدلالة على شيء أصلا، مركّبة من حروفهم على عاداتهم في أشكال ألفاظهم. ولكنّ هذه الوجوه من الشبه لها غَناء مّا عند تعليم الوارد على الصناعة في سرعة تفهيمه لتلك المعاني متى كانت العبارة عنها بألفاظ أشباهها من المعاني التي عرفها قبل وروده على الصناعة. غير أنّه ينبغي أن يُتحرَّز من أن تصير مغلطة على مثال ما يُتحرَّز به من تغليط الأسماء التي تقال باشتراك. (158) والألفاظ المنقولة عن المعاني العامّيّة إلى المعاني الفلسفيّة فإنّ كثيرا منها يستعملها الجمهور مشتركة لمعان عامّيّة كثيرة وتُستعمَل في الفلسفة أيضا مشتركة لمعان كثيرة. والمعاني التي تشترك في اسم واحد منها ما هي صفة في ذلك الاسم المشترك؛ ومنها ما لها نِسَب متشابهة إلى أشياء كثيرة؛ ومنها ما يُنسَب إلى أمر واحد على الترتيب، وذلك إمّا أن تكون رتبتها من ذلك الواحد رتبة واحدة وإمّا أن تكون رتبتها منه متفاضلة بأن يكون بعضها أقرب رتبة إليه وبعضها أبعد منه. وكلّ واحد من هذين إمّا أن تسمّى هي باسمٍ واحد غير اسم الأمر الواحد الذي إليه نُسبتوإمّا أن تسمّى هي وذلك الأمر معاً باسمٍ واحد بعينه. ويكون ذلك الأمر الواحد أشدّها تقدّما. وتقدّمه قد يكون في الوجود وقد يكون في المعرفة. فالذي يرتّب كلّ واحد منها إذا كان في المعرفة، وتقاس إلى الواحد الذي هو أعرف، فإذن أعرف كلّ اثنين منهما وأقربهما في المعرفة إلى ذلك الواحد الذي هو أعرفها كلّها هو أشدّهما تقدّما، ولا سيّما إذا كان مع أنّه أعرف سببا أيضا لأنيُعرَف أو عُرف به الآخر. وأحراها بذلك الاسم أو أحراها بأن يُجعَل له ذلك الاسم بإطلاق ذلك الواحد إذا كان أيضا سُمّي باسم تلك، ثمّ أولى الباقية ما كان أعرف أو كان أعرف وسببا لأن تُعرَف به الأخر، إلى أن يؤتى على جميع ما يسمّى بذلك الاسم. وعلى هذا المثال إذا كان فيها واحد هو أقدمفي الوجود أو كان مع ذلك سببا لوجود الباقية فإنّه أحقّ وأولى بذلك الاسم على الإطلاق، ثمّ كلّ ما كان أقرب في الوجود إلى ذلك الواحد، ثمّ الأقرب فالأقرب، أحقّ بذلك الاسم، ولا سيّما إذا كان أكمل اثنين منهما سببا لوجود

الآخر، فإنّه أحقّ بذلك الاسم من الآخر. وقد يتّفق في كثير من الأمور أن يكون الأقدم في المعرفة هو أشد تأخّرا في الوجود والآخر منهما أشدّ تقدّما في الوجود، فيكون اسما لها واحدا لأجل تشابه نِسَبها إلى أشياء كثيرة، أو لأجل على أنّها تُنسَب إلى شيء واحد - إمّا بتساو أو بتفاضل، كان ذلك الواحد يسمّى باسمها هي أو كان يسمّى باسمٍ غير اسمها. وهذه غير المتّفقة أسماؤها وغير المتواطئة أسماؤها، وهي متوسّطة بينهما، وقد تسمّى المشكّكة أسماؤها.

البابُ الثالِث
حرُوفُ السّؤَال

الفصل السادس والعشرون أنواع المخاطبات (159) وكلّ مخاطبة وكلّ قول يخاطب به الإنسان غيره فهو إما يقتضي به شيئا مّا وإمّا يعطيه به شيئا مّا. والذي يعطي به الإنسان غيره شيئا مّا فهو قول جازم إمّا إيجاب وإمّا سلب، حمليّ أو شرطيّ، ومنه التعجّب، ومنه التمنّي، ومنه سائر الأقاويل التي تأليفها أو شكلها يدلّ على انفعال آخر مقرون به، إن كان في لسان من الألسنة تأليف أو بِنْيَة لقول يُدَلّ به على انفعال مقرون به. وقوم من الناس يمارون في التعجّب والتمنّي. فبعضهم يجعلها نوعا آخر من الأقاويل سوى الجازم، وبعضهم يجعلها من الجازم ويجعل ما قُرن به وما يُخبَر به في تأليفه أو في شكله جهة من الجهات . والقول الذي يٌقتضى به شيء مّا فهو يُقتضى به إما قول مّا وإمّا فعل شيء مّا. والذي يُقتضى به فعل شيء مّا فمنه نداء، ومنه تضرّع، وطِلْبَة، وإذْن، ومَنْع، ومنه حَثّ، وكَفّ، وأمْر، ونَهْي. (160) فإنّ النداء يُقتضى به أوّلا من الذي نُودي الإقبال بسمعه وذهنه على الذي ناداه منتظرا لما يخاطبه به بعد النداء. وهو نفسه لفظة مفردة قُرن بها حرف النداء. وإنّما يكون حرفا من الحروف المصوَّتة التي يمكن أن يُمَدّ الصوت بها إذا احتيج به إلى ذلك لبعد المنادى أو لثقل في سمعه أو لشغل نفسه بما يُذهله عن المنادي. فقوّته قوّة قول تامّ يُقتضى به من الذي نودي الإصغاء بسمعه وذهنه، ثمّ الإقبال وِجْهَة الذي ناداه الذي هو في المشهور دليل على الإصغاء التامّ. والنداء يتقدّم بالزمان كلّ ما سواه من أنواع المخاطبة. (161) ثمّ يردّ بعده النوع الذي هو مقصود الإنسان من المخاطبات من اقتضاء أو إعطاء. والقول الذي يُعطى به شيء مّا قد يبتدئبه الإنسان ابتداء من غير أن يكون قد اقتضاه ذلك آخرُ، وقد يكون يُقتضى عن اقتضاء لهسبق. فالذي يكون عن اقتضاء له سابق هو جواب. والمقول المقتضى بيّن أنّه إنّما يكون من الإنسان الذي اقتضاه بنطق مّا، والنطق بالقول هو فعل مّا، واقتضاء النطق إنّما يكون بأحد تلك الأقاويل الأخر التي تقتضي فعلا. والقول غير النطق به. فإنّ القول مركّب من ألفاظ، والنطق والتكلّم هو استعماله تلك الألفاظ والأقاويل وإظهارها باللسان والتصويت بها ملتمسا الدلالة بها على ما في ضميره. فالنطق فعل مّا، واقتضاء النطق هو

اقتضاء فعل مّا، وهو داخل تحت أحد تلك الأخر. فاقتضـاء النطق بـالقول غـير اقتضاء القول، وإن كان يلزم كـلّ واحد منهما عن الآخـر، فاقتضـاء القـول هو السؤال، واقتضاء النطق هو شـيء آخـر، غـير أنّه قوّته في كثـير من الأوقـات قـوّة سـؤال عن الشـيء. ولـذلك صـار قولنا " تكلّم يا وزّان بكـذا وكـذا " و " أعْلِمْني وأخْبِرْني عن كذا وكذا " قوّته قوّة السؤال عن الشيء. وكـلّ مخاطبة يُقتضى بها شـيء مّا فلها جـواب. فجـواب النـداء إقبـال أو إعـراض، وجـواب التضــرّع والطِلْبة بــذل أو منــع، وجــواب الأمر والنهي وما شــاكله طاعة أو معصية، وجواب السؤال عن الشيء إيجاب أو سلب - وهما جميعا قول جازم. والمخاطبة التي يُعطى بها الإنسان شيئا المبتدأ بها لا عن اقتضـاء لها هو أيضا قول جازم. ((162) والمخاطبة العلميّة يُقتضى بها علم شيء أو يفاد بها علم شيء مّـا. وهي بضـربين من الأقاويـل، إمّا السـؤال عن الشـيء، وإمّا القـول الجازم وإمّا جواب عن السؤال وإمّا ابتـداء. والعلم الـذي يُقتضى أن يقـال إمّا أن يُعتقَد شيء مّا ويُتصوَّر ويقام معنـاه في النفس، وإمّا أن يُعتقَد وجـوده، أو وجوده وسبب وجوده. وليس ههنا علم آخر غير هذه الثلاثـة. (163) وحـروف السـؤال كثـيرة: " ما " و " أيّ " و " هل " و " لِمَ " و " كيف " و " كم " و " أين " و " مـتى ". وهـذه وجـلّ الألفـاظ قد تُسـتعمَل دالّة على معانيها الـتي للدلالة عليها وُضـعت منذ أوّل ما وُضـعت، وتُسـتعمَل على معـان أخر على اتّساع ومجازا واستعارة، واستعمالها مجازا واستعارة هو بعد أن تُستعمَل دالّة على معانيها الـتي لها وُضـعت من أوّل ما وُضـعت. (164) والخطابة والشـعر فــإنّ الألفــاظ تُسـتعمَل فيهما بــالنوعين جميعــا. وأمّا الفلســفة والجــدل والسوفسطائيّة فلا تُستعمَل فيها إلاّ على المعاني الأولى التي لأجلها وُضــعت أوّلا. وما اسـتُعمل في السوفسـطائيّة من الاسـتعارة والمجـاز فإنّما يُسـتعمَل ليُوهم فيها أنّها استُعملت على ما اسـتُعملت عليه على انّها إنّما وُضـعت عليها من أوّل الأمـر. ولا يُسـتعمَل المسـتعار في السوفسـطائيّة على أنّه مسـتعار بلعلى أنّه في الوضع الأوّل، وإنّما يُستعمَل المستعار فيها إذن بالعرض، ولذلك يُستعمَل عند الخطابة بهـا. وما اسـتُعمل منها في الجـدل فإنّما يُسـتعمَل منها الشـيء اليسـير لزينة الكلام عند السـؤال والجـواب، لا على أنّه جـدليّ بذاته وأولى، لكن على أنّه خطبيّ استُعمل منه شـيء مّا للحاجة إليه في وقت مّـا، على مثـال ما يجـوز لإنسـان مّا أن يتمثّل بـبيت من الشـعر عنـدما يخطب أو عنــدما يعلّم أو عنــدما يجــادل، لا على أنّه بذاته وأوْلى من تلك الصــناعة، بل بالعرض وثانيا. والفلسـفة فلا يُسـتعمَل في شـيء منها لفظ إلاّ على المعـنى الذي لأجله وُضع أوّلا، لا على معناه الذي له اسـتُعير أو تُجُـوِّز به وسـومح في العبارة به عنه. (165) ونحن إذا تأمّلنا ما تدلّ عليه الألفـاظ المشـهورة فإنّما نتأمّل الأمكنة التي فيها يُسـتعمَل شـيء شـيء منها عند مخاطبة بعضـنا بعضا في الدلالة على المعــاني المشــهورة الــتي للدلالة عليها أوّلا وُضــعت تلك الألفاظ. فإذا أخذنا منها الأسماء المنقولة إلى المعاني الفلسفيّة فإنّا إنّما نأخذ معانيها التي للدلالة عليها أوّلا نُقلت لا التي استُعملت بعد نقلهم إيّاها استعارة ومجازا واتّساعا لتعلّق كثير من المعاني وشبهها بالمعاني الفلسفيّة الـتي إليها أوّلا كانت نُقلت. فإنّه قد عرض ذلك لكثير من الألفاظ المشهورة الـتي كـانت

أوّلا دالّة على معــان عامّيّــة، ثمّ نُقلت فجُعلت مع ذلك لمعــان فلســفيّة، ثمّ أخذها قوم من الخطباء والشعراء وسائر الناس فاسـتعملوها على معـان أخر تشـــبه تلك الفلســفيّة أو تتعلّق بها ضـــربا من التعلّق على جهة الاســـتعارة والتجوّز والمسامحة.

الفصل السـابع والعشـرون: حـرف ما (166) فمن ذلك حـرف " ما " الذي يُستعمَل في السؤال، فإنّه وما قـام مقامه في سـائر الألسـنة إنّما وُضع أوّلا للدلالة على السؤال عن شيء مّا مفـرد. وينبغي أن يتأمّل الشـيء الـذي عنه يسأل بهـذا الحـرف - وهو الـذي كـان يجهله فطلب بهـذا الحـرف علمه - وأيّ طرف من العلوم طلبه - وهو بعينه نوع العلم الذي يسـتفيده من الطلب - فيُحصي الأمكنة التي يُستعمَل فيها. و هذا الحرف قد يُقـرَن باللفظ المفـرد والذي للدلالة عليه أوّلا وضعنا اللفظ دالاّ عليـه، وهو الشـيء الـذي جُعل ذلك اللفظ دالاّ عليـه، فـإنّ " الشـيء " هو أعمّ ما يمكن أن نعلمـه. فـإذا عُلم أنّه دالّ على شيء مّا، فإنّما جُهل الشيء الـذي جُعل نِـدّا لـه، كقـول القائل " ما معـنى "، إذا اتّفق أن علم أنّه اسم دالّ على شـيء. وقد يُقـرَن بمحسـوس أُدرك ما أُحسّ فيه من الأحـوال أو الأعـراض في الجملـة، وجُهل منه شـيء آخـر، كقولنا " ما الـذي نـراه " و " ما الـذي بين يـديك ". وقد يُقـرَن باسـمٍ معقول المعنى عُرف ضـربا من المعرفـة، كقولنا " الإنسـان ما هو "، فيُطلَبُ معرفته وإقامة معنـــاه في النفس وأن تحصل ذاته معقولة بضـــرب أزيد ممّا عُرف به أوّلا. وينبغي أن نُحصي الأمكنة التي فيها يُستعمَل هذا الحرف سـؤالا ونعرّف في كلّ واحد منها عمّاذا يُسأل وأيّ علم يُطلَب فيــه. (167) فمنها أنّا نقول " ما هذا المرئيّ " و " ما هذا الذي بين يديك " و " ما ذاك السواد الذي نراه من بعيد " و " ما ذاك الذي كأنّه يتحرّك " وبالجملة " ما هذا المحســوس " فيُقرَن حرف " ما " بمحسوس - أيّ محسوس كان وبأيّ حاسّة أحسسناه - وبأمر مشار إليه. فالـذي سـبيله أن يجـاب به عن مثل هـذا السـؤال هو بعض الكلّيّات التي هي صـفات لـذلك الشـيء المسـؤول عنـه. فإنّا نقـول فيه " إنّه نخلة " ونقـول فيه " إنّه شـجرة " و " إنّه نبـات " و " إنّه جسم مّا "، فتكـون هذه كلّيّات متفاضلة في العموم يليق أن يجاب بكلّ واحد منها في جواب " ما هو هذا المرئيّ ". وأيّ اثنين منها أخذته فإنّ الأخصّ منهما يسمّى نوعا والأعمّ يسـمّى جنسـا، لالأنّ الـذي يسـمّى جنسا لم يكن يجـوز أن يسـمّى بـالنوع أو بغيره من الألفاظ، لكن وُضع وضعا أن يكون الأخصّ يســمّى نوعا والأعمّ منها يسمّى جنسا. وإذا قويس بينها فوُجد فيها شيء هو أخصّ لا أخصّ منه، وشيء هو أعمّ لا أعمّ منه، وشيء أو أشـياء متوسّـطة هي أخصّ من بعض وأعمّ من بعض، سُمّي الأخصّ الذي لا أخصّ منه " نوعا " بالإطلاق و " نوعا أخيرا " و " نـوع الأنـواع "، وسُـمّي الأعمّ الـذي لا أعمّ منه " جنسا " بـالإطلاق و " جنسا عاليا " و " جنس الأجناس "، والذي هو أعمّ من شيء منهما وأخصّ من الآخر منهما يسـمّى نوعا وجنسا - نوعا لما هو أخصّ منه وجنسا لما هو أعمّ منه - و " نوعا متوسّـطا " و " جنسا متوسّـطا ". وقد يجـاب عن هـذا السـؤال بقـول مؤلّف من جنس لذلك المسؤول عنه يقيَّد بصـفات ومحمـولات أخـر. مثل أن

يقال لنا " هو شجرة تحمل الرطب " أو " هي الشجرة التي تُثمر التمر ". أو إن اتّفق أن كان المسؤول عنه حائطا فإنّه قد يجاب " إنّه حائط " أو يجاب بأنّه " جسم متصلّب ذو سُمْك مؤتلف من حجارة أو لبن أو طين أُعدّ ليحمل السقف ويصون من الرياح "، فيقوم ذلك مقام قولنا " إنّه حائط ". فإنّ الحائط هو نوع الشخص المسؤول عنه، والقول الذي أُقيم مقامه هو حدّ الحائط وهو حدّ النوع المسؤول عنه، وإنّما يكون ذلك القول أبدا مؤتلفا من حدّ النوع ومن الأشياء التي بها أو لها قوام ذلك النوع. وما يدلّ عليه حدّ النوع هو ماهيّته، والذي يدلّ عليه جزء جزء من أجزاء القول هو جزء ماهيّته. (16 8) وقد يُقرَن حرف " ما " بنوع من الأنواع عد أن فهمنا ما يدلّ عليه اسمه الذي وُضع أوّلا دالاّ عليه. فنقول " الإنسان ما هو " و " النخلة ما هي "، فيجاب عنه بجنس ذلك النوع أو حدّه. فإنّه قد يقال لنا في الإنسان " إنّه حيوان " أو " إنّه حيوان ناطق "، وفي النخلة " إنّها شجرة تحمل الرطب ". ويقال " ما العباءة "، فيقال " هي ثوب من الصوف "، فالثوب جنسه، وقولنا " ثوب من صوف " حدّه. وما يُفهَم من القول ماهيّته والأشياء التي بها قوامه وجزء ماهيّة جنسه، ثمّ ما يقيَّد به جنسه ممّا به قوامه. والذي يُردَف به جنسه، فليس يجاب به وحده في جواب " ما هو الشيء "، بل إنّما يكون جوابا عن " ما هو الشيء " متى أُردف به أو قُيّد الجنس، فإنّه في " ما هو الشيء " ينفرد جنسا ومقيَّدا بشيء آخر حينا. ولو أُردف جنسه بشيء ممّا يوجد له غير أنّه ليس به قوام ذاته ولا يعرّف ما هو ذلك الشيء أصلا، لم يكن القول حدّا، كما لو قيل في العباءة " إنّها الثوب الذي يلبسه المترهّبون وأهل الصنائع القَشِفة مثل الملاّحين والفلاّحين " لكان تعريفا للعباءة لكن لا يحدّ العباءة، ولا كان ما يدلّ عليه القول هو ماهيّة العباءة وإن كان ممّا يوصف به العباءة، بل كان صفة له لا محمولا عليه لا يعرّف ما هو بل يعرّف منه شيئا خارجا عن ذاته. وكذلك لو قيل في الإنسان " إنّه الحيوان الذي يصلح أن يتّجر ويبيع ويشتري " لكان تعريفا للإنسان لا يحدّه. والقدماء يسمّون هذا الصنف من الأقاويل المعرّفة للشيء " الرسم " ويسمّون بالجملة صفاته ومحمولاته التي لا تعرّف ما هو بل تعرّف منه شيئا خارجا عن ذاته وشيئا ليس به قوامه" أعراض " ذلك الشيء. وكلّ واحد من هذه التي يليق أن يجاب بها في جواب " ما هو الشيء " يُفهم الشيء المسؤول عنه ويُفهم معناه في النفس، ويتصوّره الإنسان به ويحصل له في النفس معقول مّا. غير أنّ جنس الشيء يصوّره في النفس ويُفهمه بوجه يعمّه وغيرَه، ونوعه يُفهمه بوجه أخصّ من جنسه. وجنسه كلّما كان أبعد وأعمّ كان تفهيمه للشيء وتصويره له في النفس بوجه أعمّ وأبعد عنه. وحدّه يصيّره معقولا ويُفهمه بأجزائه التي بها قوامه. فإنّ النوع المسؤول إذا عُقل بما يدلّ عليه اسمه فإنّما يُعقَل الشيء مجمَلا غير ملخَّص بأجزائه التي بها قوامه. وإذا عُقل بما يدلّ عليه حدّه فقد عقل ملخَّصا بالأشياء التي قوامه بها، وذلك هو أ كمل ما يُعقَل به الشيء الذي يمكن أن يُعقَل على هذه الأنحاء. ورسمه أيضا يُفهم الشيء ملخَّصا بصفاته التي ليس بها قوام الشيء وبالتي هي خارجة عن ذات الشيء، وهي أعراضه. وأنقص ما يُفهَم به الشيء هو أن يُفهَم بأبعد أجناسه أو أن يُفهَم

بأبعد محمولاته عن ماهيّته أو جــزء ماهيّتــه. وأ كمل ما يُفهَم به الشــيء هو حدّه. والأشـياء الخارجة عن ذاته وصـفاتُه الـتي لا تُفهَم مـاهو والـتي ليس بها قوام ذاته - وهي أعراضه - بعضها أقرب إلى ذاته وبعضها أبعد عن ذاتــه. مثل أن يقال في النخلة " إنّها الشجرة التي تكتسي الليف والتي تـورق الخـوص " أو " التي أغصانها سعف " أو " التي تكـون في البلـدان الحـارّة "، فـإنّ بعض هذه أبعد عن ذاتها وبعضها أقرب إلى ذاتها، وكـلّ ذلك يُفهم الشـيء ويصـوّره في النفس - بعضــها أ كمل وبعضــها أنقص - لكن بما هي غريبة عن ذاتــه. (169) وقد يُقرَن حرف " ما " بلفظ مفرد عُلم أنّه دالّ على شيء مّا، غير أنّه لم يُعلَم النــوع والجنس الــذي هو دالّ عليه أوّلا، وإنّما يُلتمَس به تفهم معـنى النــوع الــذي يــدلّ عليه ذلك اللفظ وتصـوّره وإقامته في النفس. فــإن كــان السائل عرف ذلك النوع وتصوّره باسم له آخر وعلم المجيب له ذلك، عرّفــه. وإن لم يكن تصوّر معنى ذلك النوع أصلا ولاكان رأى شـيئا من أشخاصه - كما يلحق كثــــيرا من الأمم أن لا يــــرى أحد منهم فيلا أصلا ولا جملا - اضــــطرّ المسؤول عند ذلك إلى أن يعرّفه بقول مشتمل على صفات يؤلّف بعضها إلى بعض إلى أن تجتمع من جملة ما يؤلّفه صــورة ذلك المســؤول عنه في نفس السائل، فيحصل في نفسه معنى مّا مـركّب عن صـفات يُقـرَن بعضـها ببعض ويُفهم معنى الاسم ملخَّصا بأجزائه. غير أنّه قد يتّفق أن يكـون ما تصـوّره في نفسه من ذلك وفهمه عن الاسم معنى غير معلـوم هل هو موجـود أم لا، مثل ما لو لُخّص معـــنى الفيل عند مَن لم يشـــاهدهلأمكن أن لا يقع له التصـــديق بوجوده ولا يـدري هل ما هو كـذا وبهـذه الصـفات موجـود أم لا. وقد يتّفق أن يكون ذلك قولا يُفهم ويُلخّص شيئا يمكن أن يُتصوَّر ولكن يكـون غـير موجـود، مثل تماثيل الحمّامات التي يصوّرها المصوّرون، فإنّها معان تقـوم صـورها في النفس لكنّها غير موجودة. فتكون الأقاويل التي تُركَّب للدلالة عليها تـدلّ على أشياء غير موجودة، ويكون كثير من هـذا الصـنف أقاويل تـدلّ ما لا يُـدرى هل هي موجــودة أم لا. وأمثــال هــذه فليست حــدودا إلاّ على جهة المســامحة والتجوّز، بل تُسمّى " الأقاويل التي تشـرح الأسـماء ". ولـذلك تُسـتعمَل هـذه الأقاويل في مبادئ الفحص عن الأمور المفـردة في المطلوبـات وعن الأمـور الــتي يكفي في وجــود قياســاتها ما يُفهَم عن أســمائها منذ أوّل الأمــر، وفي إبطال الأشياء التي ظنّ قوم من الناس أنّها موجـودة - مثل الخلاء، فإنّه يجب أن يُفهَم ما معـنى هـذه اللفظةعند مَن يعتقد وجـود الخلاء. وكـذلك إذا فحص الإنسان هل القوّة المـدبّرة في الـدماغ أو لا، فإنّه ينبغي أن يلخّص بـالقول ما معنى القـوّة المـدبّرة. وإذا فحصـنا هل العـالم كـريّ الكـلّ، فينبغي أن نلخّص القول ما معنى العالم. فإنّ هذه كلّها أقاويل تشـرح الأسـماء قد تُسـمّى على التجوّز والاتّساع في العبارة حدودا. وإنّما يُلتمَس بهذه الأقاويل تحصيل معاني تلك الألفاظ متصوَّرة بأجزائها التي إذا ألّفت حصل منها معنى معقـول ملخَّص مشروح بأجزائه التي يصير بها معقولا متصوَّرا في النفس فقـط. فتكـون تلك الأجزاء بها قوامه من حيث هو معقول أو متصوَّر في النفس، إذ بها قوامه في النفس. فإذا تبيّن بعد ذلك أنّ المعنى المدلول عليه بذلك الاسم موجــود، وأنّ تلك الأشياء التي بها قوامه معقولا في النفس أيضا بأعيانها خارج النفس، عاد

ذلك الذي كان قولا يشرح المعنى فصار حدّا، إذ كـانت تلك ماهيّتـه. وإن تـبيّن أنّ ذلك غـير موجـود بقيت تلك الأجـزاء الـتي بها قوامه في النفس فقط ولم يكن ما دلّ عليه ذلك القول ماهيّة شـيء أصـلا. وتلك الأشـياء الـتي بها قـوام الشـيء من خـارج النفس مـتى أُخـذت من حيث هي معقولة ومن حيث هي معقول ذلك الشيء قيل فيه إنّه ماذا هو الشيء، ومـتى أُخـذت من حيث هي قــوام ذلك الشــيء من خــارج قيل فيه إنّه بمــاذا هو الشــيء. (170) وقد يُستعمَل حرف " ما " في مثل قولنا " ما ذلك الحيوان الذي يكون في الهند " و " ما النبات الذي يكـون بلاد اليمن " و " ما الحجر الـذي قيل إنّه ببلاد تهامة ". ومن هذا الصنف قولنا " ما لَكَ " و " ما حـال زيد " و " ما خـبر فلان " و " ما المـال الـذي عنـدك " و " ما الحيـوان الـذي ملكته ". فـإنّ هـذه كلّها أيضا يقترن فيها حرف " ما " بجنس الشيء، وذلك متى عُرف الشـيء بجنسه ولم يُعرَف النـوع الخصّ الـذي هو منسـوب إلى الـذي أُخذ منسـوبا إليـه، فإنّه إنّما يكون إذا جُهل النوع ولم يُتصـوَّر، وعُـرف بجنسه الـذي يعمّه وغـيرَه، والتُمس أن يُتصـوَّر ذات ذلك النـوع خاصّـة. فـإنّ قولك " ما مالُك " يُعـنى به ما النـوع الذي تملك من المال. وكـذلك " ما حالك "، فإنّه عُـرف أنّ له نوعا من أنـواع الحال ولم يُفهَم ذاته ولم يُتصوَّر فقيل " ما النوع الذي هو لك من أنواع الحال "، وكذلك " ما ذلك النبات الذي يكون باليمن " يُعنى به ما النوع الـذي يكـون خاصّة من أنواع النبات. (171) فهذه أربعة أمكنة يُسـتعمَل فيها حـرف " ما " على جهة السـؤال. ويعمّها كلّها أنّه يُطلَب بها معرفة ذات الشـيء المسـؤول عنه وأن يُتصــوَّر ذاته وأن يُعقَل ذاته معقولــة. ويعمّها أنّها كلّها ليس يمكن أن يُسأل عنها إلاّ وقد عُرف المسؤول عنه وتُصُوِّر مقدارا مّا من التصوّر أو عُقل إلى مقــدار مّــا، ويُلتمَس فيه أن يُعقَل أ كمل من ذلك المقــدار وأن يُتصــوَّر بمقدار أزيد من ذلك التصوّر من ذلك المحسوس المسـؤول عنه بحـرف " ما ". فإنّه إذا عُقل وتُصُــوِّر أنّه " شــيء " وأنّه " أســود " وأنّه " متحــرّك " فقد تُصُوِّر بأبعد ما يمكن ان يُتصوَّر به الشيء وأنقصه. فإنّ " الشيء " هو أبعد ما يمكن أن يُتصــوَّر به " الأســود "، وأنّه " أســود " فإنّه أبعد عــرض يمكن أن يُتصــوَّر به " المتحــرّك " . وأنّه " متحــرّك " فإنّه أيضا عــرض بعيد من ذات المسؤول عنه. فإنّ القائل " ما ذلك المتحرّك " يسأل عن ذلك الشـيء الـذي يراه متحرّكا أو أسود. على أن معنى المتحـرّك غـير معـنى ذلك الـذي علامته في أبصارنا أنّه متحرّك. وقد يُسأل في مثل هـذا المكـان " ما الحيـوان الـذي نراه " و " ما الجسم الذي نلمسه "، فيكون مثل قولنا " ما ذلك الشيء الذي نراه " - غير أنّ " الشيء " هو أعمّ من " الحيوان " و " الحيــوان " أخصّ من " الشيء " - فإنّ هذه كلّها إنّما تُصـوّر الشـيء بجنسه فقـط. و مَن جهل ذلك المرئيّ فإمّا أن يجاب بنوعه من حيث يدلّ عليه اسمه أو من حيث يــدلّ عليه حـدّه. فالمسـؤول عنه بحـرف " ما " في هـذين هو معـروف لا محالة حين ما يُسأل عنه معرفةً أنقص، إمّا بجنسه الأبعد جدّا أو بجنسه الأقرب، أو ما يقــوم في العموم مقام جنسه الأبعد أو بحال له خارج عن ذاته، مثل أنّه " متحرّك " أو أنّه " أسود " أو غير ذلك من أعراضه. وكـذلك النـوع المسـؤول عنـه، فإنّه عرف وتصوّر وعقل ما يدلّ عليه اسمه، وهو التصوّر المجمَل. و يكـون عــرف

ذلك النوع بعلامة له ليست هي ذاته ولا جزء ذاته بل بعرض له لازم، فظنّ أنّ تلك الصفة أو الصفات التي عرفه بها هي التي إذا عُقلت تكون ذاته معقولـة. مثل أن يكون " الإنسان " عنده معقول بشكل جسمه؛ ثمّ يرى أنّ الإنسان يتكلّم ويروّي ويعقل ويحوزالصنائع لا لشكل جسمه - إذ كان بعد أن يموت يكون شكل جسمه على حاله - ويرى أنّ تصوّره له بصفته هذه ليست كافية في أن يعقل ذاتـه، فيسـأل حينئذ عنه " ما هو " فيلتمس بسـؤاله أن يعقل ذاته، إذ كان ليس يرى أنّه عقل ذاته أو ذاته على التمام إذا عقل منه شكل جسمه. وكذلك في شيء شيء من سائر الأنواع إذا كان يعقل ما يدلّ عليه اسـمه بعلامة أو صـفة إذا تُعُقِّبت يتبيّن أنّها ليست هي كافية في أن تحصل ذاته بها معقولـة، سـأل حينئذ " ما هو ذلك النـوع " فيجاب إمّا بجنسه وإمّا بحدّه فإذا أُجيب بما هو له حدّ لم يبقى بعدها لسؤال " ما هو " موضع أصلا. وكذلك متى جهل معنى لفظةما فسأل عنه ب"ماهو". فقد عرف أنّه " شيء " وتصوّره بأعمّ ما يمكن أن يُتصوَّر به الشيء ولم يكن تصوّره بصورته التي تخصّه، وهو نوع ذلك الشيء. فإذا أُجيب عنه باسم له آخر وبقول يُشرَح به معـنى ذلك الاسم فقد بلغ ما التمسـه. وكـذلك " ما حالك يا فلان " و " ما حالك يا زيد " فإنّه مثل قولك " ما ذلك الحيوان الذي نراه ". فإنّه يكون قد عرف في كلّ هذا جنس ذلك الشيء وجهل نوعه. فإنّه إنّما يسأل عن نوع الحال التي هي حاله وعن نوع الحيوان الذي نراه. (172) واستعمال السؤال ليس إنّما يكون عند مخاطبة الإنسان الآخر، لكن عندما يروّي الإنسان فيما بينه وبين نفسه أيضا. فإنّه قد يسأل نفسه وهو نفسُه يُجيب عن شيء شيء من هذه فيما بينه وبين نفسه. وليس يلتمس أن يستفيد من تلقاء نفسه إلاّ ذلك العلم الذي كان يؤمل أن يستفيده من غيره إذا سأله عنه. (173) وكلّ إنسان إنّما يُجيب في الموضع الذي يمون سبيل الجواب فيه بالنوع أو بالجنس أو بالحدّ بالذي هو عنده نوع أو بالذي هو عنده جنس أو بالذي هو عنده حدّ. فإنّ النوع قد يكون نوعا على أنه يحاكي النوع من غير أن يكون نوعا فيأخذ الآخذ المحاكي للنوع أو للجنس أو للحدّ على أنّه في الحقيقة كذلك على مثال ما يأخذه الشعر، أو نوعاهو ببادئ الرأي نوع، أو نوعايتموّه أنّه نوع، أو نوعاهو في المشهور أنّه نوع، أو نوعاتبرهن أنّه نوع. وكذلك كلّ واحد من الباقين. وكلّ إنسان إنّما يُجيب في الموضع الذي سبيله أن يُجيب فيه بالجنس بالجنس الذي هو عنده جنس من الجهة التي بها صحّ عنده أنّه جنس، وفي الموضع الذي سبيله أن يُجيب فيه بالنوع إنّما يُجيب بالنوع الذي هو عنده نوع من الجهة التي بها صحّ عنده أنّه نوع، وفي الموضع الذي سبيله أن يُجيب فيه بالحدّ إنّما يُجيب بالقول الذي هو عنده حدّ من الجهة التي صحّ عنده بها أنّه حدّ. والجهات التي بها يصحَّح الشيء أنّه كذا وليس كذا تلك الجهات الخمس. (174) والذي هو بالمحاكاة جنس يأخذه كثير من الناس جنسا لأشياء كثيرة، مثل الظلمة والنور، فإنّ قوما يزعمون أنّ المادّة ظلمة مّا وأنّ العقل نور مّا وأنّ الملائكة أنوار. فإنّه لا يمتنع أن يكون شيء مّا عرضا في أمر، فيُظَنّ إمّا ببادئ الرأي وإمّا بتموّه الشيء به أنّه نوع له، حتّى إذا تُعُقِّب بالطرق البرهانيّة يتبيّن أنّه عرض له لا نوع له. وكذلك قد يكون

القول رسما للشيء فيُظَنّ بهاتين الجهتين أنّه حدّ له، حتّى إذا تُعُقِّب بـالطرق البرهانيّة يتـبيّن أنّه ليس بحـدّ لـه. (175) فلـذلك مـتى صـادفتَ ما قد يتـبيّن عنـدك أنّه عـرض لشـيء مّا قد اسـتعمله الجمهـور أو بعض أهل الصـنائع في الجواب عن " ما هو الشيء " فليس ينبغي أن تظنّ أنّ العرض عند الجمهـور أو عندنا حدّ يُستعمَل في الجـواب عن " ما هو الشـيء "، لكن ينبغي أن تعلم أنّ ذلك إذا اسـتعملتَه في الجـواب عن " ما هو الشـيء " اسـتعملتَه على أنّه علامة للذات التي سبيلها أن تكـون هي الـتي سُـئل عنها بحـرف " ما هو ". لا على أنّ ذلك العرض أو العلامة إذا عُقلت تكون ذاته قد عُقلت. لكن كثـيراً مّا قد يعجز الإنسان عن أن يجد محمولا للمسؤول عنه إذا عّقل تكـون قد عّقلت ذاتـه، فيُجيب بما قد علم أنّه ليس ذاته ليجعله علامة للشـيء الـذي إذا عُقل تكون قد عُقلت ذاته، فتكون قوّة جوابه " إنّ الذي ينبغي أن يكون هو الجواب عمّا سألتَ عنه هو أمر لا أعرفُه نفسَه ولا بأسمه ولكن أمر يوجد له نـوع كـذا من العــرض أو يوصف بكــذا من الأعــراض " أو " إنّه أمر يخصــهُ أنّه يوصف بعــرض كـذا " أو " إنّه أمر علامته كـذا "،وهو نـوع العـرض الـذي أخـذه في الجواب عن " ما هو ذلك الشيء ". فعلى هذه الجهة يصـلح أن يجـاب بالـذي هو عرض - وهو يعرف أنّه عرض - في جواب " ما هو الشيء "،و كـان الـذي يجـاب به رسـما أو عرضا مفـردا. غـير أنّ الرسم الـذي إذا كـان إنّما أُردفت الأعراض فيه بجنسه كان أقرب إلى الحدّ من أن يكون مأخوذا دون الجنس. (176) ولا يمتنع أن يكون أمرا مّا محمولا على شيء مّا ويليق أن يجاب به في جــواب " ما هو " في ذلك الشــيء، وهــولا صــفة لشي ءمّا آخر ولا يليق أن يجاب به في جواب " ما هو " في ذلك الشيء الآخر. فيكـون جنسا أو نوعا أو حدّااو حد لشيء مّا هو عرض لشـيء آخـر. فيكـون معرّفا لـذات شـيء مّا أو ماهيّته أو جزء ماهيّته، ومعرّفا من شـيء آخر ما هو خـارج عن ذاته وماهيّتـه. ولا يمتنع أيضا أن يكــون أمر مّا يليق أن يجــاب به في جــواب " ما هو " في شيء مّا، ولا يكون محمولا على شيء آخر بجهة أخـرى بل كـلّ ما حُمل على شــيء مّا فإنّه يُحمَل عليه على أنّه يليق أن يجــاب به في جــواب " ما هو " ذلك، ولا يكون صفة لشيء آخر أصلا. فما كان هكـذا فإنّه إنّما يكـون محمـولا من طريق مــاهو فقط من غــير أن يكــون محمــولا على جهة أخــرى، وهو المحمـول بمـاهو على الإطلاق ومن كـلّ الجهـات، إذ كـان ليس يُحمَل بجهة أخرى على شيء من طريق ماهو وعلى شيء آخر من طريق آخــر، لا بما هو محمول بما هو على الإطلاق ولا من كلّ الجهات. والقدماء يسمّون المحمـول على الشيء الذي إذا عُقل ذلك الشيء وذات ذلك الشيء " جـوهر ذلك الشيء "، ويسمّون ماهيّة الشيء " جوهره "، وجزء ماهيّته " جزء جـوهره "، والمعرّف لما هو الشيء " المعرّف بجوهره ". فما كان محمولا على شيء مّا بطريق ماهو وعلى شيء آخر ر بطريق ما هو يقال إنّه " جوهر لذلك الشــيء " الـذي إذا عُقل المحمـول يكـون قد عُقل و " معـرّف بجـوهره "، و " ليس بجـوهر لـذلك الشــيء " الـذي ليس يُحمل عليه من طريق مـاهو ولا معرّفا بجوهره بل عرضا له. وما كان إنّما يُحمل أبدا على أيّ شـيء ما يُحمَل بما هو ذلك الشيء، ولم يكن يُحمَل على شيء أصلا إلاّ بمـاهو، فـإنّ ذلك المحمـول

بماهو بإطلاق ومن كلّ جهة، فهو جوهر كلّ شيء حُمل عليه ومعـرّف بجـوهر كـلّ ما يُحمَل عليـه، إذ ليست له جهة أخـرى من الحمل إلاّ أنّه جـوهر لكـلّ مايُحمَل عليه. فسمّاه القدماء " الجـوهر " على الإطلاق و " معرّفا للجـوهر " على الإطلاق. وسمّوا تلك الأخر " جوهر البياض " و " معـرّف بجـوهر الحركة " وغير ذلك من التي ليست جـواهر الـتي محمولاتها عليها لا بمـاهو ولا معرّفا لجواهرها. وليس يُعنى بالجوهر ههنا شيء غير المحمـول على الشـيء الـذي إذا عُقل المحمول يكون قد عُقل الشيء نفسه. فما ليس له حَمْل على شيء إلاّ على هذه الجهة فهو الجوهر الذي على الإطلاق. وإن كـان قد يوجد شـيء محمول على أمر مّا لا بطريق مـاهو، ولم يكن يُحما على أمر آخر بجهة مـاهو أصلا بل كان حَمْله أبدا على أيّ شيء ما حُمل هو حَمْل لا بطريق ماهو، كـان هو العـرض على الإطلاق، وهو مقابل بالكلّيّة لما هو جـوهر الإطلاق. وما كـان يُحمَل بجهـتين على موضـوعين مختلفين فهو جــوهر لأحد هذينالموضــوعين وعــرض للموضــوع الآخــر. (177) وليس ينبغي أن تخيّل إلى نفسك معــنى الجوهر أنّه شبه شيء ثخين مكتَّل مصمَت أو صلب لأجل ما تسمعه من قــوم قد اعتادوا أن يقولوا " إنه هو القائم بنفسه " و " قوامه بنفسه " وأشباه هذه العبـارة الـتي تخيّل في الجـوهر ما ليس هو الجوهرالمحمـول الـذي لا يُحمَل على موضـوع أصلا إلاّ على طريق مـاهو. فـإنّ موضـوعه أيضا إن كـان يُحمَل على موضوع آخر دونه فليس يمكن أن يُحمَل عليه إلاّ بطريق مــاهو. فإنّه إن أمكن أن يُحمَل على شـيء مّا لا بطريق مـاهو كـان المحمـول الأعمّ إذا عُقل كـان معقـول عـرض، فيكـون محمـولا بوجه مّا لا بمـاهو، وذلك غـير ممكن. وموضوع موضوعه إنَ كان إنّما يُحمَل أيضا على موضـوع فهو إنّما يُحمَل هـذا الحَمْل، إلاّ أنّه لا يمضي في العمق هكذا إلى غير النهاية بل ينتهي، فإذا انتهى يكـون الموضـوع الأخـير الـذي لا يُحمَل على آخر دونه هـذا الحمل أيضا على شيء آخر حملا لا على طريق طريق مـاهو ذلك لا محالـة. فـإذن موضـوعهما الأخير لا يُحمَل على شـيء أصلا لا حَمْل مـاهو ولا حَمْلا بغـير طريق مـاهو ولا يكون معرّفا لجـوهر شـيء غـيره ولا جـوهرا لغـيره، لأنّه ليس إذا عُقل يكـون عُقل موضوع له ولا يكون ذاتا مّا لغيره بل يكون ذاتا على الإطلاق ومحمولاته التي تُحمَل عليه من طريق ماهو ذوات له جواهر لـه. وإن كنّا نعـني بـالجوهر ذات الشيء ونفس الشيء، وكان هـذا هو ذاتا لكن ليس بـذات لغـيره بل ذاتا لنفسه، كان جوهر بنفسه وكان هو الجوهر على الإطلاق. فإنّ معـنى الجـوهر ومعـــنى الـــذات ههنا واحد بعينه في العـــدد، ومحمولاته هي جـــواهر وذوات ومعرّفات لـذات هـذا وجـوده. فيكـون هـذا جـوهرا على الإطلاق. وتلك كـانت معقولات هذا كانت جواهر أيضا على الإطلاق. وتلك التي تنظر فيها العلوم، لا هذه. وهذه إذا أخذت معقولات كانت تلك. وهذه هي التي يمكن أن يخيَّل فيها أنّها مكتَّلة ثخينة مصمَتة. و ليس ينبغي أن تُخيّل هذه في هذا الجوهر. فـإنّ ما يُتخيَّل بذا وشبهه ليس هو الجوهر، بل ينبغي أن يُجعَل معنى الجوهر هو الـذي حدّدناه وتُجعَل علامته التي عرّفناه بها. (178) والسبب في هذا التخيُّل أذهاننا وأذكارنا الصـامتة، كأنّا إذا لم يـدافع لَمْسَـنا جسم مّا بل كـان سـهل الانـدفاع والانحراف وهوانا لنا حين ما نرجمه، هان علينا أمر وجوده، وخاصّـة إن اجتمع

مع ذلك أن لايردّ شعاع أبصارنا، فإنّه يهون علينا حتّى نظنّ به أنّه غير موجود. فلذلك صرنا نقول فيما لا وجود له " إنّه هبـاء " و " إنّه ريح ". وكـلّ ما يـدافع ويقــاوم مَن يرجمه وكــان مع ذلك لا تنفذ فيه شــعاعات أبصــارنا كــان هو الموجود والوثيق الوجود. فلذلك لمّا كـان الحـقّ هو أوثق الموجـودات وجـودا صاروا يتخيّلونه بما هو وثيق الوجود عندهم من الأجسام، وهو المصمَت الكثير الصلب. ولذلك اعتادوا أن يسمّوه " الحامل لكلّ شيء " كأنّه يحمل ما يحمل أثقالا تعتليه فينهض بها وهو غير محمول على شيء؛ و " الصـلب " فـإنّ اسم الجوهر عند الجمهور إنّما يقع على حجارة مّا من المـادّة النفيسـة، والحجـارة بهذه الصفات التي يصير بها الجسم عندهم وثيق الوجود، فيتخيّلون فيه مـاهو موجود في المشارك له في الاسم. وكلّ هذه خيالات فاسدة مغلطة عليك أن تحذرها وتصوَّر الجوهر في نفسك. (179) والمحمول على موضوع مّا بطريق ماهو وعلى موضوع آخر لا بطريق ماهو، إن كـان موضـوعه الـذي يُحمَل عليه من طريق ماهو كـان يُحمَل أيضا على موضـوع دونه بطريق مـاهو، فـإنّ ذلك الموضوع يُحمَل على شـيء آخر لا بطريق مـاهو، لأنّه إن لم يكن كـذلك كـان محمولا معقـول مّا ليس بعـرض، فيكـون جـوهرا على الإطلاق، وذلك محـال. وإن كـان موضـوع هـذا الموضـوع يُحمَل أيضا على شـيء دونه بطريق مـاهو، فإنّه يكون محمولا أيضا على شيء مّا آخر لا بطريق ماهو، إلى أن ينتهي على هذا الترتيب إلى الموضوع الذي لا يُحمَل على شـيء دونه أصلا بطريق مـاهو. فيبين في العميق أيضـاالى أنّ ذلك الـذي ينتهي في العمق لا يمكن أن يكـون محمولا على شيء بطريق ماهو. فيكون ذلك عرضا بالإطلاق، إذ كان محمــولا ولم يكن له حَمْل مّا على موضوع أصلا بطريق ماهو. وإن كان موضوعه الذي يُحمَل عليه لا بطريق مــاهو أمــرا لا يُحمَل على موضـــوع أصلا ولا بوجه من الوجهين، فقد تناهى في العـرض وانتهى إلى الجـوهر على الإطلاق. وإن كـان أمــرا يُحمَل على موضــوع، وكــان أيّ موضــوع حُمل عليه حُمل عليه بطريق ماهو، فقد تناهى أيضا إلى الجوهر المحمول على جوهر آخر، الـذي ينتهي في آخر الأمر إلى الموضوع الأخير. وإن كان أمـرا يُحمَل على موضـوع مّا بطريق ماهو، وعلى أمر آخر لا بطريق ماهو كانت الحال فيه تلك الحال بعينها إلى أن ينتهي في العمق إلى العرض الـذي لا يُحمَل على شـيء دونه حَمْل مـاهو، بل يُحمَل لا بطريق مـــــاهو. وليس يمكن ذلك أو تكـــــون تلك الموضــــوعات موضـوعات مّا إذا عُقلت يكـون معقولها ذلك الأوّل، فيعـود الأمر ويصـير ذلك محمولا على هذه بطريق ماهو، ولا سـبيل إلى ذلـك. فـإذن لا يمكن أن يكـون ذلك موجــودا لموضــوع يُحمَل أصلا على شــيء حَمْل مـاهو. فـإن كـان ذلك الشيء يُحمَل لا من طريق ماهو على شيء مّا، فإنّ ذلك الشـيء أيضا تكـون حاله هذه في أنّه لا يمكن أن يُحمَل على شيء أصلا بحَمْل مـاهو، بل إن كـان ولا بدّ يُحمَل لا من طريق ماهو، إلى أن ينتهي عى هذا الترتيب إلى موضوع لا يمكن أن يُحمَل حَمْلا أصلا لا بطريق مــاهو ولا حَمْلا لا بطريق مــاهو. فينتهي إذن إلى الجوهر على الإطلاق. فيكون ذلك موضوعا أخيرالكــلّ ما يُحمَل عليه لا من طريق مــــاهو ولكــــلّ ما يُحمَللا من طريق مــــاهو. (180) وإذا تأمّلنا المسؤول عنه بحرف " ما " على القصد الأوّل وجدناه الموضوع الأخـير الـذي

وجدناه بالسياق القـول بعضه إلى بعض. وذلك أنّا إذا قلنا " ما هـذا المـرئيّ " و" ما ذاك الذي نراه يتحرّك " و " الذي نراه أسود "، فإنّا نعتقد في كلّ شيء نحسّه فيه أنّه ليس يعرّف ذات المسؤول عنه. ولاأيضا نسأل عنه كما قلنا من جهة ما هو مـرئيّ أومن جهة ما هو يتحـرّك أو من جهة ما هو أسـود، لكن إنّما نسأل على القصد الأوّل عن الشيء الـذي نـدرك فيه بالبصر هـذه الأشـياء أو أحدها. وذلك الشيء لا نعتقد فيه أنّه صفة لغيره، و إلاّ لكـانت مسـألتنا تكـون على ذلك الـذي هـذا صـفة له وجعلنـاه أيضا علامة لـذلك الشـيء، كما جعلنا الحركة او الســواد علامة لـــه. ولا أيضا نعتقد فيه أنّه يُحمَل من طريق ما هو على شيء أصلا. فإن كان هكذا فليس بمحسوس ولا الذي يحسّـه بخطر بباله في الــذي حسّ به أنّه كـــذلك. فـــإذن المســـؤول عنه على القصد الأوّل هو الموضوع الأخير الـذي أبانه لنا القـول المنسـاق بعضه على إثر بعض. (181) والقدماء يسمّون الموضـوع الأخـير وكلّيّاته المحمولة عليه من طريق ما هو " الجوهر " على الإطلاق، وسائر المحمولات على الموضوع الأخـير الـتي تُحمَل عليه لا بطريق مـاهو - كـانت كلّيّـات أو لم تكن كلّيّـات - والمحمـولات على كلّيّـات الموضـوع الأخـير لا بطريق مـاهو " الأعـراض "، وذلك إذا حُملتعلى الجواهر، لأنّها تُحمَل عليهالا من طريق ماهو. (182) فهـذه هي الأشـياء الـتي أعطانا وأفادنا تأمّلنا حرف " ما هو " المستعمَل في السؤال في جـلّ الأمكنة التي لأجلها وُضع هذا الحرف. وهذا الحرف قد يُستعمَل في الإخبار ويُسـتعمَل اسـتعارة ويُسـتعمَل مجـازا. وسـيُنظَر فيه أيضا في الأمكنة الأخر الـتي فيها يُستعمَل، وسيُنظَر فيه أيضا عند المقايسة بينه وبين سائر حروف السؤال في الأمكنة التي لأجلها وُضع هذا الحرف.

الفصل الثامن والعشرون: حـرف أيّ (183) وحـرف " أيّ " يُسـتعمَل أيضا سؤالا يُطلَب به علم ما يتميّز به المسؤول عنه وما ينفـرد وينحـاز به عمّا يشاركه في أمر مّا. فإنّه إذا فُهم أمر مّا وتُصُـوِّر وعُقل بـأمر يعمّه هو وغـيره، لم يكتف الملتمس تفهُّمَه دون أن يفهمه ويتصـــوّره ويعقله بما ينحـــاز به هو وحده دون المشـارك له في ذلك الأمر العـامّ له ولغـيره. (184) من ذلك أنّنا نسـتعمل هـذا الحـرف في السـؤال عن ما تصـوّرناه بما يـدلّ عليه اسـمه وبجنسه،والتمسـنا بعد ذلك أن نتصـوّره ونعقله ونفهمه في أنفسـنا بما ينحـاز وينفـرد ويتميّز به عن كـلّ ما يشـاركه في ذلك الجنس، وبما إذا عرفنـاه كنّا عرفنا به ذلك النوع. فنقـول في الإنسـان مثلا " أيّ حيـوان هو " والنخلة " أيّ نبـات هي ". وربّما قلنا " أيّ شـيء هو " فـإنّ " الشـيء " يجـري في بـادئ الرأي مجرى أعمّ الأشياء للمسـؤول عنـه. والنـوع الـذي تُصُـوِّر بجنسه إمّا أن يُتصـوَّر بـأقرب أجناسه وإمّا بجنس أبعد من أقـرب أجناسـه. فـإن كـان إنّما يُتصوَّر بأقرب أجناسه وقُرن حرف " أيّ " بذلك - مثل أن نقـول في الإنسـان " أيّ حيـوان هو " والنخلة " أيّ شـجر هي " - فإنّناإنّما نطلب به ما ينحـاز به عن سائر الأنواع القسيمة لـه. والجـواب عنه بأحد شـيئين، إمّا بما يميّـزه في ذاته وتنحـاز به ذاته وبشـيء يكـون جـزء ماهيّته وإمّا بعـرض خـارج عن ذاته خـــاصّ به يؤخذ علامة له وينحـــاز به في المعرفة عمّا يشـــاركه في جنسه

القريب من الأنواع القسيمة. فـإنّ الشـيء قد يتميّز عن الشـيء في ذاته بما هو ذاته أو جزء ذاته أو بشيء به قوام ذاته - مثل تميّز الحرير عن الصـوف -، وقد يتميّز ببعض أحواله كتميّز الصوف بعضه عن بعض - مثل أن يكـون بعضه أحمر وبعضه أسود وبعضه أصفر. فمتى كان الجواب ما يميّز النوع المسـؤول عنه عمّا سواه بشيء هو جزء ماهيّته - مثل أن يكون الجواب عن الإنسان أيّ حيوان هو " إنّه حيوان نـاطق " أو " نـاطق " والجـواب عن النخلة أيّ شـجرة هي " إنّها الشجرة التي تُثمر الرطب " - كان الذي أجيب به حدّه، والـذي قُيّد به الجنس وأُردف به هو الفصـل، وهو الـذي يميّـزه بما هو جـزء ماهيّته عمّا سواه من الأنواع القسيمة، وكان القـول بأسـره حـدّا. وإن كـان الجـواب عنه بشيء ليس بجزء ماهيّته وكـان خاصّـا بـالنوع المسـؤول عنه - مثل أن يكـون الجواب عن الإنسان أيّ حيوان هو " إنّه حيوان يبيع ويشـتري " والجـواب عن النخلة أيّ شجرة هي " إنّها الشجرة التي تورق الخوص " - كان الـذي يُـردَف به الجنس هو خاصّة ذلك النوع، وكان القول بأسره رسما لا حدّا، وربّما سُمّي القـول بأسـره خاصّـة. (185) فقد صـار الجـواب الـذي يجـاب به ههنا بعينه الجواب الذي يجاب به في السؤال عن الإنسـان بمـاهو، فيكـون الجـواب عن الإنسان إذا قيل فيه " أيّ حيوان هو " هو بعينه الجـواب عن الإنسـان إذا قيل فيه " ما هو ". غـير أنّ حـرف " ما " إنّما يُطلَب به أن يُعقَل النـوع المسـؤول عنه في ذاته لا بالإضـافة إلى شـيء آخـر. وأمّا حـرف " أيّ " فإنّما يُطلَب به تمييزه عن غيره. فإنّ السائل بحرف " أيّ " متى لم تضع نفسه شيئا آخر غير المسؤول عنه لم يمكنه أن يسأل هذا السؤال . والسـائل بحـرف " ما " ليس يحتاج إلى أن تضع نفسه شيئا آخر غير المسـؤول عنـه، ويعقله بالإضـافة إلى نفسه وإن لم يكن هناك شيء آخر غيره. ومـتى اتّفق أن يكـون هنـاك شـيء آخر غيره، فليست مسألته عنه وهو ينظر إلى ذلك الآخر ولا يقيس المسـؤول عنه بـه. ومـتى وافق أن يكـون الجـواب عنه بشـيء يميّز المسـؤول عنه عمّا سـواه، فلم تكن مسـألته عنه ولا طِلْبته لـذلك الجـواب من جهة تمييـزه ذلك النـوع عن غـيره، بل لتعريفه معرفة كاملة فقـط. فلـذلك صـار الجـواب عن حرف " ما " هو الجواب عن حرف " أيّ " بـالعرض لا بالـذات ولا على القصد الأوّل. ومع ذلك فإنّ كلّ موجود فإنّ ماهيّته ليس هو إنّما تحصل له متى كـان هنـاك غـيره بل تحصل له وإن لم يكن موجـود آخر غـيره. وإنّما يُحتـاج إلى تمييزه عن غيره متى وافق أن كـان هنـاك غـيره. فـإذن تميّـزه عن غـيره هو عارض يعـرض لـه. (186) فالسـؤال بحـرف " أيّ " هو سـؤال عن ذات نـوعٍ عرضَ له أن يتميّز بماهيّته عن سواه. والسؤال بحرف " ما " يُطلَب به ماهيّتهُ بغير هذا العارض، بل لتحصل لنا معرفته وفهمه وتصوّره ملخَّصا بأجزائه اليت بها قوام ذاته بأسرها. فالذي سُمّي من أجزاء الماهيّة " فصلا " ليُـدَلّ به على هذا العارض الـذي يكـون عـرض له - وهو أن يكـون مميّـزا بينه وبين قسـيمه المشارك له ولذلك - تـابع أيضـا، كما عـرض لجنسه أن كـان عامّا له ولغـيره. فإذن إذا أُخذت الطبيعة التي عرض لها أن كانت مشـتركة له ولغـيره لم يكن بُدٌّ من أن يكون هنـاك فصل يميّـزه في ماهيّته عن غـيره المشـارك لـه. فـأن تكون هـذه الطبيعة فصلا تابعا هي كما كـانت الأخـرى جنسـا، وأن تكـون تلك

جنسا هي أن يشترك هذا وآخر في ماهيّته، وأن تكون هذه فصلا هي أن يتميّز هذا عن ذلك الآخر في ماهيّتـه. والمعرفة الكاملة وبـالنوع هي بهـاتين - أعـني بجنسه مقرونا بفصـله. فـإذن حـرف " ما " أحـرى أن تُلتمَس به ماهيّته من حيث أجـزاء ماهيّته أمـور قائمة وطبـائع. وحـرف " أيّ " أحـرى أن تُلتمَس به ماهيّته من حيث عرض لتلك لطبيعة أن كانت مشتركة. وهذه إن كانت مميّزة فإنّ تلك لو لم تكن مشتركة لم تكن هذه مميّزة. وحـرف " ما " وإن كـان قد يجـاب عنه بما كـان مشـتركا للمسـؤول عنه ولغـيره فليس يُطلَب به على القصد الأوّل ما هو مشترك للمسؤول عنه ولغـيره، بل إنّما أُلتُمس أن يُعـرَف ما به قوام ذات ذلك الشيء وما به تُعقَل ذات ذلك النوع، فوافق أن كان ذلك الأمر الذي سبيله أن يجاب عنه أمرامشتركا للمسـؤول عنه ولغـيره، ولم يكن الطلب له من حيث هو مشترك. فلأ نه كان مشـتركا احـتيج إلى السـؤال عن ذلك الشيء بعينه بحـرف " أيّ " ليُـزال الاشـتراك و المشـترك وليكمل العلم إذا علمنا الفصل الذي يميّزه عن المشارك له وقُيّد به الجنس. فحـرف " ما " لم يُلتمَس به أخذ الأمر الذي وافق أن كان جنسا من حيث عـرض له أن كـان جنسا، بل كان ذلك على القصد الثاني. وحـرف " أيّ " التُمس به على القضد الأوّل أن يؤخذ الأمر الذي عرض له أن كان مميَّزا من حيث له هـذا العـارض. ولـذلك صـار الجـواب عن حـرف " ما " ليس يكـون بما هو خـارج عن ذات الشيء. (187) وقد يُظَنّ ببـادئ الـرأي وبما هو مشـهور أنّ الجنس هو الـذي يعرّف ما هو النوع المسؤول عنه؛ وأمّا الفصل فإنّما يُحتاج إليه ليتميّز وليكون علامة لجوهر ذلك النوع تُميِّـزُه عن قسـيمه، وأنّه ليس هو جـزء ماهيّة النـوع. على مثـال ما يمكن أن يُظَنّ أنّ المـادّة وهيـولى الجسم كافية في أن يحصل الجسم به جوهرا، فإنّه إنّما هو جوهر بمادّته لا بصـورته، وأنّ ماهيّته وذاته بما هو جسم أو بما هو نوع من أنواع الجسم إنّما هو بمادّته فقط، وصـورته فإنّما يستفيد بها أن يميَّز بها عن غـيره من الـتي تشـاركه في مادّتـه. وكـذلك يُظَنّ بالجنس أنّه هو الدالّ على ماهو النوع المسـؤول عنه دون الفصـل. فلـذلك لا يُكاد يميَّز بين الرسم والحدّ. ولذلك صار لا يجاب بالفصل وحـده في سـؤال " ما هو " النوع المسـؤول عنه بل يجـاب به مقرونا بـالجنس، ويجـاب بـالجنس وحـده دون الفصل في سـؤالنا عن النـوع " ما هو ". وأمّا إذا تُعُقِّب يتـبيّن أنّ الفصل أ كمل تعريفا بمـاهو النـوع المسـؤول عنه من الجنس، وأنّه لا بـدّ من كليهما. وكلّ واحد منهما يجاب به في جواب " ما هو " النوع المسؤول عنـه، إلاّ أنّ الفصل يقيَّد به الجنس. وإذا أخـذامن حيث هما طبيعتـان وأقرنا صـار مجموعهما ماهو النوع المسؤول عنه، من حيث أنّ النـوع أيضا طبيعة وأمر مّا معقول. وحينئذ يخيَّل أنّ الحدَّ المـأخوذ منهما من حيث هما طبيعتـان قائمتـان معقولتان من غير أن يعرض لكلّ واحد منهما عارض يصير به ذاك جنسا وهذا فصل.فإذا تُعُقّب تبيّن أنّ هذا حدّ الشـيء بحسب المنطق وذلك حـدّه بحسب الموجـود، وكلاهما يـؤولان في آخر الأمر إلى أن يكـون الإنسـان قد حصل له الموجود معقولا. (188) وإذا كان حرف " أيّ " عند السؤال عن النوع مقرونا بجنسه الأبعد - مثل أن يقال في الإنسان " أيّ جسم هو " أو يقـال في النخلة " أيّ نبـات هي " - كـان الجـواب عنه بفصل إذا أُردف بـالجنس المقـرون به

حـرف " أيّ " حـدّا لـذلك الجنس أقـرب من ذلك الجنس إلى المسـؤول عنه بحرف " أيّ " . فيقال مثلا في الإنسان " إنّه جسم متغـذّ " ويقـال في النخلة " إنّها نبات ذو ساق ". فيكون كـلّ واحد من هـذين وأشـباههما حـدّا بجنس مّا أقرب إلى المسؤول عنه من الجنس الأوّل. فيكـون جوابه " نبـات ذو سـاق " حدّا للشجرة. و " الجسم المتغذّي " حـدّ أيضا بجنس، إلاّ أنّه اتّفق أن لم يكن لهذا الجنس اسم مفرد فيؤخذ حدّه يحدّه مكان اسمه. وقد يكون الجواب عنه بجنس له أقرب من جنسه المقرون به حرف " أيّ " مدلول عليه باسم مفرد - إن كان له اسم - أو بحدّه - إن لم يكن له اسم. فيقال مثلا عند سـؤالنا عن النخلة أي نبات هي " إنّها شجرة ". فيبقى في مثل هـذا الجـواب أيضا موضع سؤال عنه ب"أيّ "، بأن يقال مثلا " أيّ شجرة هي "، إلى أن يؤتى بفصل إذا قُرن بأقرب جنس له حصل منه حدّ النخلة وغيرها من الأنواع المسؤول عنها. فإن كان الجنس الـذي أجيب به ليس له اسم واستُعمل حـدّه مكـان اسـمه، عُمل فيه ذلك العمل الـذي كـان يُعمَل به إذاكـان له اسم ويعبَّر عنه باسـمه. فإنّه إذا أجيب في سؤالنا عن الإنسـان أيّ جسم هو بأنّه " جسم متغـذّ " قيل فيه " أيّ متغـذّ هو " أو " أيّ جسم متغـذّ هو " فيجـاب " إنّه جسم متغـذّ حسّـاس " فيكـون قد حصل حـدّ الحيـوان، وهـذا الجنس له اسـم. فـإن أراد السـائل بعد ذلك أن يسـأل أيضا فله أن يقـرن حـرف " أيّ " باسم الحيـوان فيقول " أيّ حيوان هو من الحيوان بأسره " - إذ كـان الفصل الأخـير إذا وُضع لزم عنه وجود الجنس الذي يقيَّد به الفصل الأخير - فيجاب " أنّه نـاطق" أو " حيوان ناطق " أو " حسّاس ناطق " أو " إنّه جسم متغذّ حسّاس نـاطق ". ألا تـرى أنّه قد أُخذ في جـواب " أيّ " ههنا شـيئان، أحـدهما يمكن أن يقيَّد به الجنس المقـرون بحـرف " أيّ " وهو الفصل - مثل المتغـذّي والحسّـاس - والثاني ليس يمكن أن يُقرَن به الجنس المقـرون به حـرف " أيّ ". فقد تـبيّن أنّ جنس النوع المسؤول عنه قد يؤخذ في التمييز بينه وبين المشـترك لـذلك النـوع من الجنس المقـرون به حـرف " أيّ "، وهو بعينه قد كـان يؤخذ في الجواب عن " ما هو " الإنسان. غـير أنّه إنّما كـان يؤخذ في جـواب " ما هو " ذلك النـوع لا من حيث هو مميّز له بل من حيث هو معـرّف له في ذاته من غير أن يحصل ببال السائل هل هناك شيء آخر مشـارك له في جنس له آخر أعلى منـه، بل عسى أن لا يكـون ولا يُعـرَف له جنس أعلى منـه، ولكن وافق بالعرض أن صار ما يُسأل عنه بحـرف " ما " ويجـاب به في سـؤال " ما " أن يُسأل عنه بحرف " أي " ويجاب به في سؤال " أيّ " على مثال ما قلناه فيما تقـدّم. وقد يجـاب عنه أيضا برسم النـوع المسـؤول، فيقـوم مقـام حـدّه في التمييز. (189) وقد يُقرَن باسم معلـوم أنّه دالّ على نـوع تحت جنس مّـا، ولا يُعـرَف ذلك النـوع نفسه بما هو نـوع، ويُعـرَف بجنسه أو أنّه شـيء مّا - مثل الفيل مثلا، فيقال " الفيل أيّ حيـوان هو " -، فيكـون الجـواب عنه إمّا باسـملا يدلّ عليه عند السائل غيرَ هذا الاسم أو بحدّه أو برسمه، فيكون أيضا ملتمَس به أن يميَّز عنه عمّا يشـاركه في الجنس الـذي لـه. (190) وقد يُقـرَن بمحسوس فيقال " هذا الـذي نـراه أيّ شـيء هو ". فنُجيب عنه بجنسه البعيد أو القـريب أو بنوعه أو بحـدّ جنسه أو بحـدّ نوعه أو برسم جنسه أو برسم

نوعه. فإنّا نقول " إنّه حيوان " أو أنّه جسم متغذّ حسّاس ". وقد نقول فيه " إنّه الإنسان "و " إنّه الحيوان الناطق "، و " إنّه الحيوان الذي يبيع ويشتري " و " إنّه الجسم الذي يأ كل ويشرب "، فيكون هذا رسم جنسه ويكون ذلك رسم نوعه. أو نقول فيه " إنّه شيء جسمانيّ "، ثمّ نأتي بالفصول التي تنفصل بها أنواع الأشياء الجسمانيّة إلى أن تجتمع لنا من ذلك ما هو حدّ للنوع المحسوس أو ما هو رسم له. فإنّ لفظة الشيء تقوم في بادئ الرأي مقام جنس يعمّ الموجودات كلّها ممّا اتّفق في هذه الأشياء التي أُخذت أجوبة عن المحسوس المسؤول عنه " أيّ شيء هو " وممّا يليق أن يجاب به في جواب " ما هو هذا الشخص المرئيّ ". فالمعنى به يدخل في جواب السؤالين من جهتين مختلفتين على ما قلنا أوّلا. (191) وقد نقول في هذا المرئيّ " أيّ حيوان هو " و " أيّ جسم هو"، فيكون الجواب عنه مثل الجواب عنه لو قيل " أيّ شيء هو ". إلاّ أنّه أن أُخذ في الجواب عنه جنس له فينبغي أن يكون ذلك جنسا أقرب إليه من الجنس الذي قُرن به حرف " أيّ ". أو يجاب عنه بحدّ ذلك الجنس أو برسمه. أو يُجاب عنه بنوعه أو بحدّ نوعه أو برسم نوعه. أو تؤخذ فصول أو أعراض يقيَّد بها جنسه الذي قُرن به حرف " أيّ ". ولا نزال نؤلّف بعضه إلى بعض ونقيّد الأعمّ بالأخصّ إلى أن يجتمع من جملة ذلك ما يكون حدّ النوع. (192) وقد نقول أيضا " الحيوان الذي يكون باليمن أيّ حيوان هو " و " النبات الذي يكون بمصر أيّ نبات هو "، فيكون الجواب عنه بنوع ذلك النبات أو الحيوان، وبالنوع من الحيوان الذي يكون باليمن وبالنوع من النبات الذي يكون بمصر، أو بحدّ ذلك النوع، أو بحدّ رسمه، وهذا هو شبيه بما تقدّم، فإنّ معنى ما تقدّم " هذا الحيوان الذي نراه أيّ حيوان هو ". (193) وقد نقول " أيّ شيء حالك "، " أيّ شيء خبرك "، " أيّ شيء مالك "، و " في أيّ حال أنت " و " في أيّ بلد زيد " و " الشمس في أيّ برج هو "، و " ما ذاك البلد الذي فيه زيد " و " ما ذاك البرج الذي فيه الشمس "، فيكون الجواب عنه ههنا هو الجواب عنه هناك. ألا ترى أنّ قولنا " أيّ شيء خبرك " معناه " خبرك، أيّ شيء هو " أو " خبرك، أيّ خبر هو "، و " حالك، أيّ حال هو " و " مالُك، أيّ مال هو " و " البرج الذي فيه الشمس، أيّ برج هو "، على مثال ما نقول " الحيوان الذي في بلد كذا، أيّ حيوان هو "، و " المال الذي لك، أيّ مال هو " وكذلك " الخبر الذي لك، أيّ خبر هو ". فإنّما تُسأل عمّا يتميّز به النوع الذي لك من الأخبار عن الذي ليس لك منها، والنوع الذي لك من الحال عمّا ليس لك منه، والنوع الذي لك من المال عمّا ليس لك منه، والنوع الذي لك من أنواع الخبر عمّا ليس لك منه؛ ونوع أو شخص البلد الذي فيه زيد، ونوع البرج الذي فيه الشمس، " أيّ نوع هو ". فالجواب عنه إمّا بنوع ما قُرن به حرف " أيّ " وإمّا بحدّ ذلك النوع وإمّا برسمه. وما كان من هذه الأجوبة يليق أن يجاب به في جواب حرف " ما " من هذه بأعيانها فهو بالجهتين اللتين قلنا. (194) وقد نقول " زيد أيّما هو من بين هؤلاء " وتكون أنت تُشير إلى جماعة يجمعهم شيء مّا من مكان أو زمان أو حال أخرى. وإنّما يكون الجواب بشيء يتميّز به زيد المسؤول عنه عن أولئك الجماعة المشار إليهمفي ذلك الوقت خاصّة. وليس يمكن أن يُجعَل الجواب

عنه شــيء يمكن أن يجـاب به في جـواب " ما هو " المســؤول، لا بنوعه ولا بجنسه ولا بحدّ نوعه، بل بعرض معلوم في زيد عند مَن يسأل عنـه، خـاصٍّ به في ذلك الوقت دون باقي الجماعة. مثل أن نقول " هو ذاك الذي ينـاظر " أو غير ذلك من الأحـوال والأعـراض الـتي نصـادفها في زيد خاصّـة دون الجماعة في ذلك الـوقت. وأمثــال هــذه الأعــراض إذا اســتُعملت علامــات يتميّز بها المسؤول عنه عن شيء مّا آخر فقط وفي وقت مّا فقط تسـمّى " خـواصّ " بالإضافة إلى ذلك الشيء وإلى ذلك الوقت. (195) ويلحق كـلّ ما نسأل عنه بحرف " أيّ " أن نكون قد عرفناه بشيء يعمّه وغـيره، ونلتمس أن نعرفه مع ذلك بما يخصّه ويميّزه عن غيره المشارك له في الشيء العامّ الـذي عرفنـاه بـه. ونـرى عند سـؤالنا عن الشــيء بحـرف " أيّ " أنّ المعرفة الناقصة هي معرفتنا له بما يعمّه وغـــيره وبما يتميّز به عن غـــيره، والــتي هي أ كمل أن نعرفه بما يخصّــه دون غـيره وبما يتميّز به عن غـيره. فـإنّ تقييــدنا الجنس بالفصل ليس يُبقي الجنس مشتركا له ولغيره بل يجعلهخاصّا به، وإنّما يصيّره خاصّا به من حيث هو مقيَّد به. وأمّا عند سؤالنا بحـرف " ما هو الشـيء " فإنّا نرى أنّ المعرفة الناقصة هي أن نكون عرفنا المسؤول عنه بما هو خـارج عن ذاته من الأعـــراض، ونلتمس معرفته بما هو ذاتُه أو بجـــزء ذاتـــه، أو نكـــون عرفناهبـأعمّ ما تُعرّفنا ذاتُه معرفة مجمَلة وبأبعد ما به قـوام ذاته وبأبعد ما به قوامه، ونطلب معرفة ذاته بأخصّ ما تُعرّفنا ذاتُه وبأقرب ما هو ذاتُه، أو نكون عرفنا ذاته معرفة مجمَلة ونطلب منه ذاته ملخَّصة بأجزائه الـــتي بها قـــوام ذاتـه. (196) وقد يُسـتعمَل حـرف " أيّ " سـؤالا في أمكنة خارجة عن هـذه التي أحصيناه. وهو أن يُستعمَل سؤالا يُلتمَس به أن يُعلَم على التحصـيل واحد من عِدّة محدود معلومةعلى غير التحصيل، كانت العِـدّة اثـنين أو أ كـثر - مثل قولنا " أيّ الأمــرين نختــار، هــذا أو هــذا "، " أيّ هــذه الثلاثة نختــار "، " أيّ الرجلين خير، زيد أو عمر "، " أيّ الأمور آثر، اليســار أو العلم أو الرئاسة "، " العالَم أيّ هذين هو، كريّ أم غير كرىّ "، " زيد أيّ الـرجلين يوجـد، صـالحا أو طالحا "، " الشـــمس في أيّ الـــبروج الاثـــنين "، " عمـــرو - أو زيد - في أيّ البلدين هو. الشام أو العراق ". فـإنّ هـذه كلّها يكـون السـائل قد علم الواحد على غـير التحصـيل من كـلّ عِـدّة، وهو بهـذه الحـال على التحصـيل. فـإنّ ما تشتمل عليه العِدّة إذا أُقرن بكلّ واحد منها حرف إمّا دلّ على أنّ واحــدا منها معلوم على غير التحصيل. فما يدلّ عليه حرف إمّا عند الخبر عنه هو الذي إذا قُرن به حرف " أيّ " كان سـؤالا يُطلَب به أن يُعلَم على التحصـيل ذاك الـذي يدلّ عليه قبل ذلك الحرف إمّا أنّه معيَّن على غـير التحصـيل. فإنّه قد عُلم أنّ الشمس من البروج هي في واحد منها على غـير التحصـيل، والتُمس أن يُعلَم ذلك الواحد منها على التحصيل. ويكون الإنسان قد علم أنّ زيدا في واحد من هذين الموضوعين المعروفين عنده على غير التحصيل، فطلب بحـرف " أيّ " أن يعلم ذلك الواحد منهماعلى التحصـيل. وكـذلك قد علم أنّ العـالَم يوجد له أحد هذين الحالتين - إمّا كريّ وإمّا غـير كـريّ - على غـير التحصـيل، والتمس بحـرف " أيّ " أن يعلم على التحصـيل الواحد الـذي يوجد لـه. (197) وليس يصحّ السؤال ههنا إلاّ على عِدّة محدودة، فـإذا سـقطت العِـدّة يرجع السـؤال

إلى بعض ما تقدّم ممّا عُلِم بجنسه وجُهل بنـوع الـذي هـذا جنسـه. مثل أنّا لو قلنا - مكان قولنا " العالَم أيّ هذين هو، كريّ أم غير كريّ " - " شـكل العـالَم أيّ شـكل هو " ومثل أنّ لو قلنا - مكـان قولنا " زيد أيّ هـذين هـو، صـالح أو طالح " - " سيرة زيد أيّ سيرة هي " أو قلنا - مكـان " أيّ الأمـور الثلاثة آثـر، اليسـار أو العلم أو الكرامة " - " والأمر الآثر أيّ أمر هو "، لكـان الجـواب بما تميّز به المسؤول عنه عن غـيره على مثـال الجـواب عن السـؤال عن " هـذا المحسوس أيّ حيوان هو " أو عن قولنا " الحيوان الذي باليمن أيّ حيـوان هو " و " مال فلان أيّ مال هو " و " حال فلان أيّ حال هي "، وكان الجـواب عن هذه كلّها إمّا بنوع ما نسأل عنه أو بحدّ ذلك النوع أو برسـمه. وبكـلّ هـذا فإنّه يتميّز ما عنه نسأل عمّا سواه من المشارك له في الجنس الـذي عنه نسـأل. وجملة ما يُطلَب بحرف " أيّ " ذلك الأخير إذااسـتُعمل سـؤالا عن شـيء عُلم بما يشارك فيه غيره شيئان. أحدهما أنّ حـرف " أيّ " يُطلَب به فيما عُلم بما يعمّه ويعمّ غيره أن يُعلَم بما ينحاز به وحده عن غيره. والثاني أنّ حـرف " أيّ " يُطلَب به علامة خاصّة في المسـؤول عنه يتميّز بها عن شـيء مّا آخر فقط وفي وقت مّا فقط . (198) أمّا ههنا فيُسـتعمَل حـرف " أي " سـؤالا فيُطلَب في واحد من عِدّة محدودة عُلم انحيازه على غير تحصـيل له أن يُعلَم انحيـازه بذلك على تحصيل له. وإنّما يكون ذلك في واحد من عِدّة محدودة يُقرَن بكـلّ واحد منها حرف إمّا. فـإنّ حـرف إمّا يميّز في عِـدّة محـدودة واحـدا عن واحد على غــير تحصــيل له وتعــيين، وحــرف " أيّ " يُطلَب به أن يميّز في عِــدّة محدودة واحدا عن واحد بتحصيل وتعيين. وإنّما يكون الواحد من عِدّة محدودة منحازا بشيء مّا على غير تعيين وتحصـيل ومـدلولا عليع بحـرف إمّا ثمّ يُطلَب انحيازه بذلك الشيء على تعيين وتحصيل، في الأمـور الممكنـة. وذلك إمّا في الـتي هي ممكنة في وجودها وإمّا في الـتي هي ممكنة عنـدنا وفي علمنا بهـا. والتي هي ممكنة في وجودها هي أيضا ممكنة عندنا وفي علمنا بها. والتي هي ممكنة عندنا وفي علمنا بها قد تكـون ضـروريّة في وجودهـا، وما هو من هـذه غير محصَّل عندنا فهو في وجوده محصَّل، غـير أنّا نجهل نحن التحصـيل منهـا. والممكنة في وجودها هي كثيرة من الطبيعيّات وجميع الأمور الإراديّــة. فقولنا " أيّ هذين شِئْتَ " و " أيّ هذين اخْترت فافْعَلْ " إنّما هو طلب تحصيل ما هو غير محصَّل وجوده لأجل أنّه ممكن في وجوده. وقولنا " العالَم أيّ هذين هــو، كريّ أم غير كريّ " هو طلب تحصيل ما هو غير محصَّل عندنا وهو في وجوده خـارجعن أذهاننا يحصل على أنّه كـريّ لا غـير أو على أنّه غـير كـريّ، فإنّه في وجوده ضـروريّ، وإنّما نجهل ما هو عليه ذاتـه. وجملة السـؤال ب " أيّ " في هذه الأشياء ثلاثة. أحدها " أيّ هذين المحمولين يوجد لهذا موضوع " أو " هـذا الموضوع يوجد له أيّ هـذين المحمـولين ". والثـاني " أيّ هـذين الموضـوعين يوجد له هذا المحمـول " أو " هـذا المحمـول يوجد لأيّ هـذين الموضـوعين ". والثالث " أيّ هذين الموضوعين يوجد له أيّ هذين المحمولين " أو " أيّ هذين المحمولين يوجد لأيّ هذين الموضوعين ". وهذه هي المطلوبات المركّبة التي يقول أرسطوطاليس فيها إنّها تُجعَل في عِـدّة، وهي بأعيانها أيضا يُسـأل عنها بحرف " هل ". فالصنف الأوّل هو الـذي يقـال فيه " هل هـذا المحمـول يوجد

في هذا الموضوع أم هذا المحمولُ الآخـرُ " أو " هل هـذا الموضـوع يوجد فيه هـذا المحمـول أو المحمـول الآخر "، والثـاني هو الـذي يقـال فيه " هل هـذا الموضوع يوجد فيه هذا المحمول أو هذا الموضوع الآخر "، والثالث " هل هـذا المحمول يوجد في هذا الموضـوع وذاك المحمـول في ذاك الموضـوع أو هـذا المحمول يوجد في ذاك الموضوع وذاك المحمول يوجد في هـذا الموضـوع ". (199) وكذلك يُستعمَل حرف " أيّ " في المطلوبات التي تكـون بالمقايسـة، وهي التي يُطلَب فيها فَضْل أحد الأمرين على الآخـر، ويُسـتعمَل فيها حـرف " هل ". وهي ثلاثة. أحدها " أيّ هذين المحمولين يوجد أ كثر في هذا الموضــوع " و " هل هذا المحمول يوجد أ كثر في هـذا الموضـوع أم المحمـولُ الآخـرُ ". والثاني " أيّ هذين الموضـوعين يوجد له هـذا المحمـول أ كـثر " و " هل هـذا الموضــوع يوجد له هــذا المحمــول أ كــثر أم هــذا الموضــوع " و " هل هــذا المحمول يوجد في هذا الموضوع أ كثر أم في هذا الموضوع ". والثـالث " أيّ هذين المحمولين يوجد أ كثر لأيّ هذين الموضـوعين " و " هل هـذا المحمـول يوجد لهذا الموضوع أ كثر أم هذا المحمول لهذا الموضوع ".

الفصل التاسع والعشرون: حرف كيف (200) وعلى هذا المثــال ننظر في حـرف " كيف "، فنأخذ الأمكنة الـتي يُسـتعمَل فيها هـذا الحـرف سـؤالا ونتأمّل أيّ أمر هي ومــــاذا يُطلَب به في موضع موضع من المواضع الـــــتي يُستعمَل فيها هذا الحـرف سـؤالا. (201) منها أنّا قد نقرنه بشـيء مفـرد وما يجـري مجـرى المفـرد من المركّبـات الـتي تركيبها تـركيب اشـتراط وتقييـد. فنقول " كيف فلان في جسمه " فيقال لنا " صحيح " أو " مريض " و " قــويّ " أو " ضعيف "، ونقول " كيف هو في سـيرته " فيقـال " جيّد " أو " رديء "، و " كيف هو في خُلقه " فيقال " ذَعِر " أو " وادع "، و " كيف هو في صـناعته " فيقــال " حــاذق " أو " غــير حــاذق "، و " كيف هو فيما يعانيه في حياته " فيقال لنا " " هو عَطِل " أو " ذو صناعة ". فيكون المطلوب بحـرف " كيف " في هـذه الأمكنة كلّها أموراخارجة عن ماهيّة المسـؤول عنه بحـرف " كيف " والتي يجاب بها فيها كذلك أيضا. (202) ونقول " كيف بنى الحائط " و " كيف أشاده " و " كيف صاغ الخاتم " و " كيف نسج الـديباج "، ونقـول أيضا " كيف نسْـج فلان الـديباج " و " كيف صـياغة زيد الخـاتم "، فنقرنه بجزئيّـات تلـك، فيكون الجواب عن هذه الجزئيّات المقرون بها حرف " كيف " على حسب ما في بادئ الرأي المشهور. وأوّل هذه عند السامع وما كـان على حسب أشـهر ما عنده أن يقول " جيّد " أو " رديء " أو يقـول " سـريع " أو " بطيء ".(203) وأمّا إذا قُرن بنوع صياغة الخاتم وبنوع نسـاجة الـديباج وبنـوع بنـاء الحائط فإنّ الجواب عنه بحسب الأسبق إلى ذهن السـامع وبحسب بـادئ الـرأي عند الجميع هو أن توصف للسـائل الأجـزاء الـتي بها تلـتئم صـيغة ذلك الشـيء وتركيب تلك الأجـزاء شـيئا شـيئا وترتيبها واحدابعد الآخـر، إلى أن يـؤتى على جميع ما يحصل به ذلك الشيء بالفعل مفروغا منه. فهذا الجـواب أسـبق إلى لسان المجيب من أن يقـول - عنـدما يُسـأل " كيف يُبـنى الحائط " أو " كيف يُنسج الـــديباج " - " ســـريعا " أو " بطيئا "، " جيّـــدا " أو " رديّا ". وأمّا في

الجزئيّـات إذا سُـئل " كيف ينسج فلان الـديباج " أو " كيف يبـني هـذا البنّـاء الحائط " فالأسبق إلى لسـانه أن يقـول " جيّد " أو " رديء "، " سـريع " أو " بطيء "، دون أن يقتصّ أجزاءه و دون أن يصف ترتيب أجـزاء عمله وصـيغته. وأمّا إذا كـان المسـؤول عنه نـوع البنـاء والنسـاجة فـإنّ الـذي يليق في بـادئ الرأي المشهور عند الجميع أن يجاب به، أن توصف وتُقتَصّ الأجزاء الـتي منها يلتئم الديباج، ويوصف تركيبها وترتيب شيء شيء منها على إثر شيء شـيء، وما تُستعمَل من الآلات في تقريب شيء شيء منها إلى شيء شـيء أو تبعيد شيء شـيء عن شـيء شـيء، إلى أن يحصل الجسم المصـوغ مفروغا منـه. وهذا ليس شيئا إلاّ اقتصاص ما به قوام ذلك المصوغ شيئا شـيئا والإخبـار عن انضمام شيء منه إلى شـيء، إلى أن يحصل المصـوغ. فما هـذا الـذي أقتُصّ وأُخـبر به إلاّ ماهيّة تكوّنه ثمّ ماهيّته هـو. (204) ولمّا كـانت ماهيّة كثـير من الأجسام المصوغة هو تركيب أجزائها وترتيبها فقـط، وماهيّة كثـير منها تربيعها وتدويرها، وبالجملة أن تحصل بشكل مّا في مـادّة يليق بها أن يصـدر عن ذلك الشكل الفعل أو المنفعة المطلوبة بذلك الجسم الذي ماهيّته بـذلك الشـكل - مثل ماهيّة السـيف، فإنّهاشـكله وأنّه من حديـد، فإنّه لو كـان من شـمع لما حصل عنه الفعل المطلـوب بـه، فماهيّته إذن شـكله في مـادّة مّا محصَّـلة معاونة للشـكل في الفعل الكـائن عن ذلك الجسـم، وكـذلك السـرير والبـاب والثوب وغير ذلك من الأجسام المصوغة - صار هـذا الحـرف كلّما قُـرن بنـوع صيغة ذلك الجسم - وقد تكون مادّته وقد تكون صـيغة مّا في مادّته - الملائمة له مثل تركيب أو تـرتيب أو شـكل مّا من الأشـكال، فـإنّ الأسـبق إلى لسـان المجيب عند هـذا السـؤال أن يقتصّ تـرتيب تلك الأجـزاء أو المـوادّ إلى أن يحصل شكله الذي هو خـاصّ بـه، لا أن يقتصر على أجزائه ومادّتـه، بل يكـون غرضه اقتصاص ما به يلتئم شكلهاو ترتيبه الذي هو صيغته وبه يحصل بالفعل. فـإذن إنّما يُجيب عند القصد الأوّل بما يلـتئم به ذلك الجسم وتلك صـيغته، إلاّ أنّ صـيغته تلك - ترتيبا كـانت أو شـكلا من الأشـكال - ليس يمكن أن تكـون ماهيّة ذلك الجسم دون أن تكون في مادّته ملائمة محـدودة. فلـذك احتـاج أن يقتصّ أمر مادّته ليحصل من ذلك علم ماهيّته الـتي هي صـيغته، وصـيغته هي ترتيب أو تركيب أو شكل مّا من الأشكال. فإذا كان كذلك فإنّما يكون السؤال بحـرف " كيف " على القصد الأوّل عن ماهيّة الشـيء الـتي هي فيع كالصـيغة والهيئة، لا التي هي كالمادّة. والمـادّة يجـاب بها على القصد الثـاني وعلى أنّه كالآلة والمعـرّف للهيئة والمعين على وجودها وعلى الفعل الكـائن عنهـا. (205) ثمّ ليس هذا إنّما يُستعمَل فقط في السـؤال عن الأجسـام الصـناعيّة لكن في كثـير من الطبيعيّـات، كقولنا " كيف انكسـاف القمر " و " كيف ينكسف القمر "، فليس يكون الجواب عن ذلك أنّه " سـريع " أو " بطيء "، أو " قليل " أو " كثير "، أو أنّه " أسود " أو أنّه " أغبر "، بل الجواب الأسـبق إلى لسـان المجيب وذهنه أن يقـول ما عنـده ممّا به يلـتئم الكسـوف - مثل أنه " ينقلب وجهه الآخر الـذي لا ضـوء فيه " ومثل أنّه " يـدخل في طريقه إلى وادٍ في السـماء غـابر " أو أنّه " يُربَق إلى مكـان في السـماء مظلم " أو " يقـوم الشيطان في وجهه " أو أنه يُحجَب بالأرض عن الشمس فلا يقع عليه ضـوؤها

". فأيّ شيء ما أُخذ في الجواب فهو ماهيّة انكسافه عند الذي يُجيب. (206) وكذلك إذا كان السؤال بحرف " كيف " عن نوع نـوع - مثل ما لو سـألنا فقلنا " الجمل كيف هو " و " الزرافة كيف هي " - لكان الذي يليق أن يجـاب به أن توصف لنا أجـزاؤه الـتي بها التئامه وتـرتيب تلك الأجـزاء أو أشـكالها إلى أن تجتمع لنا من تلك الجملة ذلك الجسم بالفعـل. وليس ذلك شـيئا غـير خِلْقتـه. وما ذلك في المشهور عند الجمهور سوى ماهيّته. فإنّهم إنّما يرون أنّ ماهيّات الأجسام والحيوانـات كلّها خِلَق في كـلّ واحد منهـا. فـإنّ الصِـيَغ والخِلَق اليت هي ماهيّة نوع نوع هي الـتي عنها نسـأل بحـرف " كيف " في نـوع نـوع. وأمّا في أشخاص نـوع نـوع من هـذه فـإنّ الـتي إيّاها نطلب بحـرف " كيف " فيها أشـياء أخر خارجة عن ماهيّاتهـا. فلـذلك قـال أرسـطوطاليس في كتـاب " المقولات ": " وأسمّي باكيفيّة تلك الـتي بها يقـال في الأشـخاص كيف هي ". إذ كان ليس قصده هناك أن يُحصي الكيفيّات التي هي ماهيّـات الأنـواع، وهي التي بها يقال في نوع نوع " كيف هو ". (207) والماهيّة التي هي صِيَغ وخِلَق فهي الـتي بها شـعائر الأنـواع، وهي الأسـبق إلى المعـارف أوّلا، وبها تتميّز الأنواع عندنا بعضها عن بعض. والماهيّة التي هي صـيغة فينبغي أن تؤخذ على ما عند إنسان إنسان من الجهة التي صحّ بها عنده أنّها ماهيّته. فـإنّ الـذي هو عند إنسان مّا ماهيّة شيء قد يمكن أن يكون عند كلّ إنسان جنسا. فـإنّ كـلّ إنسان إذا أجاب عن أمثـال هـذا السـؤال بشـيء فإنّما يُجيب بالـذي هو عنـده ماهيّة ذلك الشـيء الـذي عنه يُسـأل. وليس كـلّ ما يعتقد فيه أنّه ماهيّته هو ماهيّته، بل ماهيّته التي هو بها بالفعل. والتي ماهيّات نوع نوع ليست هي التي عنها يُسأل بحرف " كيف " في شـخص شـخص. وهـذه كلّها تسـمّى كيفيّـات. وتلك الكيفيّات ذاتيّة، وهذه كيفيّـات غـير ذاتيّـة. (208) والمطلـوب بحـرف " كيف " في الذاتيّة والمطلوب فيه بحرف " ما " والمطلوب فيه بحرف " أيّ " يكـون شـيئا واحـدا بعينـه. فـإنّ قولنا " كيف انكسـاف القمر " و " ما هو انكسـاف القمر " و " أيّ شـيء هو انكسـاف القمر " يُطلَب بها كلّها شـيء واحد. فإنّ الجواب عن " كيف انكساف القمر " هو أنّه " يحتجب بـالأرض عن الشمس "، والجـواب عن " أيّ شـيء هو انكسـاف القمر " هو هـذا بعينـه، و كذلك الجواب عن " ما هو انكسـاف القمر ". غـير أنّه من حيث يجـاب به في جـواب " أيّ شـيء هو " إنّما يؤخذ مميَّزا بينه وبين غـيره في ما به وجـوده وقوامـه. ومن حيث هو في جـواب " كيف هو " إنّما تؤخذ ماهيّته الـتي هي صـيغته بالإضـافة إلى ذاته لا من حيث هو مميّز له عن غـيره، على مثـال ما عليه الأمر في الطلـوب بحـرف " ما ". وأمّا حـرف " ما " فـإنّ المطلـوب به ماهيّته التي هي جنسه، كانت تلك من جهة مادّته أو من جهة صورته أو منهما. فلـذلك صـار يليق عند السـؤال بحـرف " ما " أن يجـاب بجنس ذلك النـوع المطلـوب بما هـو، ولا يليق أن يجـاب بجنسه إذا قيل فيه " كيف هو ". ويفارقان حرف " ما " فيما عدا هـذه فـإنّ الـذي يُسـأل عنه بحـرف كيف في شخص شخص قد يليق أن يُطلب بحرف " أيّ " ويليق أن يجاب به في جواب " أيّ " - مثل أن نقول " زيد أيّما هو " فيقـال " هو ذاك المصـفَرّ "، ويقـال " كيف زيد في لونه " فيقـال " هو مصـفَرّ " - غـير أنّ الجـواب بهـذا الشـيء

الواحد في السؤالين ليس بجهة واحدة بل إنّما يؤخذ في جواب " أيّ شــيء " من حيث أُخذ مميَّزا بينه وبين غيره، ويجاب به في جواب " كيف " ليُعـرَف به حـال في نفسه لا بالإضـافة إلى آخر غـيره. ثمّ إنّ الجـواب عن السـؤال في شخص شخص بحرف " أيّ " قد يكون بأيّ شــيء ما اتّفق ممّا يمكن أن يميّز بين المسـؤل عنه وبين غـيره. فإنّا إذا قلنا " أيّما هو زيد " فقد بُقـال لنا " هو ذاك الــذي يتكلّم " أو " ذاك الــذي عن يمينك " أو " ذاك الطويل " أو " ذاك الذي كان يناظر منذ سـاعة ". وليس شـيء من هـذه يجـاب به عن سـؤالنا " كيف زيد ". والتي يجاب بها في السؤال عن شخص شــخص " كيف هو " هي الكيفيّات التي أحصاها أرسـطوطاليس في كتـاب " المقـولات " وجعلها أربعة أجناس. (209) وقد نقول " كيف وجـود هـذا المحمـول في هـذا الموضـوع " نعني به أسالب هو أم موجب، وهو يشارك في هذا الحرف " هل ". ونعني به أيضا هل وجوده له وثيق غير مفارق في بعض الأوقات، فإنّ جهات القضايا قد يقـال إنّها كيفيّـات وجـود محمولها لموضـوعاتها. وقد نقــول " كيف صــارت السـماء كريّة " و " كيف رأيتَ واعتقـدتَ وقلتَ إنّ السـماء كريّة "، نطلب به الأشياء التي إذا أُلّفت حصل بها أنّالسماء كريّة أو صـحّ بها اعتقادنا أنّها كريّـة. وهو شـــبيه بقولنا " كيف ينمو النــامي " و " كيف يُبــنى الحائط "، فإنّه كما يجــاب في تلك باقتصــاص الأشــياء الــتي إذا رُتّبت وأُلّفت التـأم منها الحائط والنبات، أو البناء والنامي، كذلك يجاب ههنا بأن تُذكَر وتُقتَصّ الأشياء الـتي إذا رُتّبت وأُلّفت التأم عنها بأن يصحّ ويُعتقَد أنّها كريّة أو يقال إنّها كريّـة، وذلك أن يُذكَر القياس أو البرهـان الـذي عنه يلـزم ويصـحّ أنّ السـماء كريّـة، وهو أيضا ماهيّة القياس الـتي بها يُلتمَس صـواب الاعتقـاد أنّ السـماء كريّـة، وهو طلب السبب في أن صارت السماء كريّة وطلب الذي به صحّ عنده أو الذي به علم أنّها كريّة. والسبب الـذي به يصـحّ ويُعلَم ذلك هو القيـاس والبرهـان. ويفـارق سؤال " هل " أنّ هذا السـؤال - وهو سـؤال " كيف صـارت السـماء كريّة " - إنّما هو السؤال عمّا علم السائل أنّه قد اسـتقر عند المسـؤول أو تحصّـل من أنّ السماء كريّة. وسؤال " هل " إنّما يكـون فيما لم يعلم السـائل أنّه اسـتقرّ عند المسؤول أحد النقيضين على التحصيل.

الفصل الثلاثون: حـرف هل (210) حـرف " هل " هو حـرف سـؤال إنّما يُقرَن أبدا في المشهور وبـادئ الـرأي بقضـيّتين متقـابلتين بينهما أحد حـروف الانفصـال وهي أو وأم وإمّا وما قـام مقامها - على أيّ ضـرب كـان تقابلهما - كقولنا " هل زيد قائم أو ليس بقائم "، " هل الســماء كريّة أو ليست بكريّة "، " هل زيد قائم أو قاعد "، " هل هو أعمى أو بصير "، " هل زيد ابن لعمــرو أو ابن عمر ". وربّما أُضـمرت إحـدى المتقـابلتين وصُـرّح بالواحـدة منهما فقـط، كقولنا " هل تظنّـان زيــدا نجيبا "، " هل ههنا فــرس "، " هل في هــذا الــدار إنسان ". وربّما لم يُصرّح بأحد جزأي القضـيّة، إمّا الموضـوع منهما - كقولنا " هل زيد " - وإمّا المحمول - كقولنا " هل يأتينا " و " هل يتكلّم ". وإنّما أُضــمر ما أُضمر في الأمكنة التي يعلم السامع ما أضمره القائل، فيكون ما علمه منه مضافافي ضميريهما إلى ما صُرّح بلفظه، فالتأم منهما ما سـبيله أن يُقـرَن به هذا الحرف. فإن كـان المضـمَر أحد جـزأي القضـيّة، تمّت القضـيّة من الجـزء

المصـرَّح به ومن الجـزء الـذي في ضـميريهما غـير مصـرَّحبلفظه. وإن كـان المضمَر إحدى المتقابلتين، فالمتقايلتان إنّما تلتئمـان بـالتي صُـرّح بها وبـالتي فُهمت من ضمير القائل. (211) وحرف " هل " إنّما يُقرَن بمتقابلتين عُلم أنّ إحداهما لا على التحصـيل صـادقة أو معـروف بها عند المجيب، ويُطلَب به أن تُعلَم تلك الواحـدة منهما على التحصـيل. فإنّه يُطلَب أيّهما على التحصـيل هي المصادقة أو المعروف بها عند المجيب. فالجواب عن هذا السؤال هو بإحـدى المتقابلتين على التحصيل إذا كان السائل قد صرّح بهما جميعا. وأمّا إذا أضمر إحداهما، فللمجيب إمّا أن يُجيب بالمصرَّح وإمّا بالمضمَر. وكذلك إذا كـان إنّما يصرَّح بأحد جزأي قضـيّة واحـدة فقـط، فـإنّ له أن يُجيب بإحـدى المتقـابلتين على التحصيل اللذين أضمرهما السائل. (212) وهذا الحرف هو يُستعمَل في السؤال عمّا ليس يدري السـائل بأيّهما يُجيب وعن ما لا يبـالي السـائل بأيّهما أجـاب المجيب. وقد يُسـتعمَل فيما يـدري السـائل بأيّهما يُجيب المجيب ولكن يلتمس به إظهاراعتراف المجيب عند نفسه أو عند باقي الناس الحضور. وأمّا إذا كان السؤال سؤال مَن إنّما يريد أن يتسلّم إحدى المتقابلتين دون الأخرى، فإنّه يستعمل فيه حرف " أليس " ويقرنه بالذي يلتمس تسـلّمه فقـط، وليس يجوز أن يـذكر معه مقابله - وذلك في مثل قولنا " أليس الإنسـان حيوانا "، " أليس الإنسان بطائر " - وللمجيب عن هذا السؤال أن يُجيب أيضا بالذي سأل عنه السائل إذا أراد المجيب أن يُجيب بحسب ما وضع السائل في نفسه، وأن يُجيب بمقابله الذي لم يسأل عنه إذا أراد أن يكـذّب السـائل فيما وضـعه عند نفسه، كما أنّه لو لم يُجب ولا بواحد من المتقابلتين بل أجاب بشيء آخر كان ذلك تكذيبا لظنّ السائل أنّ المجيب لا بدّ من أن يُجيب بأحدهما ضرورة. (21 3) وحرف الألف - أعني الألف التي تُسـتعمَل في الاسـتفهام - تقـوم مقـام " هل "، كقولنا " أزيدُ قائم أم ليس بقائم "، " أوَ يقوم زيد أم ليس يقوم زيد ". وربّما كان السؤال عن هذا لا بحرف يُقرَن بالمسؤول عنه أصـلا، كقولنا " زيد يمشي أو لا يمشي ". (214) وأمّا " نعم " و " لا " فإنّهما لا يُسـتعمَلان وحدهما جوابا عن السؤال الذي صُـرّح فيه بالنقيضـين معا - فإنّا إذا قلنا " هل زيد قائم أو ليس بقائم " لم يجز أن يكون الجواب لا " نعم " وحدها ولا " لا " وحدها -بل السؤال الذي إنّما صُرّح فيه بأحدهما، مثل قولنا " هل زيد بقائم "، " أزيد قائم "، فـإنّ المجيب إذا قـال " نعم " يكـون قد أجـاب بالمقابل الـذي صُرّح بـه، وإذا قـال " لا " يكـون قد أجـاب بالسـلب الـذي هو مقابل الإيجـاب الذي صُرّح به. وإذا كان الذي صُرّح به في السؤال عنه هو السـلب - كقولنا " هل زيد ليس بقائم " - فإنّ المجيب إن قال " نعم " يكـون قد أعطى السـلب الذي صرّح به السائل في سؤاله، وإن قال " لا " يكون قد أعطى سـلب هـذا السلب ويكون قوّة ذلك قوّة الإيجاب. وقد يكون قوّته إعطاء للسلب - كقولنا " هل صحيح أنّ الإنسان ليس بطائر " - فإنّ المجيب متى قال " نعم " يكـون قد أعطى السـلب نفسـه، وإن قـال " لا " لم يكن ذلك إلاّ الجـواب بمقابل السلب. وأمّا السؤال الـذي يُقصَـد به تسـليم أحد المتقـابلين فقط - كقولنا " أليس الإنسان بحيوان " - فإنّ المجيب مـتى قـال " نعم " احتمل ذلك تسـليم السلب وتسليم الإيجاب، وإن قـال " بلى " لم يكن إلاّ تسـليم الإيجـاب، فـإن

قـال " لا " كـان تسـليم السـلب. وقولنا " أليس الإنسـان ليس بطـائر " فـأيّ شـيء من هـذه الثلاثة أجـاب به احتمل المتقـابلين. فلـذلك كـلّ موضع كـان اسـتعمال كـلّ واحد من هـذه الثلاثة مفـردا وحـده على حياله يحتمل إعطـاء المتقابلين فيه فينبغي أن نُزيد على الحرف الذي نستعمله منها المقابل الـذي هو مزمَع به تسـليمه. ولـذلك لمّا كـان السـائل إذا صـرّح بالمتقـابلين جميعا فأجـاب المجيب بحـرف نعم وحـده أو بحـرف لا وحـده احتمل الجـواب كلا المتقـابلين حتّى لا يُـدرى أيّ المتقـابلين أعطى المجيب في الجـواب عند استعمال أحد هذين الحرفين وحده، اسـتُعملا حيث لا يوقع اللبس وهو يصـرّح فيه بالإيجـاب وحـده دون السـلب، فإنّه إن قـال " نعم " يكـون لا محالة قد أجاب بالإيجاب وإن قال " لا " يكون قد أجـاب بالسـلب. وكـذلك إذا اسـتُعملا جوابا للأمر فإنّ حرف نعم طاعة وحرف لا معصية، وإن اسـتُعملا جوابا للنهي لم يتبيّن هل هو طاعة أو معصية، فإن قال " بلى " كان لا محالـة. وكـذلك إذا استُعملا تلقيّا لقضيّة حمليّة نطق بها قائل مخبرا فإنّها إذا كانت موجبة فتلقّاها السامع بحرف نعم كان تلقّيا بالقبول والتصديق وإن تلقّاها بحرف لا كان تلقّيا بـالردّ والتكـذيب، وإذا كـانت سـالبة لم يتـبيّن بواحد منهما هل هو تكـذيب أو تصـديق، ولكن ينبغي أن يُتلقّى بـأن يقـال " بلى " حينئذ على مقابل السـلب الذي نطق به القائـل، مثل أن يقـول قائل " لم يـذهب زيد " فنقـول " بلى "، نعني به بلى ذهب زيد.

الفصل الحادي والثلاثون: السؤالات الفلسفيّة وحروفها(215) حـرف " لِمَ " هو حرف سؤال يُطلَب به سـبب وجـود الشـيء أو سـبب وجـود الشـيء لشيء. وهو مركَّب من اللام ومن " ما " الذي تقدّم ذكره، وكأنّه قيل " لمـاذا ". وهذا السؤال إنّما يكون في ما قد عُلم وجوده وصـدقه أوّلا إمّا بنفسه وإمّا بالقياس. فإن كـان بقيـاس فقد سـبق وطُلبْ قيـاس وجـوده بحـرف " هل "، فسـؤال " هل " يتقـدّم سـؤال " لِمَ " فيما كـان سـبيله أن ينفـرد فيه سـبب وجوده. وربّما كان القياس الذي يُبرهَن به وجوده يعطي مع علم وجوده سبب وجـوده، وربّما أعطى وجـوده فقط فيُحتـاج حينئذ إلى قيـاس آخر يعطي بعد ذلك سـبب وجـوده. فالبرهـان الـذي يعطي اليقين بوجـوده فقط يُعـرَف ب"برهان الوجود "، والذي يعطي بعد ذلك سبب وجـوده يسـمّى " برهـان لِمَ هو الشيء "، والذي يعطي علم الوجود وسـبب الوجـود معا يسـمّى " برهـان الوجود ولِمَ هو "، وهو البرهان على الإطلاق لأنّه يجتمع فيه أن يكـون مطلوبا به وجوده وسبب وجوده معا، والمطلوب به فيما عدا ذلك هو مطلوب وجـوده فقط. (216) فأصناف الحروف الـتي تُطلَب بها أسـباب وجـود الشـيء وعلله على ما يظهر ثلاثـة: " لمـاذا " وجـوده، و " بمـاذا " وجـوده، و " عن مـاذا " وجوده. فأمّا حرف " ماذا " وجوده فالذي يدلّ عليه حدّ الشـيء - وهو ماهيّتة ملخَّصة - وإنّما يكون بأجزاء ذاته وبالأشياء التي إذا ائتلفت تقوّمت عنها ذاتـه، وإنما يكـون فيما ذاته منقسـمة. فـإذن ما هيتّه هي أحد أسـباب وجـوده، وهو أخصّ أسبابه. وهو أيضا داخل "بماذا " وجوده وهو فيـه، فإنّه الـذي به وجـوده وهو فيه.فإنّ الذي به وجوده قد يكون فيه وقد يكون خارجا عنه. فإنّ الحافظ

لوجوده مثل الشمس في أنّها تُبقي النهار موجودا، هي الـتي بها وجـود النهـار وهي من خارجـه. ف"مـاذا" وجـوده و " بمـاذا " وجـوده يجتمعـان في الدلالة على سبب واحد، أشتُرط في " ماذا " وجوده أن يكون في الشيء، و " بمـاذا " وجوده يُطلب به الفاعل و الحافظ والماهيّـة. فـإنّ الأشـياء الـتي إذا ائتلفت تقوّم بها ذات الشـيء يجتمع فيها أن تكـون هي معقـول الشـيء على التمـام وأتمّ ما يُعقَل به فيما هو منقسم الماهيّة.وقد تكـون تلك أحد أسـباب وجـوده، عقلناه نحن أو لم نعقلـه. فـإذا أخـذناه هكـذا كـان ذلك بالإضـافة إلى الشـيء نفسه فقط لا إلينا. وإذا أخذناه من حيث هو معقول ذلك الشـيء فهو بإضـافة ذلك الشيء إلينـا، لأنّه إنّما هو معقـول لنـا. فحـرف " مـاذا " و " بمـاذا " هما يتّفقـان في أن يكونا عبـارة عن أشـياء واحـدة بأعيانهـا. إلاّ أنّ " مـاذا " يـدلّ عليها من حيث هي بالإضافة إلينا ومن حيث هي معقول ذلك الشيء عنـدنا، و " بماذا " يدلّ عليها من حيث هي بالإضافة إلى الشـيء نفسـه. ف"مـاذا هو " إنّما يحصل على الإطلاق مـتى كـان معقـول الشـيء عنـدنا بالأشـياء الـتي إذا أُخذت بالإضافة إليه كانت تلك بأعيانها هي " بماذا هو " الشيء. و "عن ماذا " وجود يُطلَب به الفاعل والمادّة. و " لماذا " وجـوده يُطلَب به الغـرض والغاية التي لأجلها وجوده - وهي أيضا " لأجل ماذا " وجوده على حسب الأنحاء الـتي يقال عليها " لأجل ماذا " وجـوده. وهـذه الثلاثة قد يُطلَب بها في المطلوبـات المركَّبة التي هي قضايا. وأمّا " ماذا هو " فلا يجـوز أن يُقـرَن بقضـيّة أصلا بل مطلـوب مفـرد أبـدا. (217) فـإذن " لِمَ هو " و " ما هو " قد يجتمعـان أحيانا فيكون المطلوب بهما شيئا واحدا بعينه. وإذا كان المطلوب بحرف " هل " قد ينطوي فيه أحيانا المطلـوب بحـرف " لِمَ "، فقد يكـون أحيانا المطلـوب ب " هل هو " منطويافيه " لِمَ هو " و " ما هو " جميعا. وهذا فحص طويل وعريض صعب جدّا، إلاّ أنّه يتبيّن في آخر الآخر أنّ هذا إنّما يكون في كلّ ما كـان مثل قولنا " هل كسـوف القمر هو انطمـاس ضـوء القمر أم لا ". فـإنّ قوما قـالوا غير ذلـك. فإنّه إذا أُخذ في بيـان ذلك أنّه يحتجب بـالأرض عن ضـوء الشـمس وقت المقابلـة، يكـون قد بُـرهن على هـذا الوجه - وفي مثل هـذا يسـوغ أن يُسأل " هل الإنسان إنسان " أو " لِمَ الإنسان إنسان " - فإنّ انطماس ضـوئه هو كسوفه بعينه، وهو بعينه احتجابه عن الشمس. (218) والسـؤال بحـرف " هل " هو سؤال عامّ يُستعمَل في جميع الصنائع القياسيّة. غـير أنّ السـؤال به يختلف في أشكاله وفي المتقابلات التي يُقرَن بها هـذا الحـرف وفي أغـراض السائل بما يلتمسه بحرف " هل ". فإنّ في الصنائع العلميّة إنّما يُقرَن حـرف " هل " بـالقولين المتضـادّين، وفي الجـدل يُقـرَن بالمتناقضـين فقـط، وفي السوفسـطائيّة بما يُظَنّ إنّهما في الظـاهر متناقضـان، وأمّا في الخطابة والشـعر فإنّه يُقـرَن بجميع المتقـابلات وبما يُظَنّ أنّهما متقـابلان من غـير أن يكونا كذلك. ويصرَّح في العلوم وفي الجدل بالمتقابلين معا أو يُجعَل السـؤال - وإن لم يصرَّح بالمتقابلين معا اختصارا- قوّته قوّة ما يصرَّح فيه بالمتقـابلين، وأمّا في السوفسطائيّة فبما يُظَنّ في الظاهر أنّه سؤال علميّ أو جدليّ، وأمّا في الخطابة والشعر فربّما صلح أن يصرَّح فيه بالمتقابلين وربّما لم يصـلح أن يصرَّح. وليس يجـوز أن تكـون مخاطبة جدليّة أصلا إلاّ سـؤال بحـرف " هل "

وإلاّ جوابا عمّا يُسـأل عنه بحـرف " هل "، وكـذلك المخاطبة السوفسـطائيّة. وأمّا المخاطبة الخطبيّة والشعريّة فإنّها قد تكون ابتـداء لا عن سـؤال سـابق، وقد تكون سؤالا بحـرف " هل " وجوابا عن السـؤال بحـرف " هل ". وكـذلك في العلــوم. غــير أنّ الســؤال العلميّ إنّما هو يلتمس الســائل أن يُخــبره المسؤول من المتقـابلين بالـذي هو الصـادق منهما فقط مقرونا بالـذي يتـبيّن صدقه ويفيد اليقين فيه، فإنّه سـؤال ينتظم هـذين. (219) والسـؤال الجـدليّ يُسـتعمَل في المكـانين، أحـدهما سـؤالا يُلتمَس به تسـلّم وضع يقصد السـائل إبطاله والمجيب حِفْظه أو نُصرته، والثاني سؤالا يُلتمَس به تسـلّم المقـدّمات التي يقصدبها السائل إبطال الوضـع. وكلاهما عنغـير جهـل. فالـذي يلتمس به تســلّم الوضع فليس يلتمس أن يُخــبر الســؤال بالــذي هو حــقّ يقين من المتقابلين، بل يُخبر السائلُ المسؤولَ بحرف " هل " أن يُجيب بأيّهما شـاء أو أن يُجيب من الأوضاع بما حِفْظه أو نُصْرته عليه أسـهل. فربّما اختـار المجيب في وقتٍ أحد المتقـابلين وفي وقتٍ آخر المقابل الآخـر، ويكـون الاختيـار إليه في ذلك، ولا يكون خارجا عن طريق الجدل إذ كان مُبـاحث الجـدل إنّما يقصد تعقّب كلّ واحد ممّا يختاره المجيب من المتقابلات والتنقير عنه والفحص عن قياساته ونقضـها في ما بينه وبين المجيب، بعد أن يكـون قد ارتـاض قبل ذلك في كلّ واحد من المتقـابلين وإبطاله وتعقّبه والتنقـير عنه والفحص عمّا يـورد كلّ واحد من المتحـاورين. (220) وليس هي صـناعة تُصـحّح الآراء ولا تعطي اليقين كما يفعل ذلك التعـاليم وسـائر علــوم الفلســفة. ولو اســتُعملت في تصحيح الآراء لم تحصل عنها إلاّ الظنون وإنــرفعت اختلافا بين أهل النظر في الأشياء الفلسفيّة، على ما كان عليه الأمر في القديم قبل أن تحصل القـوانين المنطقيّة في صـناعة. فإنّه ليس يُسـتفاد من صـناعة الجـدل إلاّ القـدرة على الفحص والتنقـير وتعقّب ما يخطر بالبـال وكـلّ ما يقوله قائل أو يضـعه واضع من الأشــياء النظريّة والعلميّة الكلّيّـــة، وليس نقتصر على شـــيء منها دون شــيء. إلاّ أنّنا إنّما نحتــاج له ونــرى الأفضل له أن يُجعَل ارتياضه بالفعل في ذلك في مســائل بأعيانها على صــفات محــدودة - وقد وُضــعت في كتــاب " الجدل " كيف ينبغي أن تكـون المسـائل حتّى إذا اسـتفاد القـوّة على التنقـير والفحص والتعقّب في تلك المسائل استعمل تلك القـوّة في بـاقي المسـائل. كما أنّ الــذي يرتــاض بالفروســيّة أوّلا إنّما يتخيّر له أوّلا من الأفــراس على صفات مّـا، ثمّ ينتقل إلى أفـراس أخر بارتياضـه، حتّى إذا اسـتفاد القـوّة على تلك الأفراس يكون قد استفاد الصناعة. فحينئذ يستعمل بقوّته تلك أيّ فــرس شــاء فيقــوى. وإذا أراد أن يحفظ قــوّة الفروســيّة على نفسه بعد أن تحصل عنده كان ارتياضه في الميادين لاستبقائها عنده على أفراس بأعيانهــا، لا لأ نّ الفروسيّة هي قـوّة على اسـتعمال أفـراس بصـفات مّا محـدودة فقط يقتصر عليها فقط وإن كــان ارتياضه عند تعلّمهلها وارتياضه ليحفظها على نفسه في أفــراس محــدودة موصــوفة بصــفات مّا ويقتصر عليها فقــط. كـذلك الجـدل ارتياض في مسائل محدودة موصوفة بصفات مّا ويقتصر عليها فقط من غــير أن يكـون صـاحبه قد وقف على الصـادق من كـلّ متقـابلين وتعقّبه واطّــرح المقابل الآخر . وما يشـــتمل عليه ذلك العلم فكلّها حاصـــلة بالفعل في ذهن

الـــذي يتعاطـــاه محفوظة لديه وينطق عنها أيّ وقت شـــاء. (221) فمـــتى اسـتُعمل ذلك في علم من العلـوم وأديمت فيه المراجعة والتعقّب واستُقصي إلى أن لا يبقى فيه للفحص موضع وامتُحن بقوانين البرهان اليقينيّة وحصل ما حصل منه بتصـحيح قـوانين البرهـان، صـار علما برهانيّا واسـتُغني فيه عن صـناعة الجـدل. وأنت يتـبيّن لك ذلك من التعـاليم، فليس يُحتـاج فيها إلى الفحص، لأنّها إنّما صارت صـناعة يقينيّة بعد أن فُحص عنها وتُعُقّب إلى أن بُلغ بها اليقين، فلم يبق فيها بعد ذلك للفحص موضـع، ولـذلك صـارت المخاطبة فيها تعليما وتعلّمـا. فسـؤال المتعلّم للمعلّم ليس بفحص ولا تنقـير ولا تعقّب لما يقوله المعلّم بل إنّما يسأله إمّا لتصوُّر وتفهُّم معنى شيء مّا في الصناعة، وإمّا للتيقّن بوجود ذلك الشيء، أو مع ذلك سـبب وجـوده ليحصل له البرهـان على الشيء الذي عنه يسأل - فالأوّل بحـرف " ما "، والثـاني بحـرف " هل " وما جرى مجراه، والثالث بحرف " لِمَ " وما جرى مجراه أوبحرف قوّته قوّة " هل " و " لِمَ " معا إن كـان يوجد ذلك في لسـان مّـا. ولمّا كـان التعليم على تـرتيب، لم يكن لسـؤال المتعلّم للمعلّم على طريق التشـكيك موضع أصـلا. فالمتعلّم إذ يسأل " هل كلّ مثلّث فزواياه الثلاث مسـاوية لقـائمتين، أو مثلّث واحد كـذلك " يسـأل وقد تقـدّمت معرفته بما قبله من الأشـكال، فيُخـبره المعلّم بـأنّ كـلّ مثلّث كـذلك ويُـردف ذلك بـأن يتلو عليه برهانهـالمؤلّف عن مقـــدّمات قد تـــبرهنت عند المتعلّم قبل ذلـــك، فلا يبقى له بعد ذلك موضع لسؤال. (222) وأمّا العلـوم الـتي يُحتـاج في كثـير من الأمـور الـتي فيها إلى ارتياض جدليّ، فإنّ المتعلّم إذا سأل عن شيء منها " هل هو كـذا أو ليس هو كذا " فإنّ المعلّم إنّما ينبغي أن يُجيبه أوّلا أنّه كذلك ويُـردف ذلك بحجّة جدليّة يتـبيّن عنهاذلك الشـيء. ويُنتظَر من المتعلّم أن يـأتي بما يُبطل ذلك الشـيء ويـناقض ما أورده المعلّم لا ليجـادل ولكن ليسـتزيد من المعلّم البيـان وليعلم أنّ الـذي أورده ليس بكـاف في إعطـاء اليقين، ويقف المعلّم به على ذكـاء المتعلّم وأنّه ليس يعمل في ما سمعه على بـادئ الـرأي ولا على حسن الظنّ بـالمعلّم. فـإنّ لم يفعل المتعلّم ذلك من تلقـاء نفسه بصّـره المعلّم موضع العنـاد في ذلك الشـيء وموضع المعارضة في تلك الحجـة، ثمّ إبطـال تلك المعارضة وإبطـال ذلك الإبطـال. ولا يـزال ينقله من إبطـال إلى إثبـات ومن إثبات إلى إبطال إلى أن لا يبقى هناك موضع نظر ولا فحص، ثمّ يُـردف جميع ذلك بامتحانها بـالطرق البرهانيّـة. فحينئذ ينقطع تـداول الحجج في الإثبـات والإبطال ويحصل اليقين. و لا موضع ههنا أيضا للفحص. لأنّ الشيء الذي كان المتعلّم يحتاج إلى أن يفكّر في استنباط حججه يجده قد استُنبطتحججه كلّهـا، فيعلّمها كلّها، ثمّ يمتحن ذلك بقـوانين البرهـان الـتي عرفها من المنطـق. لأنّ المتعلّم لتلك العلـوم ليس يتعلّمها على تـرتيب أو يكـون قد علم المنطق قبل ذلـك. فـإذن لا موضع في شـيء من العلـوم للفحص الجـدل يّ إلاّ في الـتي يُحتاجفيها إلى ارتياض جدليّ، اللّهمّ إلاّ أن تكون الصـناعة الـتي كـان القـدماء فرغوا من استنباطها بـادت فاحتـاج النـاس إلى اسـتئناف النظر والفحص عن الأمـــور أو يكـــون ذلك في أمّة لم تقع إليها الفلســـفة مفروغا منهـــا. (223) والسوفسـطائيّة فهي تنحو نحو الجـــدل فيما تفعلـــه. فما يفعله الجـــدل على

الحقيقة تفعله السوفسطائيّة بتمويه ومغالطة. وهي أحرى أن لا تكون صناعة تُصحَّح بها الآراء في الأمـور، فـإن اسـتعملها مسـتعمل حصل من الآراء في الأمـور على آراء أهل الحـيرة أو على مثـال آراء فروطـاغورس. ومخاطباتها سؤال ب"هل " وجواب عن " هل "، اللهمّ إلاّ حيث تتشـبّه بالفلسـفة وتقـول عن ذاتها وتموّه وتوهم أنّها فلسفة. (224) وأمّا الخطابة فإنّ أ كثر مخاطباتها اقتصـاص وابتـداء وإخبـار لا بسـؤال ولا بجـواب، و ربّما اسـتعملت السـؤال والجواب. وتستعمل جميع حروف السؤال سـؤالات وفي الإخبـار. أمّا حـروف السـؤال سـوى حـرف " هل " فإنّها إنّما تسـتعملها في السـؤال على جهة الاستعارة والتجوّز وعلى جهة إبدال حرف مكان حرف - وهذا أيضا ضرب من الاسـتعارة والتجـوّز - وتسـتعملها في الإخبـار على الأنحـاء الـتي سـبيلها عند الجمهور أن تُسـتعمَل في الإخبـار على ما قد بيّنّاها كلّهـا. وأمّا حـرف " هل " فإنّها تســتعمل أحيانا في الســؤال على التحقيق وعلى ما للدلالة عليه وُضع أوّلا، وتستعمله أيضا في السـؤال اسـتعارة، وتسـتعمله أيضل في الإخبـار. إلاّ أنّها إذا اسـتعملته في السـؤال على التحقيق فربّما قـرنت به أحد المتقـابلين. وليس إنّما يقتصر على ذلك الواحد إرادة للاختصـــار ويضـــمر الآخر ليفهمه المجيب من تلقـاء نفسـه، لكن لأن صـناعته تـوجب أن لا يقـاس به إلاّ ذلك الواحد فقط من غـير أن تكـون قـوّة قوله قـوّة ما قُـرن به المتقـابلان، بل لا ينجح قوله إذا كان على طريق السؤال إلاّ إذا كـان المـأخوذ في السـؤال أحد المتقـابلين فقـط. وإذا قـرن به المتقـابلين فليس يقرنهما به معا إلاّ حيث لا ينجح قوله إلاّ بإهمـال المتقـابلين والتصـريح بهما معـا. ثمّ ليس يقتصر على المتناقضـين ولا على القـولين المتضـادّين بل يسـتعمل سـائر المتقـابلات، ثمّ ليست المتقـابلات الـتي هي في الحقيقة بل والـتي هي في الظـاهر وبـادئ الـرأي متقـابلات، ثمّ الـتي قوّتها قـوّة المتقـابلات وإن لم تكن هي أنفسـها متقابلات، فإنّه ربّما قرن به أحد المتقابلين ويجعل مكـان المقابل الآخر شـيئا لازما عنه ويأتي به مكـان المقابل الآخر - ولا يكـون ذلك خارجا عن صـناعته - أو يكـون المقابل الآخر أو الآخر اسـتعارة فجعله مكانـه. (225) فهـذه هي السـؤالات الفلسـفيّة، وهـذه حروفهـا، وهي الـتي تُطلَب بهاالمطلوبـات الفلسفيّة، وهي " هل هو " و " لماذا هو "و" ماذا هو " و " بمـاذا هو " و" عن مـاذا هو ". و "هل " و " لمـاذا " و " بمـاذا " و" عن مـاذا " قد تُقـرَن بالمفردات وبالمركّبات. وأمّا "ماذا هو " فلا تُقرَن إلاّ بالمفردات فقط.

الفصل الثاني والثلاثون: حروف السؤال في العلـوم (226) وينبغي أن يُعلَم أنّ سبب وجود الشيء غير سـبب علمنا نحن بوجـوده. وكـلّ برهـان فهو سبب لعلمنا بوجود شيء مّا. ولا يمتنع أن توجد في البرهان أمور تكـون سـببا لوجـود ذلك الشـيء أيضـا، فيجتمع فب ذلك البرهـان أن يكـون سـببا لعلمنا بوجود الشيء وسببا مع ذلك لوجود ذلك الشـيء. ومـتى لم يوجد فيه أمر هو سبب لوجود الشيء كان البرهان هو سـبب لعلمنا بـالوجود فقـط. و لمّا كـان البرهـان من ثلاثة حـدود أحـدها الأوسط والآخـران هما جزءاالنتيجـة، والحـدّ الأوسط هو بالبرهـان من سـائر أجزائه وهو أوّلا السـبب ثمّ البرهـان بأسـره،

ففي البرهان الذي يجتمع فيه الأمران يكون الأمر الـذي يوجد فيه حـدّ أوسط هو سبب وجود الشيء الذي يُبَرهَن، وانضيافه وائتلافه مع سائر أجزاء القياس هو السـبب في لـزوم حصـول الشـيء في أذهاننا معلوما أو مظنونـا. (227) والجواب عن " لِمَ هو الشـيء " هو بـأن يُـذكَر السـبب. والحـرف الـدالّ على الشـيء المقـرون به سـبب الشـيء المسـؤول عنه هو حـرف لأنّ وما يُقـام مقامه في سـائر الألسـنة. فيكـون الجـواب عن حـرف " لِمَ " هو حـرف لأنّ. والبرهـان كما قلنا هو سـبب لعلمنا بوجـود الشـيء واعتقادنا وقولنا بوجـوده. فلذلك متى سُئلنا " لِمَ كذا هو كذا " أمكن أن يكون سـؤالا عن السـبب الـذي به عَلِمْنا أو اعتقـدنا أو قلنا إنّه كـذا. فلـذلك قد يُقـرَن حـرف لأنّ بالبرهـان بأسره، إذ كان البرهـان بأسـره سـبب ذلـك، ونقرنه بالمقدّمة الصـغرى الـتي محمولها الحدّ الأوسط. وهذا هو السبب الذي نسـتعمله أ كـثر ذلـك، كقولنا " لِمَ نقـول إنّ هـذا المطـروح هو بعد في الحيـاة " فإنّا نقـول " لأنّه يتنفّس "، فقولنا " يتنفّس " هو سبب لقولنا وعِلْمنا أنّه يعيش، وليس هو السبب في أن يعيش. والخالفة التي جُعلت مع حرف لأنّ إنّما نعني بها الحـدّ الآخر الـذي هو الإنسان المطـروح. وإذا قلنا " لأنّه يتنفّس وكـلّ مَن يتنفّس فهو في الحيـاة " نكـون قد أجبنا بالبرهـان بأسـره، وكـان الحمـل، ولم يبق في لـزوم ما لـزم موضع مسـألة. فإنّه إذا اقتصر على قوله " أنّه يتنفّس " أمكن أن يكـون فيه موضع مسألة عن صحّة اللزوم بأن يقال " لِمَ إذا كان يتنفّس فهو في الحيـاة "، فـإذا أجبنا بـأنّ " كـلّ مَن يتنفّس فهو بعد في الحيـاة " فلا يبقى موضع مسألة عن صحّة لزوم ما لـزم. فـإن سـأل بعد ذلك " لِمَ صـار - أو لِمَ قلت - كلّ مَن يتنفّس فهو بعد في الحياة " فليس يسأل عن صحّة لزوم ما يلزم عن المقدّمتين وإنّما يسأل عن صحّة هذا المقدّمة وصدقها، ولزوم ما يلزم صحيح وإن كانت هذه المقدّمة غـير معلومـة. واسـتعمال حـرف " لِمَ " في السـؤال عن سبب عِلْمنا بالشـيء واعتقادنا له أو قولنا به هو بنحو متـأخّر، فاسـتعمالنا له في السؤال عن سبب وجـود الشـيء هو بـالنحو متقـدّم. (228) وحـرف " هل " يُستعمَل في العلوم في عدّة أمكنة. أحدها مقرونا بمفرد يُطلَب وجوده، كقولنا " هل الخلاء موجـود " و " هل الطبيعة موجـودة ". فـإنّ كـلّ واحد من هذه وأشباهها هو في الحقيقة مركّب، وهو قضيّة. فإنّ الموجـود محمـول في الذي يُطلَب وجوده، وهو الموضـوع الـذي يقـال فيه " هل موجـود " - ويُعـنى بـالموجود ههنا مطابقة ما يُتصـوَّر بالـذهن عن لفظه لشـيء خـارج النفس. فمعنى السؤال هل ما في النفس من المفهوم عن لفظه هو خارج النفس أم لا، وهذا هو هل ما في النفس منه صادق أم لا - فإنّ معنى الصـدق أن يكـون ما يُتصـوَّر في النفس هو بعينه خـارج النفس - فمعـنى الوجـود والصـدق ههنا واحد بعينـه. (229) وقد يُقـال في ما عُلم فيه أنّ ما يُفهَم عن لفظه هو بعينه خارج النفس " هل هو موجود أم لا ". فإذا طُلب فيما عُلم أنّه موجود بالمعنى الأوّل " هل هو موجود أم لا " فإنّما نعني بهذا الطلب هل لذلك الشـيء ما به قوامه وهو فيه. فـإنّ وجـود الشـيء بعد أن يُعلَم أنّ ما يُعقَل منه بـالنفس هو بعينه خارج النفس إنّما نعني به الشـيء الـذي به قوامه وهو فيـه. فـإذا أُجيب وقيل " نعم "، قيل بعد ذلك " ما وجوده " و " مـاهو " - يُعـنى به ما الـذي به

قوام ذلك الشيء - فيكـون الجـواب حينئذ بما يـدلّ عليه حـدّه لا غـير. فحينئذ ننتهي بهـذا الطلب فلا يبقى بعد ذلك شـيء يُطلَب فيـه. فيتـبيّن أنّ الـذي به قوامه هو أحد أسباب وجوده. ومعلـوم أن قولنا " هل الشـيء موجـود " على الوجه الثاني إنّما نعني به هل له سبب به قوامه في ذاته. فـإذا صـحّ ذلك قيل فيه بعد ذلك " ما ذلك السبب "، فتكون قوّة هذا السؤال قوّة لِمَ هو موجــود. (230) وقد نقول " هل كلّ مثلّث موجود زوايـاه مسـاوية لقـائمتين " و " هل كـلّ إنسـان موجــود حيوانا ". على أنّ ما نعـني بـالموجود ههنا كلمة وجوديّة يرتبط بهذا المحمول بالموضوع حتّى يصير القول قضيّة حمليّة، ونعـني به هل هذه القضيّة صادقة وهل ما تركّب منها في النفس هو على ما هو عليه خـارج النفس. وقد يعـني قولنا " هل كـذا موجـود " كـذا هل وجـوده أنّه كـذا، ونحن نعني هل كذا قوامه أو ماهيّته أنّه كذا، كقولنا " هل كلّ إنسان موجود حيوانا " أي هل كلّإنسـان قوامه وماهيّته أنّه حيـوان، وهـذا هو هل كـلّ إنسـان سـبب وجـوده أن يوصف أنّه حيـوان بحـال كـذا. فإذاقيل " نعم " وصُـحّح ذلك يتـبيّن بـذلك أنّه قـوام الإنسـان وسـبب وجـوده. فيكـون قد تـبيّن لِمَ هو موجـود إمّا بجميع أسباب وجوده أو بواحد منها. (231) وقد نقول " هل كذا موجود كـذا " ونحن نعني هل كذا وجوده يـوجب أن يوصف هكـذا وأنّه كـذا ونعـني هل كـذا ماهيّته توجب أنّه كذا أو أنّه يوصف بكذا، فيكون سبب الـذي به قـوام كـذا هو أيضا السبب في أن يوصف أنّه كذا - كقولنا " هل كلّ مثلّث هو موجود زوايـاه مساوية لقائمتين " قد نعني به هل كلّ مثلّث ماهيّته تـوجب أن تكـون زوايـاه مساوية لقائمتين أو هل الذي به قوام كلّ مثلّث هو السبب أيضا في أن تكون زواياه مساوية لقائمتين. فـإذا قيل " نعم " وصُـحّح أنّه كـذلك يكـون قد تـبيّن السبب في أنّ زواياه مساوية لقائمتين وأنّ ذلك السبب هو الســبب أيضا في قوام المثلّث. (232) فهذه كلّها سؤالات ثلاثة. فإنّ المطلوبات البرهانيّة الـتي هي في الحقيقة برهانيّة هي هذه. فهذان سؤالان عن القضـيّة قد يكونـان في قضيّة قد عُلم صدقها. فإنّ القضـيّة قد تكـون صـادقة، ويُعلَم أنّ كـذا هو كـذا، ولكن لا يُعلَم هل الموضوع ماهيّته أنّه كذا، ولا أنّ الموضوع وجوده يـوجب أن يوصف بمحمول مّا - كان ذلك المحمول ماهيّة ذلك الموضـوع أو جـزء ماهيّته أو شيئا به قوام ذلك الموضوع -؛ ولا أيضا تكون ماهيّة ذلك الموضوع أو جــزء ماهيّته أو شيء به قوام ذلك الموضـوع يـوجب أن يوصف بكـذا. فـإنّ قولنا " الإنسـان أبيض " صـادق، وليس الأبيض ماهيّة الإنسـان ولا جـزء ماهيّتـه، ولا ماهيّة الإنسـان تـوجب أن يكـون أبيض، فلـذلك يُحتـاج إلى هـذا الطلب. وقد يكـون ذلك فيمــالم يُعلَم صــدقه، فيكــون الســؤال ب"هل هو " ينتظم حينئذ هذين جميعا، فيكون سؤالا برهانيّا. وأمّا إذا كان سؤالا عن الصدق أيضا، فذلك هو سؤال يشتمل على البرهان وعلى غير البرهان. (233) وقد يقول القائل: إذا كـان معـنى " موجـود " إنّما يُعـنى به أحد هـذين فكيف يصـحّ أن يقـال " الإنســان موجــود أبيض " فيكــون صــادقا. فــالجواب أنَّ الشــيء قد يكــون موجوداكذا بالعرض وقد يكون موجـودا كـذا بالـذات. فالإنسـان موجـود حيوانا بالـذات لأنّ وجـوده وماهيّته أنّه حيـوان، والمثلّث موجـود أنّ زوايـاه مسـاوية لقـائمتين بالـذات لأنّ وجـوده وما هيّته تـوجب أنّ زوايـاه مسـاوية لقـائمتين.

وهذان هما معنيا وجود الشيء بالذات وشـريطتا كـلّ مطلـوب علميّ. (234) وكلّ طلب علميّ يُقرَن بحرف " هل " هو طلب سبب الشيء الموضوع الذي عليه يُحمَل المحمول وما ذلك السبب، أو طلب سبب وجـود المحمـول الـذي يُحمَل على موضوع مّا وما ذلك السبب، فـإنّ حـرف " هل " في العلـوم فيما عُلم صدقه ينتظم هذين. وفيما لم يُعلَم صدقه من القضايا ينتظم الثلاثة كلّهـا. فالجواب الوارد يجب أن ينتظم إعطاءَ الثلاثة بأسرها فيما لم يكن عُلم صدقه قبل ذلك، وفيما كان عُلم صدقه قبل ذلك فينبغي أن ينتظم الأمـرين. غـير أنّه ربّما ورد الجواب فيما لم يكن عُلم صـدقه بشـيء يُعـرَف به صـدقه فقط من غــير أن يعطي الأمــرين البــاقيين، فيبقى للمســألة " هل " الــتي تُطلَب بها الباقيان موضع، فـإذا أُوردالم يبق بعد ذلك لسـؤال" هل " موضع أصـلا. وهـذا العلم هو أقصى ما يُعلَم به وأ كمــل، وليس فــوق ذلك علم بالشــيء الآخــر. والفلسفة إنّما تطلب وتعطي هذا العلم في شيء شيء من الموجـودات إلى أن تـأتي عليها كلّهـا. (235) وكـلّ صـناعة من الصـنائع العلميّة اسـتُعمل فيها السؤال بحـرف " هل هو " على المعـنى الـذي يُسـتعمَل في الصـنائع العلميّة فإنّه ينبغي أن يُفهَم منه طلب تلك الأسـباب الـتي تعطيها تلك الصــناعة في الأشياء التي فيها تنظر. (236) فإنّ صناعة التعاليم إنّما تعطي في كلّ شــيء تنظر فيه من بين الأسباب الماهيّة التي بها الشيء بالفعل ومـاذا هو الشـيء، وهي التي تُطلَب بحرف " كيف " في نوع نوع. فإذا قلنا فيهذه الصـناعة " هل الشيء موجود " فإنّما نطلب به بعد صدقه وجوده الذي هو به موجود بالفعل، وهو ماهيّته المــأخوذة من جهة الصــورة من بين ما به قــوام ذلك الشــيء المسؤول عنه. وكذلك إذا قلنا " هل الشـيء موجـود حيوانا " فإنّما نعـني هل وجوده الذي هو به موجود بالفعل يوجب أن يكون كذا، فـإذا قيل " نعم " قيل بعد ذلك " وما هو " و " كيف هو موجود ذلك الموجود "، فـيرد الجـواب حينئذ بتلك الماهيّة المطلوبــة. وهــذه في التعــاليم خاصّــة. (237) وأمّا في العلم الطـبيعيّ فإنّه إذا كـان يعطي من جهة الطبيعة والأشـياء الطبيعيّة كـلّ ما به قوام الشـيء، الخـارج منها - الفاعل والغاية - والـذي هو في الشـيء نفسـه، كان عن كلّ ما يسأل عنه بحرف " هل هو موجود " أو " هل هو موجود كذا " إنّما يطلب فيه كـلّ شـيء كـان به وجـود ذلك الشـيء من فاعل أو مـادّة أو صورة أو غاية. فإنّ كـلّ واحد من هـذه توجد في مـاهو الشـيء وتسـتبين في ماهو الشيء، ويكون ماهو الشيء موجـودا من أحد هـذه أو من اثـنين منها أو ثلاثة منها أو من جميعهــا. وكــذلك في العلم المــدنيّ. (238) وأمّا في العلم الإلهيّ فإنّه إذا كان يعطي من جهة الإله والأشياء الإلهيّة من الأسباب التي بها قــوام الشــيء الفاعــلَ، والماهيّــةَ الــتي بها الشــيء بالفعل والغايــةَ صــارت المطلوبـات بحـرف " هل " عن ما يوجد الموضـوع فيه الإله أو شـيئا مّا إلهيّا هي التي بها قوام المحمول من جهة الشيء الذي أُخذ موضوعا. فيقـال " هل هو موجود أو لا ". فإذا قيل " نعم " قيل " وما هو " أو " كيف هو " أو " بماذا هو " وصار المطلوب عمّا يوجد المحمول فيه الإله أو شيئا مّا إلهيّا، وهو الذي صحّ به قوام الموضوع من قِبَل المحمولات. فإذا قيل " نعم " طُلب " ما هو " أو " كيف هو " أو " أيّما هو "، فيرد الجواب فيه بأحد الثلاثة، أو جــواب ينتظم

جميعَهـا. (239) وقد يسـأل سـائل عن معـنى قولنا " هل الإله موجـود "، ما الذي نعني به. هل نعني به هل ما نعتقد فيه أو نعقل منه في النفس هو بعينه خــــارج النفس.وهل إذا عُلم أنّ معقوله في النفس هو بعينه خــــارج النفس يسوغ أن يُسأل عنه " هل هو موجود " على المعنى الثاني. فإنّ ذلك المعــنى من معاني هذا السؤال هل الشيء له قوام بشـيء وهل الشـيء له وجـود به قوامه وهو فيه. فإنّ هذا إنّما كان يسوغ فيما تنقسم ماهيّة وجوده وذاته وفي ما له سبب به قوامه بوجه من الوجوه. والإله يجتمع فيه أنّه لا قوام له بشيء آخر أصلا ولا ســبب لوجــوده، وأنّ ذاته غــير منقســمة ولا بوجه من وجــوه الانقسام. فإذن ليس يسوغ أن يُسأل عنه بحرف " هل " على المعنى الثـاني. (240) ولكن قد نُجيب في ذلك أنّ قولنا فيه " هل هو موجود " على المعنى الثـاني إنّما يُعـنى به هل هو ذات مّا منحـازة، أو هل له ذات. فـإنّ الـذات قد يقال عليها الموجود، ويقال له إنّه موجـود. فإنّه ليس كـلّ مل يُفهَم عن لفظة مّا وكـان ما يُعقَل منه هو أيضا خـارج النفس يمـون أيضا له ذات؛ مثل معـنى العـدم، فإنّه معـنى مفهـوم، وهو خـارج النفس كما هو معقـول، لكن ليس هو ذاتا مّا ولا له ذات. فعلى هـذا الوجه يسـوغ أن يُسـأل عنه " هل هو موجـود " أي هل هو ذات أو هل له ذات. فإذا قيل " نعم " سُـئل بعد ذلك " فما وجـوده " و " ما ذاته " و " أيّ ذات هي ". وقد يسوغ فيه أن يُسأل عنه بحـرف " هل " على المعـــنى الثـــاني من جهة أخـــرى. وهو أنّ ما هو بـــالقوّة ذات ليس بموجود، فإنّ الموجود المشـهور هو الـذي بالفعـل، وأ كمل ذلك ما كـان على الكمال الأخير. فيقال فيه " هل هو موجـود " أي ما نعقله هل هو بالفعل وهل هو على الكمال الأخير من الوجـود. فـإذا قيل " نعم " قيل بعد ذلك " ما هو " و " كيف هو " و " أيّما هو ". (241) وينبغي أن يُعلَم أنّ الـــذي لا تنقسم ذاته فإنّه ينبغي أن يقال فيه أحد أمرين، إمّا أنّه موجود لا يوجد، وإمّا يقــال فيه إنّ معنى وجوده هو أنّه موجود، ويكون لا فرق فيه بين أن يقال " إنّه هو وجـود " و " إنّه موجود " و " إنّ له وجودا ". فـإنّ وجـود ما هو موجـود هكـذا ليس هو غير الذات التي يقـال فيها " إنّها موجـودة ". وما ينقسم وجـوده فـإنّ وجـوده الذي هو به موجود غير بوجه مّا، على ما يكون جـزء الكـلّ غـير الكـلّ و جـزء الجملة غـير الجملـة، وعلى أنّ ذلك الوجـود الـذي به الشـيء موجـود وأنّ له أيضا وجودا - أعني أنّه ينقسم وأنّ له جزءا به وجـوده. فـإن كـان كـذلك، فما الذي يقال في جزئـه، أليس يقـال فيه أيضا " إنّه موجـود " و " له وجـود "، و هل يقــال ذلك فيه على أنّه منقسم أيضــا. وإن كــان ذلك كــذلك، ننتهي عند التحليل هكذا إلى جزء وجود شيء مّا، ويكون ذلك الجزء موجـودا وله وجـود، ويكون غير منقسم، وإلاّ تمادى إلى غـير النهاية ولم يحصل علم ماهيّة شـيء أصلا. فإذا كان غير منقسم، فمعنى وجوده وأنّه موجـود معـنى واحد بعينـه. أو أن يقال فيه " إنّه موجود ولا يوجد " أو " إنّه موجود ولا يوجد هو بوجه مّا غير ذاته بل موجــــود يوجد ذاته بعينها " أو " يوجد هو الموجــــود بعينه ". (242) وأيضا فإنّ الموجود على الإطلاق هو الموجود الذي لا يضاف إلى شيء أصـلا. والموجــود على الإطلاق هو الموجــود الــذي إنّما وجودهبنفسه لا بشــيء آخر غــيره. فيكــون قولنا فيه " هل هو موجــود " بهـذا المعــنى. فعند ذلك يكــون

المطلوب فيه ضدّ المطلوب في قولنا " هل الإنسان موجود ". فإنّ المطلوب بقولنا " هل الإنســان موجــود " هل الإنســان له قــوام بشــيء مّا آخر أم لا. والمطلوب ههنا بقولنا " هل هو موجود " هل هو شـيء قوامه بذاته لا بشـيء غيره، وهل وجوده وجود ليس يحتـاج في أن يكـون به موجـوداإلى شـيء آخر هو بوجه مّا من الوجــوه غــير ذاتــه. أمّا قولنا " هل هو موجــود عقلا " أو " موجود عالما " أو " موجود واحدا"، فإنّ معناه هل وجوده الذي به صار قوامه لا بغــيره هو أنّه عقل أو أنّه عــالم، وهل ذاته هو أنّه عقــل. وقولنا " هل هو موجود فاعلا أو سببا لوجود غيره " يعـني هل وجـوده الـذي هو به موجـودا أو ماهيّته التي تخصّه أو له يوجب أن يكـون سـببا لوجـود غـيره أو فـاعلا لغـيره. فإنّ هذه كلّها مطلوبـات فيه بحـرف " هل ". (243) وأمّا سـائر معـاني " هل هو موجود " - وهي الـتي أحصـيناهافيما تقـدّم - فإنّها قد تسـوغ فيه أيضا من أوّل ما تقع المسألة عنه. إلاّ أنّ الجوابات الواردة كلّها إنّما تكـون فيه بحـرف لا. والجواب الوارد في هذا الأخير إنّما يكون فسه بحرف نعم. وإنّما يكون هذا الأخـير بعد أن تقـدّم السـؤال عنه بحـرف " هل " على المعـاني الأول. فـإذا أوردت جواباتها كلّها بحـرف لا، كـانت المسـائل عنه بحـرف " هل هو " على هذه المعاني الأخيرة، فترد الجوابـات عنها بحـرف نعم. فهـذه رسـوم معـاني السـؤال عن الإله بحـرف " هل ". (244) وأمّا قولنا " هل الإنسـان إنسـان " فإنّه يكــون فيما بين المحمــول وبين الموضــوع تبــاين وغيريّة بوجه ما - وإلاّ فليس يصــحّ الســؤال - مثل " هل ما يُعقَل من لفظ الإنســان هو الإنســان الخارج عن النفس " أو " الإنسان الكلّيّ هو الإنسـان الجـزئيّ " أو " الإنسـان الجزئيّ يوصف بالإنسان الكلّيّ " أو " الحيوان الذي هو بحـال كـذا هو حيـوان على الإطلاق " أو " الذي أنت تظنّه حيوانا هو في الحقيقو حيوان ". فإن كـان معنى الإنسان الموضوع هو بعينه معنى الإنسان المحمول بعينه من كلّ جهاته فلا تصحّ المسألة عنه بحرف " هل ". وإن قال قائل إنّ الإنسان الموضوع هو الذي يدلّ عليه حدّه، فإنّه لا يصحّ أيضا. لأنّ الذي يدلّ عليه القــول إن لم يكن عُلم أنّه محمول على الذي يدلّ عليه الاسم فليس يقال لذلك الذي يـدلّ عليه القول إنّه إنسان. فلذلك لا يُحمَل عليه من حيث هو مسمّى إنسانا، إذ كان لم يصحّ بعد أنّه إنسان، بل إن يصحّ " هل الإنسان حيوان مشّاء ذو رجلين أم لا " فليس تصـحّ المسـألة عنه على أنّ المحمـول هو أيضا إنسـان، وإنّما يصـحّ أنّ المحمول هو أيضا إنسان إذا صحّ أنّه محمول عليه وصحّ أنّه حدّه. أو أن يقــال أنّ قولنا " هل الإنسان موجود إنسـانا " يعـني هل الإنسـان وجـوده وإنّيّته هي تلك الــذات المســؤول عنها وليس له ذات غــير تلك الواحــدة الــتي أخــذناها موضوعا وهي غير منقسمة الوجود، أم إنّه إنسان بوجـوه أخر مثل أنّه حيـوان مشّاء ذو رجلين، أي هل له وجود وماهيّة على ما يدلّ لفظه عنه فلا يمكن أن يُتصوَّر تصوّرا آخر أزيد منه ولا أنقص. فيكون ما نتصوّره إنسـانا على مثـال ما عليه كثــير من الأمــور المســؤول عنها في الشــيء، يُتصــوَّر حينا مجمَلا وحينا مفصَّلا، ثمّ لا يكون ممكنا أن يُعقَل إلاّ بجهة واحـدة فقـط. فإنّه قد يصـحّ هـذا السؤال على هـذه الجهة أيضـا. وعلى أيّ معـنى ما صـحّ قولنا " هل الإنسـان إنسانا " صحّ فيه أن يُطلَب السبب في ذلك فيقال " لِمَ الإنسان إنسـان " و "

بأيّ سبب الإنسان هو إنسان " و " لماذا الإنسان إنسان " و " عمّاذا ". ويصحّ أيضا " لِمَ الإنسان إنسان " إذا عُني به لِمَ الإنسان حيوان مشّاء ذو رجلين و لِمَ الإنسان ماهيّته هذه الماهيّة. وهذا إنّما يصحّ في الشيء الذي له حدّان أحدهما سبب لوجود الآخر فيه، مثل " لِمَ صار كسوف القمر هو انطماس ضوئه " - فإنّ انطماس ضوء القمر هو الكسوف - فيقال " لأنّه يحتجب بالأرض عن الشمس "؛ فكلاهما ماهيّة الكسوف، إلاّ أنّ احتجابه بالأرض عن الشمس هو السبب في ماهيّته الأخرى. وأمّا فيما عدا ذلك فلا يصحّ فيه هذا السؤال. وقد كان هذا لا يصلح أن يُسأل عنه بحرف " هل " وقد صلح أن يُسأل عنه بحرف " لِمَ ".

الفصل الثالث والثلاثون: حروف السؤال في الصنائع القياسيّة الأخرى (245) وأمّا صناعة الجدل فإنّها إنّما تستعمل السؤال بحرف " هل " في مكانين. أحدهما يلتمس به السائل أن يتسلّم الوضع الذي يختار المجيب وضعه ويتضمّن حفظه أو نصرته من غير أن يتحرّى في ذلك لا أن يكون صادقا و لا أن يكون كاذبا. فإنّه لا يبالي كان ذلك الذي يضعه المجيب ويتضمّن حفظه صادقا أو كاذبا، ولإنّما يتحرّى في ذلك أن يكون موجبا أو سالبا فقط. والمجيب أيضا لا يبالي أيضا كيف كان ما يضعه، فإنّه يتضمّن حفظه وإن علم أنّه كاذب. والموجب الذي يضعه ليس بموجب اضطرّه إلى اعتقاده والقول به قياس أو برهان، بل موجب أوجبه هو؛ وكذلك السالب هو شيء يسلبه هو عن شيء من غير أن يكون قياس اضطرّه إلى وضعه أو اعتقاده، بل اختار أن يتضمّن حفظه اختيارا فقط. فلذلك تُسمّى أوضاعا. ويجمع فيه السائل بين جزأيّ النقيض ويقرن بهما حرف " هل " وحرف الانفصال. والثاني يستعمله بعد ذلك في أن يتسلّم به من المجيب مقدّمات يستعملها في إبطال الوضع الذي حفظه من غير أن يبالي كيف كانت المقدّمات - صادقة أو كاذبة - بعد أن تكون مشهورة أو - إن لم تكن مشهورة - كانت مقدّمات يعترف بها المجيب، ويجمع بين المتناقضين ليفوّض إلى المجيب النظر فيما يختار تسليمه منها ليكون إذا سلّم سلّم بعد تأمّلها هل هي نافعة للسائل أو غير نافعة، ليسلّم ما يظنّ بعد تأمّلها أنّها غير نافعة للسائل في أن يناقض بها المجيب في وضعه. (246) وربّما لم يجمع السائل بين المتناقضين إمّا للاختصار وإمّا للإخفاء. وربّما لم يستعمل حرف " هل " ولكن يستعمل حرف التقرير - وهو " أليس " - فيما يظنّ أنّ المجيب لا يمنع من تسليمه، وذلك في المشهورات. ولكن للمجيب أن لا يسلّم ذلك الذي ظنّ السائل أنّه يسلّمه وله أن يسلّمه نقيضه. لأنّ صناعة الجدل هي الارتياض والتخرّج في وجود قياس كلّ واحد من المتناقضين وارتياض فيما ينبغي أن يُفحَص عنه وتعقّب لكلّ واحد ممّا يقال فيوضع. فلذلك لا يبالي المرتاض بصدق ما يرتاض فيه ولا كذبه. فلذلك إذا سألت " هل كذا موجود كذا " إنّما تستعمل " الموجود " رابطا للمحمول بالموضوع في الإيجاب و " غير الموجود " رابطا في السلب من غير أن تعني به شيئا آخر غير ذلك. وقولنا " هل الإنسان موجود " إنّما نعني به هل ما يُعقَل منه هو وهم صادق أو كاذب. فلذلك أدخله الإسكندر

الأفروديسيّ في مطلوبات العرض، إذ كان الصـدق والكـذب عارضـين للأمـر. وقوم أدخلوه في مطلوبات الجنس وآخرون أدخلوه في مطلوبات الحـدود، إذ كان قد يُفهَم من قولنا هل الإنسـان موجـود " هل له ماهيّة بها قوامه أم لا. (247) غير أنّ الجدل ليس يرتفع في معاني الموجود عن ما هو المشـهور من معانيـه. فلـذلك ينبغي أن يُفهَم من قولنا " هل الإنسـان موجـود " معـنى هل الإنسان أحد الموجـودات الـتي في العـالم، مثـال ما يقـال في السـماء " إنّها موجـودةـ" وفي الأرض " إنّها موجــودة "، وهي كلّها راجعة إلى أنّها صــادقة . فإنّهم إنّما يسمّون " غير الموجود " ما كان قد يُتــوهَّم في النفس توهّما فقط من غـير أن يكـون خـارج النفس. وإلى هـذا المقـدار يبلغ الجـدل من معـاني الموجود. أمّا في قولنا " هل كذا موجود كـذا " فإنّمانسـتعمل الموجـود رابطا يربط المحمــول بالموضــوع. وأمّا في مثل قولنا " هل الخلاء موجــود " فعلى معـنى هل ما يُفهَم من معـاني الخلاء وهم كـاذب أو هو مثـال لشـيء خـارج النفس. أمّا عند تأمّلنا هذه الأشياء التي فيها نرتـاض في الجـدل عند فلسـفتنا فيها لنصادف الحقّ اليقين فيهـا، فإنّا نأخذ المقـدار الـذي يفهمه الجمهـور منه والذي يفهمه أهل الجدل فنتأمّله، فإن لزم عنه محال أزلنا موضع المحال منه ونكون قد وقفنا منه على شيء زائد نتأمّل ما صادقه منه. فإن لــزم منه أيضا محال أو كان هناك قياس أبطله، أزلنا الموضع الذي لزم عنه المحـال ونكـون قد وقفنا منه على شــيء آخر أيضـا. ولا نــزال هكــذا حتّى لا يبقى فيه موضع معارضة ولا موضع يلــزم منه محــال. وهــذا ليس بارتيــاض ولكن ابتــداء من المعرفة الناقصة بالشــــيء وتــــدرّج في معرفته قليلا قليلا إلى أن نبلغ إلى أقصـــــاه أو إلى أ كمل ما يمكن أن نعـــــرف به الشـــــيء. (248) وأمّا السوفسطائيّة فإنّها تستعمل السؤال بحـرف " هل " في ثلاثة أمكنـة. أحـدها عند التشــكيك السوفســطائيّ، فإنّه يســأل بالمتقــابلين وبما هو في الظــاهر والمغالطة متقـابلين، ويلتمس إلـزام المحـال من كـلّ واحد منهمـا. والثـاني عندما تتشبّه بصناعة الجدل أو تغالط وتوهم أنّ صناعتها هي صناعة الارتياض. فيسـتعمل السـؤال بحـرف " هل " عند تسـلّم الوضع ويسـتعمله أيضا عنـدما يلتمس تسـلّم المقـدّمات الـتي يُبطل بها على المجيب الوضع الـذي تضـمّن حفظـه. غـير أنّ ما تفعله صـناعة الجـدل فيما هو في الحقيقة مشـهور تفعله السوفسـطائيّة فيما هو في الظنّ والظـاهر والتمويه أنّه مشـهور من غـير أن يكـون في الحقيقة كـذلك. والثـالث عنـدما تتشـبّه بالفلسـفة وتـوهم أنّها هي صناعة الفلسفة. وكلّ موضع تستعمل فيه الفلسفة فيه السؤال بحـرف " هل " وتطلب به الحقّ اليقين من المطلـوب بحـرف " هل " فـإنّ السوفسـطائيّة تطلب فيه بحـــرف " هل " ما هو في الظنّ والتمويه والمغالطة حـــقّ يقين لا في الحقيقـة. (249) وأمَا صـناعة الخطابة فـإنّ أ كـثر مخاطباتها لا بالسـؤال والجواب، وإنّما تسـتعمل السـؤال حيث تـرى أنّ السـؤال انجح في اقتصـاص مثل. وكذلك صناعة الشعر. وهما يقتصران من " هل هو موجود " و " هل كذا موجود كذا " على الأشهر من معاني الموجــود وما هو من معانيه مفهــوم في بادئ الرأي: أمّا في قولنا " هل كذا موجـود كـذا " فعلى أنّه رابط فقـط، وأمّا في قولنا " هل كذا موجود " فعلى معنى هل هو محسوس أو هل هو ملموس

وهل له أثر محسوس وهل له فعل محسوس. فإنّ معـاني الموجـود هي هـذه كلّها عندهم. ولذلك كلّ ما كان خارجا عن هذه كلّها كان عنـدهم غـير موجـود. ولـذلك صـارت الأجسـام الـتي محسوسـاتها قليلة أو هي أخفى بـالحسّ هي عنـدهم في حـدّ ما هو غـير موجـود، مثل الـريح والهـواء والهبـاء. والخطابة تستعمل حرف " هل " على ما وُضع للدلالة عليه أوّلا، وتسـتعمله على طريق الاستعارة. وأمّا حرف " لِمَ " وحرف " ما " فإنّها لا تستعملها في السـؤال إلاّ على طريق الاسـتعارة فقـط. وحـرف " أيّ " وحـرف " كيف " فربّما اسـتعملتهما في الدلالة على معانيهما الأول. وأ كـثر ما تسـتعملهما إنّما تسـتعملهما أيضا على طريق الاسـتعارة. وبالجملة فـإنّ صـناعة الخطابة تستعمل جميع هذه الحروف على طريق الاسـتعارة. (250) ونقـول الآن في الأمكنة الـتي يقـال فيها هـذه الحـروف على طريق الاسـتعارة والتجـوّز والمسـامحة. فـالتجوّز والمسـامحة إنّما تُسـتعمَل في الصـنائع الـتي يحتـاج الإنسـان فيها إلى إظهـار القـوّة الكاملة في غاية الكمـال على اسـتعمال الألفاظ، فيعـرّف أنّ له قـدرة على الإبانة عن الشـيء بغـير لفظه الخـاصّ به لأدنى تعلّق يكون له بالذي تُجعَل العبارة عنه باللفظ الثـاني، أو له قـدرة على اسـتعمال اللفظ الـذي يخصّ شـيئا مّا على ما له تعلّق به ولو يسـيرا من التعلّق، وليُبين عن نفسه أنّ له قدرة على أخذ اتّصالات المعاني بعضها ببعض ولو الاتّصال اليسير، ويبيّن أنّ عباراته وإبانته لا تزول ولا تضـعف وإن عبّر عن الشيء بغير لفظه الخاصّ بل بلفظ غيره. وأمّا الاستعارة فلأنّ فيها تخييلا وهو شعريّ. (251) والصناعة التي حالها هذه الحال هي صناعة الخطابة وصـناعة الشعر. فلذلك ينبغي أن يُعرَف كيف تستعمل هاتان الصناعتان هـذه الحـروف على طريق الاسـتعارة والتجـوّز وأين تسـتعمل ما تسـتعمل منها على معانيها الأول وكيف مستعملها. ومن المشهور عند الجميع في بادئ الرأي أنّ الشـيء الذي يقال إنّه مفرط في الخسّة والقلّة والهوان، وفي كلّ شيء كان في حيّز العدم، تدلّ معاني العبارة عنه باسمه الخاصّ أنّه ليس بشـيء أصلا - يريـدون أنّه ليس له ذات أصلا وأنّه ليس داخلا تحت نـوع ولا جنس أصلا - فإنّه لـذلك مجهـول الـذات أصلا لا يمكّن أحـدا أن يُجيب عنه ما هـو. وما هو مفـرد في العِظَم والكثرة والجلالة من أيّ شيء كان يقال فيه " إنّه كـلّ " - يريـدون أنّ له ذات كلّ ما له ذات وأنّه داخل تحت كـلّ نـوع. وأيضا فـإنّ كـلّ ما هو جليل جدّا فإنّه يفوق طباع الإنسان أن يعـرف مـاهو وما ذاتـه، وذلك بحيث لا يمكّن أحدا أن يُجيب عنه ماهو أصلا حتّى يصف ما هو أقصى ما هو به موجود أيضـا. وأيضا فإنّ كلّ صناعة من الصنائع القياسيّة الخمس فيها ضرب أو ضروب من السؤال خاصّ بها، ففي الفلسـفة سـؤال برهـانيّ وفي الجـدل سـؤال جـدليّ وفي الفلسفة سؤال سوفسـطائيّ وفي الخطابة سـؤال خطـبيّ وفي الشـعر سؤال شعريّ. والسـؤال الـذي في كـلّ صـناعة هو على نـوع ونحو وبحـال مّا على غير ما هو في الأخرى. وللسؤال في كلّ صـناعة أمكنة ينجح فيها وأمكنة لا ينجح فيهـا. فلـذلك إنّما يصـير ذلك السـؤال نافعا وفي تلك الصـناعة مـتى استُعمل في الأمكنة التي فيها ينجح وعلى النحو الذي ينجح. فالسؤال الجدليّ يكون بتصريح المتقابلين أو تكون قوّة ما صُرّح به قوّة المتقابلين. وكـذلك في

كثير من الصنائع. وأمّا السؤال الخطبيّ فمن ضـروب سـؤالاته أن يكـون بأحد المتقابلين فقط.

تمّت رسالة الحروف للفيلسوف أبي نصر الفارابيّ.